ميجِلْ أَنْخِلْ فُونْتِسْ

كاهن من رَهبنة الكلمة المتجسِّد،
دُكتوراه في اللاهوت – تَخصُّص في الزواج والعائِلة
مِن معهد يوحنا بولُس الثانِي التَّابع لِجامعة اللاَّتْران الحَبْريَّة

ذَكَرًا وأُنْثَى خَلَقهما

الْمَخطوبون والْمُتزوِّجون عِند مُواجَهة الزَّواج والجِنس

منشورات الكلمة المتجسِّد – دوشامْبي – سان رافايِلْ –٢٠٠٠

ترجَمة: مِرفت فِكري أندراوس

مراجعة: رضا كمال حجّار

حُقوق الطباعة للأصل باللغة الأسبانية:
الأب/ كارلوس أڤيلا، رَهبنة الكلمة المتجسِّد
رئيس الإرسالية ذات الْحَقِّ الخاصّ بطاجيكستان
دوشامْبي، ١٨ مايو / أيّار من ١٩٩٨

الطبعة العربية، أُكتوبر / تِشرين الثاني ٢٠٠٦ ؟؟؟
الطبعة الأولى باللغة الأسبانية، يونيو / حُزَيْران ١٩٩٨
الطبعة الثانية باللغة الأسبانية، سبتمبر / أيلول ١٩٩٨
الطبعة الثالثة باللغة الأسبانية، يناير /كانون الثاني ١٩٩٩
الطبعة الرابعة باللغة الأسبانية، أغسطس / آب ٢٠٠٠

تَسجيل الْمِلْكيَّة الفِكرية:

منشورات الكلمة المتجسّد
مطبوع في سان رافايِلْ ، مِنْدوثا (الأرجنتين)

تقديم:

إنَّ الْحُبَّ الزَّوجي البَشــري هو إحْدى العَجائب التي صــنعها الله. إنه اتِّحاد بين رجل وامرأة بِهدف الوُصــول إلَى القداســة فِي هذا العالَمِ وبُلوغِ الْحياة الأبَدية فِي العالَمِ الآخَر. هكذا كانت خِطَّة الله منذ إنشــاء العالَمِ كما يُذكِّرنا يســوع الْمســيح: *إن الْخالق جعل الإنســان مُنْذُ البَدْء ذَكَرًا وأُنثى... فَلَيْســا فيما بَعدُ اثنين، بل جَســدًا واحدًا، فلا يُفَرِّقَنَّ الإنسان ما قد جَمعه الله* (متى ١٩/٤- ٥).

يتزوج الزوجان حتى يُخلِّص أحدهُما الآخَر مُحَقِّقين بذلك الْهدف الأَسْمَى لِكلِّ رجل ولكل امرأة. يقول الْمَلاك روفائيل لطوبيا الشاب مُحَدِّثًا إيَّاه عن زوجة الْمستقبَل: *الله جَعَلها لك نصيبًا منذ القِدَم وأنت الذي ستُخَلِّصها، وستذهب معك وسيكون لكَ منها أولادٌ* (طوبيا ٦/١٨). وعند تَسْليمِه إياها كزوجة له ينصحه أبوها قائلاً: *إن سارة اليوم مَنْفوفةٌ لكَ بِحســب حُكْمِ كتاب موســى. فالســماء حكمت بأن تُنَزَّف اليك. اِقبل أختك، فأنت أخوها منذ الآن وهي أُخْتك وهي منفوفة لكَ منذ الآن وللأبد. وفَّقكما رَبُّ الســماء فِي هذه الليلة، يا بُنَيَّ، وأنعَم عليكما برحْمته وســلامه* (طوبيا ٧/١٢). ولذلك فإننا نَجد أن الزوجين الشــابَّين -مُســتندَين إلَى مِثْلِ ذلك الْمِثال السَّــامي للحب الزوجي- يُصَــلِّيان إلَى الله لَيْلة عُرْسِهما كما نقرأ فِي النَّصِّ الكتابِي:

فنهض طوبيا من الفِراش وقال لسارة: "قومي، يا أختي نُصلِّي وَلْنَبْتَهِلْ إلَى ربَّنا لكي يُنعِم علينا بالرَّحْمة والْخلاص". فقامت وأخذا يُصــلِّيان ويَبتهلان لكي يُنعَمَ عليهما بالْخلاص، وشَــرع يقول: "مباركٌ أنت يا إله آبائنا ومبارك اسْمُك إلَى جَميع الأجيال الآتية: لِتُبارِكْكَ السماء وجَميع خلائقك أَبَدَ الدهور! أنت صنعتَ آدَم، أنت صنعتَ له عونًا وسَنَدًا حواءَ امْرأته ومنهما خرج الْجنس البشري. وأنت قلتَ: لايَحْسُن أن يكون الإنسان وحدَه، فَلْنَصْنَعْ له عونًا يناســبه. والآن، فلا من أجل الزِّنَى أَتَّخذ أختي هذه زوجةً بل فِي ســبيل الْحَق. اِقضِ بأنْ تُنعِم عليَّ وعليها بالرحْمة وبأن نَشيخ كِلانا معًا (طوبيا ٨/٤- ٨).

هذا الْمَفهوم الرائع للحب وللزواج يَجب أن يَسْــطَعَ اليوم أكثر من أيِّ وقت مَضَــى لَدَى الأزواج الْمكلَّلين بسِــرِّ الزواج الْمسيحي، خصوصًا فِي هذه الْحُقْبَةِ من الزمن التي فيها يواجه الْمخطوبون والأزواج، وكذلك الآباء والأبناء والإخوة والأخَوات، الكثيرَ من الشُّكوك والْحَيْرَة.

إن الأزواج والعائلات مَدْعُوُّون فِي زمننا هذا إلَى إعطاء شَــهادة واحدة أمام العالَمِ الْحالِي الذي يتحدث عن الْحب ولكنه لايُؤْمن بالْحب، وقد نَسَى بالفعل كيف يُحَبُّ الآخَر. وعلى كلِّ زوجين اليوم أن يُذَكِّرا العالَمَ بِحُبِّ الْمسيح لِكَنيسته ولِكلِّ رجل وامرأة تَطَأُ قدماهُما عَتَبَةَ هذا القَرْن الْمُضْطَرِب.

الفصل الأوَّل

الطريق إِلَى الزواج: الْخُطوبة

١– الْخُطوبة، زمنٌ للاِستعداد

ما هي الخطوبة؟ إنَّها زمن للاستعداد للزواج. إن الزواج شيء عظيم جدًا ومسؤولية كبيرة وهو واقع يَتَطَلَّب فِي كثير من الأحيان تضحيات عديدة (مِثْلُ كُلِّ الأشياء التِي لَهَا قيمة حقيقية فِي هذا العالَم). ولذلك تَحديدًا فهو يَتَطَلَّب استعدادًا. وَيَتِمُّ هذا الاستعداد على ثلاثِ مراحل زمنيَّة أساسية: بعيدة وقريبة ومباشِرة [١].

يبدأ **الاســـتعداد البعيد** للزواج منذ الطفولة من خلال التربية العائلية الْحكيمة التي تَهْدِف إلَى توجيه الأطفال إلَى اكتشـاف أنفسـهم كأشـخاص يَمتلكون واقعًا نفسيًا مُرَكَّبًا وشـخصـيةً خاصـة بكل واحد منهم لَها قُوَّتُها وضَعْفاتُها. إنَّها الْمرحلة التي يَتَرسَّـخ فيها التَّقْديرُ لكل قيمة إنسـانية حقيقية سَواء فِي العلاقات الشـخصـية بين البشـر أو على الْمسـتوى الاجتماعي، وذلك فيما يتعلق بتكوين الطِّباع وبالتَّحَكُّم فِي الذات والاسـتخدام الصـالح للمُيول الشـخصـية، وكذلك فيما يتعلَّق بطريقة التَّعامل مع الأفراد من الْجنس الآخَر، إلخ.

أَمَّا **الاسـتعداد القريب** فيَحتوي على إعدادٍ متخصِّـصٍ يبدأ فِي عُمر مناسـب ويصـاحبُه تعليمٌ مسـيحي مناسـب. وهو استعداد يهدف بطريقة أكثرَ تَحديدًا للاحتفال بسر الزواج ولِمعيشتِه بطريقة أخلاقية وروحية بِحَسَب مَا يَقتضيه سرٌّ عظيم كهذا. هذه المرحلة الزمنية هي التي نُطلِق عليها "فترة الخطوبة". وأخيرًا تأتِي مرحلة **الاستعداد الْمُباشر** وتكون فِي الأشـهُر الأخيرة قبل الاحتفال بالزواج.

إن كثيرًا من المظاهر السلبيَّة التي نشـكو منها فِي الْحياة العائلية والاجتماعية اليوم –مثل الطلاق والانفصـال وعدم التفاهم، إلخ. –يُمْكن علاجُها من خلال استعداد مناسب قبل الزواج.

مَنْ لا يَعرف كيف وإلَى أين يُبحِر فهو يُبحِر بطريقة غير ســـليمة والغرقُ ينتظره. فمن يرغب فِي الزواج يَجب عليه أن يعرف ما هو الزواج. كثيرون يعرفون مَن هو الشـــخص الذي يريدون الارتباط به ولكنهم غيرُ واعين على ما ســيَحْدُث خِلالَ هذا الزواج؛ من أجل ذلك جُعِلَتْ فترةُ الْخطوبة. فهي تَهدف إلَى ثلاثِ نِقاط أســـاســـية: مَعرفة ماهِيَّة الزواج، ثُمَّ التَّعَرُّف على مَن سيكون –أو ستكون– الطرفُ الآخَر فِي الزواج، وأخيرًا الْحصول على كل ما يَلْزَم لتحقيق رحلةٍ سعيدة ونِهاية أفضل.

١) مَعْرفةُ ماهِيَّةِ الزواج

١- راجع : **يوحنا بولس الثاني** ، *الشّــراكة العائلية* ، رقم ٦٦.

فِي البداية يَجب أن نَعْرف ما هو الزواج. إنه سرٌّ مقدَّس وَشِرْكَةٌ تدوم مَدَى الْحياة. وهو عَقْدٌ غايتُهُ الْحبُّ الْمتبادَل والتعاونُ طَوالَ الْحياة، وأيضًا إنْجابُ أبناءٍ وتربيتُهم. يَستغِلُّ الْخطيبان فرصة فترة الْخطوبة للتأمل فِي الواقع الذي سيدخلان فيه بعد الاحتفال بِمَراسِمِ الزواج.

سيكون لِزامًا عليهما أن يَتعلَّما ما يَعنيه الاتِّحاد الزوجي، وعدم قابليَّة الزواج للانفصال، والْخصوبة، وكذلك كَيْفِيَّة تربية أبنائهم فِي القريب العاجل. ويتم ذلك بالتكوين الْمُستمر والقراءة والْحوار فيما بينهما، وكذلك باستشارة أشخاصٍ مناسبين بِهدف تنشيط التعليم الْمسيحي الْخاص بالأسرار الْمقدسة الذي تَسلَّماه.

يَجب عليهما أيضًا أن يَضَعا خطةً لِما سيكون عليه زواجُهما وأن يتحدَّثا فيما بينهما عن الصعوبات الْمتوقَّعَةِ مواجهتُها عاجلاً أم آجلاً على الصَّعيد الْمادِّي والنفسي والروحي؛ ثُمَّ الْحديثُ عن كَيفية تَخَطِّي هذه الصعوبات وإيجادِ الْحلولِ لَها. يَجب أن يَتَحدَّثا عن الْمَكانة التِي يَجب أن يُعطِياها لله فِي الْحياة الزوجية وعن مَكانة الكنيسة فِي حياتِهما وعن دورهما هما الاثنين فِي الكنيسة.

٢) التَّعرف على بعضهما البعض

إن الزواج هو اتِّحاد بين اثنين إلَى الأبد. ولذا يَلزم التَّعَرُّف بدرجة كافية على مَن سيكون الرفيق أو الرفيقة طَوال الطريق فِي هذه الْحياة. الْمَعرفة تَعني أن يكون الشخص واعيًا وآخذًا فِي الاعتبار مَن يكون وكيف يكون هذا الآخَر، بأن يَعرف نفسيَّتَه وَعُيوبَه وفضائلَه وكذلك ردودَ أفعالِهِ وَأيضًا ما هي أفكارُه خصوصًا فيما يتعلق بالإيمان والزواج والأبناء.

ومع ذلك تَظَل هذه الْمعرفة **مَحْدودة** [٢]، لأنَّها طَوال فترة الْخطوبة تكون نِسْبِيَّة ولا تَصير معرفةً مُطْلَقَة وكاملة إلا فِي الزواج، ويتم التَّوَصُّل اليها بواسطة احترامٍ تامٍّ للآخر. ولأجل التوصل إلَى معرفة الْخطيب أو الْخطيبة لا يُجْدِي التَّعامُلُ أو الأُلْفَةُ الْمُبالَغُ فيهِما بَلْ بالأَحْرَى يَجب تَفاديهِما تَمامًا، لأنَّهما لا يُوَصِّلان إلَى مَعْرفةٍ أَكثرَ بل يُوَلِّدان عادة الاحتقار. يقول الْمثل الشعبِي "إن الْمبالغة فِي الأُلْفَة تُوَلِّد الاحتقار". ويَنطبق هذا أيضًا على الْمخطوبين. ولذلك فإن فترة الْخطوبة ليست مُبَرِّرًا لأيِّ شكلٍ من أشكال عَدَمِ الطهارة.

ونستطيع أن نقول أكثر من ذلك بأن الشيء الرئيسي الذي يَجب أن يَعرفه الواحد عن الآخَر هو مَقْدِرَةُ هذا الأَخير على التَّضحية وضَبْطِ النفس "أيستطيع هو- أَمْ هي- أن يتحكَّم فِي ذاته وأن يُنْكِر نفسه أمام اندفاع الشَّهوة؟ أَمْ إنَّه -إنَّها- عَلى العكس شخصٌ غيرُ عَفيف؟". ذلك هو ما لا بُدَّ من مَعرفته كأساسٍ يُمْكن عليه تَوَقُّعُ التصرُّفات اللاحِقَة فِي الزواج. إن كان هو قادرًا على ضَبط نفسه مع خطيبته فسيكون أيضًا قادرًا على الإخلاص لَها عندما تصير زوجته. إذا كانا قادرَيْن على مُصاحَبة بعضِهما البعضَ بطهارة فسيَقْدِران كذلك على مُرافقة بعضِهما البعض عندما يَفْرِض عليهما الزمن أو الْمرض أو الصعوبات أو أيُّ حادثٍ عارِضٍ تضحياتٍ، عند اضطرارهُما مثلاً إلَى شيء من التباعُد الْجسدي أو إلَى تبادل عاطفي يَعتمد على مظاهر روحية بَحتة. فإن لَمْ يستطِعْ ضبطَ اندفاعه الْجنسي فِي أدنَى مظاهره -كالْمُداعبات

٢- راجع **الأب كارلوس بُويلا**، *الخطوبة الكاثوليكية*، مجلة " الحوار " (Rev. Dialogo)، رقم ٤ صفحة ٨ - ١١.

غيرِ الْمناسبة والقُبَل- فإنه سيجد صعوبة فِي ضبط انفعالات الغضب والاحتقار والصُّراخ، وإذا أُتيحَتْ له الفرصة أو تَواجَدَ فِي بيئة مُؤَاتية فإنه سيواجه صعوبة بالغة فِي مقاومة تَجربة إدمان الكُحوليات أو الزِّنا أو الْمخدِّرات وهي أكبرُ تَجربةٍ للهروب من مصاعب الْحياة الْمعاصِرة.

٣) اكتسابُ الوسائلِ الضرورية

تُوْجَد وسائلُ ضرورية كثيرة لإتْمام هذا الْمَشروع:

الوسيلة الأولَى هي **الفَضائل**: إن غالِبِيَّة حالات الفشل فِي الزواج – إن لَمْ تَكُنْ كلها- تأتِي مِن نَقْصِ الفَضيلة لَدَى أَحَدِ الزوجين أو كِلَيْهما. لأن الزواج يتطلب وجودَ الفضيلة وذلك منذ اللحظة الأولَى. من الْجائز أنَّ ذلك قد لا يُلاحَظ فِي البداية بسبب الاِستغراق فِي حالة من الْهَوَى، ولكن عادة ما تَظهر الْحاجة إلَى الفضيلة منذ البدايات الأولَى. ونَجد أنه لَمِنَ الْمُهِمّ أن يَصِلَ الطرفان إلَى الزواج مُتَسلِّحَيْن بالفضائل الْمُكْتَسَبَة. أَمَّا الذي يَزْعَم الوصول إليها فيما بعد فإنه قد يَتوصَّل إلَى ذلك إذا أَلْزَم نفسه، ولكنه سيتوصَّل إلَى ذلك بصعوبة كبيرة، دون شَك.

ما هي هذه الفضائل؟ هي تلك الْخاصَّة بالْحياة الْمشتركة بين رجلٍ وامرأة، مِثْلُ الصَّبْر عند اكتشاف العُيوب، والْمُرافَقة فِي أوان الألَم، وضبطُ النفْس أمام الشهوات. وكذلك أيضًا فضيلةُ الصراحة والاِجتهاد والعمل والكَدِّ الْمُتَواصِل، إلخ. إن هذا الزمن هو بطريقة خاصة وقتٌ للنُّمُوّ وَ ِلاكتسابِ الْمحبَّةِ وَالرحْمةِ والكرمِ الْمتبادَل.

وتأتِي فِي الْمَقامِ الثانِي ضرورةُ **الْمَقْدِرَةِ على الصَّداقة** كوسيلة لِلمُضِيّ قُدُمًا إلَى الأمام فِي الزواج، لأنه حبٌّ ذُو صداقة من نوع خاص، صداقة فريدة جدًا تَدوم مَدَى الْحياة. اِستنادًا إلى ما سبق فإن **الْمَقْدِرَة على الْحِوار** تُصبِح أيضًا ضرورة حَتْمِيَّة. كثيرٌ مِن الزيجات تَجهل الْحوار الْحقيقي بيْن الزوجين وبالتالِي بين الآباء والأبناء. هذه الْمَقدرة على الْحوار يَجب اكتسابُها خلال فترة الْخطوبة، على الأقل جزئيًا.

ثالثًا، هذا هو الوقت الأَمثل **لضَبط التَّحكُّم فِي الاحتياجات العاطفية الْخاصة**، أَي التحكم فِي شَهْوة الْمُتعة. لأن الْجِراح التي خَلفَّتها الْخطيئة الأصليَّة تسبَّبت فِي أن تصير النَّزعة العاطفية للإنسان من أكثر الْمُيول اختلالاً لديه. ولذلك فإنه إن لَمْ يتسلَّح بالفضيلة التِي تُنظِّم هذا الْميل فإنه سيقع تَحت وَطْأة الرَّذيلة الْمُقابِلة لَها: إمَّا أن يكون معتدلاً أو يكون مُتقلِّب الْمزاج، وإمَّا عفيفًا أو شهوانيًا. فإن فترة الْخطوبة ذاتَها –بِما لَها من طبيعة خاصة- لا تَنقصها التجارب الْمتعلِّقة بالعفَّة وبالتالِي فهذا هو الوقت الْمناسب للتَّدرُّب على الأفعال الْخاصة بفضيلة العَفاف أيضًا وبفضيلَتَيِ الْحِشْمة والتواضع الْمسانِدتَيْن لَها.

أساسًا هذا هو الوقت الأَمْثَل للبحث عن تنمية **حياة الإيمان**، إذْ لا يُمكن لأيّ زواج أن يستمر إلا إذا سانَدَتْه حياةٌ فائقةٌ للطبيعة. من أجل ذلك فإن الْحديث أو التخطيط لِحياة الإيمان هو مَظهر أساسي يستوجب الإيضاح خلال فترة الْخطوبة. سيُرافق الزوجان أحدُهما الآخَر خلال الزواج فِي الْحياة الرُّوحِيَّة أيضًا، ولذلك يَجب أن يبدأ ذلك فِي الفترة السابقة له.

٢- الْمُعاشَرة قَبلَ الزواج

١) الْمُشكلة الْحالية

إحدى الْمشاكل الكبيرة التي تواجهها الْخطوبة الْجادَّة فِي هذه الأيام هي الفكرة الأخلاقية الزَّائفة عن الْمعاشرة قبل الزواج، ونعني بِها الفعلَ الْجنسيَّ التامَّ فيما بين الْخطيبين اللَّذَيْن يَمتلكان نِيَّةً جادة فِي الارتباط الزوجي، أو على الأقل يُخطِّطان بِجدِّية لإمكانية إتْمامه. إنَّ انتشار هذا النوع من العلاقات بين الْمخطوبين قد بلغ مَدًى كبيرًا فِي كثير من الأماكن حتَّى جعل الكثيرين يَعتبرونه تَصَرُّفًا عاديًّا ودليلَ تَحَضُّر لِكلِّ خطوبة. نستطيع أن نرى أسباب هذا الانتشار فِي مَظاهر كثيرة مُختلفة فِي عصرنا هذا ومنها:

- اِختزال الْحب إلَى الناحية الْجنسية.
- اِختزال الْجنس إلَى عمل يتعلَّق بأعضاء التَّناسُل.
- طول الفترة الزمنية غيرُ الْمَحدود لبعض الْخطوبات.
- طُغْيان برامجِ العُرْيِ العَلَنِيَّة –أَيْ الإباحية– فِي كثير من وسائل الإعلام الاجتماعية.
- سهولةُ الْحصول على وسائل مَنْعِ الْحَمْل، والعَقليَّة الْمُناهِضة للحياة والْمُوالِية للإجهاض داخلَ الزواج نفسه.
- فُقدانُ معنَى العفَّة والبَتوليَّة.
- التربية الْخاطئة للطِّباع وَللنَّزعة العاطفية عُمومًا.

بالنسبة لعدم شرعية مُمارسة الفِسْقِ فإن الْحُكم الأدبِي لا يَدَع مَجالاً للشَّك: "الفِسْق هو الاتِّصال الْجنسي خارج نِطاق الزواج بين رجل وامرأة حُرَّيْن: إنه يتعارض بوجه خطير مع كرامة الأشخاص ومع التكوين الْجنسي البشري الْمُوجَّه طبيعيًا إلَى خيْر الأزواج وإلَى إنْجاب الأولاد وتربيتهم. وعَلاوةً على ذلك فإنه مَعْثَرة خطيرة عندما يكون فيه إفسادٌ للصغار" [٣]. أمَّا بالنسبة للعلاقات الْجنسية السابقة للزواج فنَجد أنَّها لا تَنْدرج تَحت نفس النوع من الْحكم بالنسبة لبعض الباحثين فِي عِلم الأخلاقيات ولكثيرين من الْمؤمنين الكاثوليك. فالبعضُ يرى أنَّ الْهدف هو أن تُقيَّم تلك العلاقات فِي إطار مشروعِ الْحبِّ الْمتعلِّق بالزواج اللاَّحِق. فبِما أننا لا نستطيع أن ننفي أنَّ الْخطيبين الْمُقْبِلَيْن على الزواج يُحبَّان بعضُهما بعضًا بالفعل، فلا نستطيعُ أن نَفْرِضَ على هذه العلاقات بأنْ تَظلَّ خارجَ حبِّهما هذا. نقرأ فِي وثيقة من وثائق الكنيسة: "يطالب الكثيرون اليوم بالْحقِّ فِي مُمارسة الاتِّحاد الْجنسي قبل الزواج، على الأقل عندما يوجَد قرار ثابت على إتْمام هذا الزواج وعندما توجَد كذلك عاطفة حقيقية يعتبرها الْخطيبان –بطريقة ما وبِحسب تَصَوُّرِهما النفسي– عاطفةً زوجيةً بالفعل. فيَحكمان بأن هذا القرار وهذه العاطفة يَتطلَّبان تتميم هذه العلاقات بطريقة طبيعية" [٤]. ولكن هل هذا صحيح؟

٣- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* رقم ٢٣٥٣.

٤- **المجمع المقدس للعقيدة والإيمان** ، بيان في *"الشخصية البشرية"* حول بعض النقاط الخاصة بأخلاقيات الجنس ، ٢٩ ديسمبر ١٩٧٥- رقم ٧.

٢) الْحُكم الأخلاقي

إن الْمعاشرة قبل الزواج هي شيء سيّء فِي حَدِّ ذاته. وإذا كنَّا لا نستطيع أن نُنكر أنَّ الْخطيبين يُحبّان بعضُهما بعضًا فِعلاً فإننا نستطيع أن نَجْزِمَ بأنَّ العلاقة الْجنسية ليست مَظْهرًا حقيقيًا للحبِّ فِي هذه الْمَرحلة من حياتِهما.

لِماذا؟ أساسًا لأنَّ "العلاقة الْجنسية" هي التعبير التامُّ والْخاص بالزوجية دون سِواها (لأن تعريف الزوجيَّة هو الاِتِّحاد الْجسدي والنفسي والروحي بين شخصين مُختلفَي الْجنس مُتَّحدَين فِي زواج غيرِ قابِلٍ للانفصال). ويَفتقر الْخطيبان إلَى هذه الزَّوجية حتى لو كانا يَستعدَّان لَها ويَتَوجَّهان إليها. إن العلاقة الْجنسية هي التعبير **التام** للحبِّ الزوجي، لأن الزوجين يَصلان بواسطتها إلَى مُنتهى الاِتِّحاد الْجسدي فيبلغ اِتِّحادهما العاطفي والروحي من خلالِها ذُروتَه. هناك يكونان "جسدًا واحدًا" ويصيران "روحًا واحدًا" بواسطة هذا الفعل. والعلاقة الْجنسية هي التعبير الْخاص بالزوجية، لأن مُمارسة الْجنس تكون مشروعة فقط داخل الزواج.

ولِماذا داخل الزواج فقط؟ بسبب لُغة الْجسد. لأن الفعل الْجنسي هو جُزء من اللُّغة البشرية، وله معنَى فريد لا يتكرَّر ولا يَصُحُّ التنازل عنه. وما "يقوله" هذا الفعل هو حقيقي فقط بقدر ما يَحتوي على التزامٍ زوجي لا رَجْعةَ فيه. ماذا يقول هذا الفعل؟ يقول: عطاء بالكامل. والعطاء يكون كاملاً عندما:

- يَحتوي على كلِّ ما يَملِكه الفَرْد؛
- يكون بطريقة حَصْرية؛
- يكون بالطريقة الأكثر كمالاً التي يُمْكن أن يكون عليها ما يُعطَى؛
- يَستمِرُّ طَوالَ الْحياة.

إذًا فإن العطاء بين الزوجين يكون كاملاً عندما يَحتوي على: كلِّ ما يَملِكه كلٌّ منهما (كالْجسد والروح والعاطفة والْحاضر والْمستقبَل). يكون العطاء أيضًا حَصْريًّا (بِمعنَى أن يكونَ لشخصٍ واحدٍ دون سِواه)، وكاملاً (أيْ ألاَّ يكون منتقَصًا أو تالفًا مثلما يَحدث عندما تُلغَى قدراتُه مسبَقًا باستخدام وسائل منع الْحمل أو وسائل التعقيم)؛ ويكون مدَى الْحياة (ويُضمَن ذلك فقط بعد الالتزام العَلني الذي يُعطَى من خلال الْموافقة الْمُعلَنة فِي الاحتفال بالزواج). كلُّ هذه العناصر لا يُمكن معيشتُها إلاَّ داخلَ الزواج الذي احْتُفِل به شرعيًا.

وبالعكس، بالنسبة للمعاشرة قبل الزواج، فنجد ما يلي:

– لا يعطي الفرد كلَّ ما يَملِكه، لأنَّ الشخص الذي لَم يُصَرّح بعدُ "بالنِّعَم الزواجية" عَلانيةً أمام الْمجتمَع لَم يُعطِ كلَّ شيء بعد: فهو لَم يُعطِ مستقبلَه، ولَم يُعطِ اسْمَه، ولَم يُعطِ التزامَه. إنَّ الْحبَّ الْحقيقي هو بالفعل حبٌّ يَحتوي على مفهوم "الذبيحة" لأنه عطاء كامل للنفس من أجل الآخَر. أما بالعَكْس فِي حالة العلاقة الْجنسية قبل الزواج (وكذلك العلاقات خارج الزواج) فإننا نَجد أن الشيء الأهَمَّ على الصَّعيد النفسي لا يكون التضحية بالذات وإنَّما البحثَ الأنانِيَّ عن الْمُتْعَة: والآخَر لا يُمَثِّلُ الشَّخص الذي سيُعْطي الْمَرْءُ ذاتَه له ولكنَّه الشخصُ الذي سيأخذُه لنفسه؛

– كما أن الأمر ليس مُقتصِرًا على شخصٍ بِعَيْنِه، أو على الأقل لا يَقتصِر بالضرورة على واحدٍ فقطْ؛ فَعَدم وجود بُعْدِ الالتزام الزواجي قد ينتهي فِي حالات عديدة بفَسْـــخ الْخطوبة (حتى فِي الْحالات الأكثرِ جِدّيةً) وَبالارتباط بِخطيبٍ آخَر, وهكذا تَتِمُّ الْمُعاشَرة قبل الزواج مع أكثرَ من رَجل وأكثرَ من امرأة؛

– ولا يتم فيها العطاء عامة بطريقة كاملة "لأنَّها فِي معظم الْحالات تستبعد الذُّرِّيَّة" [٥]؛

– وهي لا تدوم مدى الْحياة لأنه ينقصـــها أن تُخْتَم ويُوقَّع عليها بالفعلِ الوحيدِ الذي يَجعل الالتزام لا رَجْعَةَ فيه، أَلاَ وهو الاحتفالُ الشَّرْعِيُّ بالزواج.

من هنا يُمْكننا إرساءُ القواعدِ الأخلاقية التالية الْمنظِّمة لسُلوك الْخطيبَيْن:

– تُعتَبَر مَشـروعةً كلُّ مظاهر التعبير العاطفي الْمقبولة بِحسـب العادات والتقاليد الْمتَّبعة، والتِي تكون علامةً على الْمجاملة والتَّحَضُّر وحُسنِ التربية؛

– فِي الْمُقابل تُعتبَر غيرَ أخلاقية وغيرَ مشـروعةٍ التعبيراتُ الْمُحْتَشِـمة (كالأحضـان والقُبُلات والنَّظَرات والأفكار والرَّغَبات) إذا كانت تَحتوي على نِيَّة صـريحة ومتعمِّدةٍ هادفةٍ إلَى الْمتعة الْجنسـية، حتى لو لَمْ يَكُنْ هناك قصـدٌ للوصـول إلَى العلاقة الْجنسية الكاملة؛

– وتكون بالأَحْرَى غيرَ مشـروعة وغير أخلاقية كلُّ التعبيراتِ ناقصـةِ الْحياءِ والْحِشـمةِ، وكذلك العلاقات الْجنسـية الكاملة.

باختصار، "على الْخطيبَيْن أن يَحتفظا لوقت الزواج بِمظاهرِ الْحنان الْمُختصَّة بالْحب الزوجي" [٦].

٣) عواقب الْمعاشرة قبل الزواج

إن ما ذكرناه فيما سـبق هو الْحُجَّة الْمركزية والدامِغة. ومع ذلك فإن تَحليل العواقب الأكثر شُـيوعًا والْمُترتِّبة على الْمعاشرة السابقة للزواج يُؤَيِّد الْحكم السلْبِي الذي حكمنا به عليها. من بين هذه العواقب نَذْكر [٧]:

أ) من الناحية البِيولوجية

يُمكننا أن نشير إلَى النتائج البِيولوجية التالية:

– البُرود الْجنسي: إن النشاط الْجنسي إذا مارسَتْه شابات من سن ١٥ إلَى ١٨ عامًا إنَّما يُمكنه أن يكون سببًا فِي حالة من البُرودة الْجنسية فِي مراحل أعمارِهِنَّ اللاحقة. تؤكد بعض الدراسات أن ٤٥٪ من النساء التي سُئِلْنَ أَرجعْنَ سبب عدم القدرة على رَدِّ الفعل الْجنسي إلَى النتيجة الْمُريعة للعلاقات الْجنسية السابقة للزواج، فقد ثَبُتَ أن كثيرًا من السيدات لَسْنَ باردات جنسيًا بطبيعة تكوينِهِنَّ وإنَّما بسبب خِبرات جنسية غير مناسبة مَرَرْنَ بِها قبل الزواج. وذلك يُسَبِّب لديهِنَّ فِي

٥- راجع : *"الشخصية البشرية"* - رقم ٧.

٦- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* - رقم ٢٣٥٠.

٧- راجع : **خوسيه ماريا ديلكول** : *المعاشرة قبل الزواج* ، دار النشر : دون بوسكو . بيونس آيرس ١٩٧٥ ص ١٦٩ إلى ٢٢١ . الإحصائيات مأخوذة من هذه الدراسة.

بعض الْحالات ظاهرةً مُشـاهِة للشـذوذ الْجنسـي فتَبحثْنَ عن لقاء الْحُبّ مع نسـاء أُخْرَيات لأنَّهُنَّ أُصِـبْنَ بِخيبة أمل من الرجال؛ أو قد يُسبِّب لديهنَّ ظاهرة النشاط الْجنسي الْمزدوج فتتناوَبْنَ معاشرة الرجال أو النساء دون تفضيل.

– الأمراض التناسـلية: يؤكد كارنو (Carnot) قائلاً: "من بين آلاف الْحالات الْمصـابة بأمراض تناسـلية التي عالجْتُها لَمْ أجد ولا واحدة منها لَمْ يكن سببها الْمباشر أو غير الْمباشر– الفَوْضَى فيما يتعلق بِممارسة الْجنس". من بين هذه الأمراض الأكثر انتشارًا نَجد الزُّهَري والإِيدْز الذي انتشر فِي عصرنا الْحالِي.

– حالات الْحمل: بالرغم من أن أغلبية الْمخطوبين يلجؤُون إلَى وسائل مَنْع الْحمل فإن هذه –كما هو معروف – ليست قادرة على تَجَنُّب حدوث بعض حالات حَمل عارِضة.

ب) من الناحية النفسية

– تَخلُق الْخوف: بِما أنَّ غالِبيَّة هذه العلاقات تتم بطريقة خَفِيَّة فهي تَخلق جوًا من الْخوف: الْخوف من اكتشـافها، والْخوف من الْخيانة فيما بعد، والْخوف من الإخصاب أو الْخوف من الفضيحة الإِجتماعية. وهي إلَى جانب ذلك تَتسبَّب فِي خَلَلٍ عاطفيٍّ آخَر أَلا وهو الطَّبْع الغَيُور، إذْ أَنَّ عدم وجود الرِّباط الشـرعي يتسـبب دائمَا فِي الْخوف من تَخَلِّي الْخطيب أو الْخطيبة أو من فتوره وبَحثه عن إرضاء نفسه مع شخص آخر. وبالفعل لا يُوجد أيُّ رباط يَمنعه عن ذلك. هذا بالضبط ما تؤدِّي اليه مُمارسة الْحياة الْجنسية قبل الزواج، فهي تُنشِئ بطريقة منتظِمة لدى الْخطيبين حالة من الشَّكِّ فِي وفاء الآخر.

– وهي تُعطي اهتمامًا مبالَغًا فيه للجنس وللغَريزة الْجنسـية وللمتعة الْجنسـية. ويكون ذلك على حسـاب الأَبعاد الأخرى للحب فتُلْحِق ضـررًا بالبُعدَيْن العاطفي والروحي. وعادة ما يتسـبب هذا فِي تَصَـدُّع الْخطوبة ثُمَّ الزواج بعد ذلك. كما أن التركيز على البُعد الْجنسـي فقط فِي الْحب يُوْقِف تَطَوُّر النُّضـج العاطفي والفكري. "إن العلاقة الْجنسـية السـابقة لأوانِها إذا ما مُورِسَتْ بصفة منتظمة فهي تؤَثِّر بطريقة سلبية أيضًا على النُّمُوّ الفكري وبالتالِي على التنمية العقلية الْمترتِّبة عليه..." (Tumlirz).

– تُسَبِّب عدمَ الْمُساواة بين الرجل والْمرأة. فلا يستطيع أحدٌ أن يُنْكِر أنَّ الْمرأة هي التي تواجِه الوَضْعَ الأَسْوَأَ فِي حالة مُمارسة العلاقات الْجنسية قبل الزواج. لأنَّها بالفعل: "تفقد عُذْرِيَّتَها، وتشعر بالتَّباعُد لَدَى الْخطيب الذي يبحث عن مُمارسة هذه العلاقات كلَّ مرة على فترات أكثر تقاربًا. وهي لا تستطيع أن تَرفض لأنَّها تَخاف عِندئذٍ أنْ يَترَكَها معاتِبًا إياها ومتَّهِمًا بأنَّها لَمْ تَعُدْ تُحبه كما كانت من قَبل؛ وهي أيضًا تعيش فِي قَلق كبير من أن يَكتشف أبَوَاها مُمارستَها لِهذه العلاقات. فهي بذلك تشترك فِي متاعب الفعل الزوجي ولكن دون حُصولِها على الضَّمان والسَّكينة اللَّذَيْنِ يعطيهِما الزواج" [٨]. وهي تَحْيا فِي حالة من الرُّعب خوفًا من حُدوث حَملٍ. وإذا أصـبحت حاملاً فإن خطيبها يَضـغط عليها لكي تُجْهِض، ويتركها

٨- **الأب كارلوس بُويلا** ، *الهجمات العَصَرية ضد العائلة* ، مجلة ميكائيل (Rev. Mikael) ، رقم ١٥.

وحيدة أمام مَشاكل الحَمْل، كما يُمارِس عليها نفسَ هذا الضغط أَقْرِباؤها وأصدقاؤها، وتُمارسه أيضًا مُؤَسَّسات دُوَلِيَّة وهَيْئات وجَمْعِيَّات تُناضل مِنْ أَجْلِ انتشار الإجهاض فِي العالَم[٩].

ج) من الناحية الاجتماعية

– زيجاتٌ مُتَعَجِّلة: تؤكد ذلك الخِبرة الْمُعاشة بطريقة لا تَدَعُ مَجالاً للشك. لأنَّ حدوثَ حَمْلٍ غير مرغوب فيه والفضيحة الاجتماعية يتسبَّبان فِي تعجيل إتْمام الزواج فِي وقت يَفتقر فيه هذا الزواج إلَى النُّضج اللازِم لِمواجهته، فينتهي حتمًا إلَى انكسار لا رَجْعَةَ فيه.

– إجهاضٌ مُتاح: وهنا أيضًا تؤكِّد الخِبرة تزايد مُعَدَّل الإجهاض مُظْهِرَةً بصفة خاصة العلاقة بين العقلية الْموالية للإجهاض والعقلية الْموالية لِمنع الحَمل[١٠]. لِذا لا يستطيع أحد أن يُنكرَ أن هذه الأخيرة تُمَثِّل الْمجال الأكثر شُيوعًا لِمن يُمارِسون الجِنس قبل الزواج، وبالتالِي فإن الإجهاض يصير واحدة من أكثر عواقِبِها ضررًا.

– الأُمومة غَيْرُ الشرعية: عندما لايُجرَى الإجهاض ولا يُلْجَأ إلَى الزواج الْمتعجِّل فلا مَفَرَّ من التورُّط فِي أمومة غير شرعية. وتُعتبر مشكلة الأمهات الْمراهقات العازبات واحدة من أكثر الهُموم الْمُلِحَّة فِي عصرنا الحَالِي، وهذه هي بالتحديد واحدة من الحُجَج التي يُدْفَع بِها لتأييد قوانين التربية الجِنسية التي تَخْتَزل هذه التربية على تقديم الإرشاد الْمجانِي وعلى توزيع وسائل منع الحَمل مَجانًا. عمومًا، وبِحسب بعض الإحصائيات، فإن الغالِبِيَّة العُظْمَى من الأبناء غير الشَّرعيين الذين لَمْ تُحْصَد أرواحُهم بواسطة الإجهاض ينتمون إلَى شريحة الأمهات الشابات اللواتِي يتراوح عمرُهُنَّ بين ١٥ و ١٩ عامًا، وتليها شريحة اللواتِي يَبْلُغْنَ من العمر بين ٢٠ و ٢٤ عامًا؛ أما النسبة الأقل عددًا فهي الْخاصة باللواتِي يَقِلُّ عمرهُنَّ عن ١٥ عامًا.

٣– الْحِفاظ على العِفَّة قبل الزواج

إنَّ الْحِفاظ على العفة قبل الزواج شيء ضروري جدًا للحب. "الْخطيبون مَدْعُوُّون إلَى أن يَحْيَوْا حياة الطهارة فِي العفة. وعليهم أن يَرَوْا فِي هذا الاِمتحان اكتشافًا للاحترام الْمتبادل، وتَعَلُّمًا للأمانة وللرجاء في أنْ يَتقبَّل الواحد الآخر من الله. وعليهم أن يَحتفظوا لوقت الزواج بِمَظاهرِ الْحنان الْمُخْتَصَّة بالْحب الزوجي. وعليهم أن يتعاونوا على النُّمو فِي الطهارة"[١١]. ويُمكننا أيضًا أن نُضيف الدوافِعَ التالية:

١) إن العفة هي ما يَتَسَلَّح به الشاب(أو الشابة) لِمعرفة ما إذا كانت الْخطيبة (أو الْخطيب) تُحِبُّه بالفِعْل،

٩- " قرار موت الطفل الذي لم يُولد بعد ، لا يَعود إلى الأم فقط ... والِد الطفل قد يَقترف ذنبًا لاعندما يَدفع المرأة دفعًا صريحًا إلى الإجهاض وحسب ، ولكن أيضًا عندما يشجع قرارها بطريقة غير مباشرة فَيَدَعُها وحدَها في مواجهة المُعْضِلات الناشئة عن الحمل ... ولايمكننا أن نسكت أيضًا عن الدوافع الصادرة أحيانًا عن المحيط العَيْليّ الأوسع وعن الأصدقاء . وكثيرًا ما تخضع المرأة لضغوط قوية تَضطرُّها نفسيًا إلى الرُّضوخ للإجهاض" . **يوحنا بولس الثاني** : *إنجيل الحياة (Evangelium Vitae)* ، رقم ٥٩.

١٠- راجع **يوحنا بولس الثاني** : *إنجيل الحياة (Evangelium Vitae)* ، رقم ١٣.

١١- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* رقم ٢٣٥٠.

– لأنه إذا كان شخص يُحب الآخر بالحْقيقة فهو لا يَدْفعه إذًا إلَى الحْطيئة عارفًا أنه بذلك يُقَلِّلُ مِنْ شَأنِهِ أمام الله ويَجعله يفقد النعمة ويُعَرِّضه للدَّينونة الأبدية.

– ولأن هذه هي الطريقة الوحيدة التِي يُبَرْهِنُ بِها الشاب أو الشابة على أنه بالحْقيقة يريد أن يُخَصِّص نفسه حَصْرِيًا لِمَنْ سيكون شريكَ حياته. وبالفعل فإن مَن لا يَقْبَل أن يعاشر خطيبته (أو خطيبها) –وهي التي يكون معها مُعَرَّضًا للتجارب بطريقة أكبر– فهو على الأَرْجَح لن ينْزلق إلَى علاقات مع أُخْرى سِواها. وعلى العكس، فهما إذا ما مارسا تِلك العلاقات فيما بينهما عالِمَيْنِ أن ذلك قد يدفعهما إلَى زواج متعجِّل أو إلَى نوع من الفضيحة الاجتماعية، فَمَنْ يَضْمَن أَلاَّ يفعل هذا الشاب نفس الشيء مع أُخْرَيات –أو تفعله هي مع آخَرين– لا يربطه بِهن أيُّ الْتِزام من أيِّ نوع؟ إن عدم الرُّضوخ لإقامة علاقات قبل الزواج لَهُوَ علامة على الوفاء؛ أما العكس فقد يكون مؤَشِّرًا للخيانة.

– وأخيرًا فإن من يَنجح فِي أن تُحتَرَمَ عِفَّتُه الذاتية فهو يتسلح بالبرهان الذي يؤكد له أنه مَحبوب حقًّا. وفِعلاً، فإن الْخطيبة التي يطالبها خطيبها بِمعاشرته (أو العكس)، إذا ما امْتَنَعَتْ عن إقامة علاقات معه بسبب مُراعاة الفضيلة، فهي تواجه بِذلك احتمالَيْن: فإما أن يَحترم خطيبها قرارها ويشترك معها فِي رغبتها فِي العفة، وحينئذ يكون ذلك خير ضامِنٍ على أنه يَحترم الآن حُريتها، ويكون ذلك بالتالِي ضمانًا على احترامه اللاحق لَهَا فِي الزواج؛ الاحتمال الآخر هو أن يُهَدِّد بتَرْكِها (ومن الْجائز أن يُنَفِّذ هذا التهديد)، ويُشَكِّل هذا حلاً مُسْبَقًا لفشلٍ لاحق لِهذا الزواج، لأن الْخطيب الذي يهدد خطيبته (أو العكس) لأنَّها (أو لأنَّه) قررت أن تسلك بِحسب الفضيلة يُعَبِّر عن استناده فِي هذه الْخطوبة على الْمتعة وليس على الفضيلة، وهذه هي بالضَّبط الأرضية التي تُبنَى عليها كلُّ الزيجات التِي تنتهي بالانْهيار.

٢) العِفَّة شيء أساسيٌ لتربية الطِّباع

إن الشاب أو الشابة اللَّذَين يَصِلان إلَى مرحلة الْخطوبة ويتَوجَّهان نَحو الزواج لا يُمكنهما أن يتحاشَيا وُجوب أن يساعدَ الواحد منهما الشَّريك الآخَر للمستقبل فِي أن يَضبِط طباعه. فالنُّضوج النفسي هو عمل يستمر طَوال العمر ويقوم على تكوين إرادة صَلْبة قادرة على التشَبُّث بالْخير على الرَّغم من الْمَصاعب الكبيرة. وكما أَنَّ الآباء يهتَمُّون بِمساعدة أبنائهم للوصول إلَى هذا النضوج، فكذلك أيضًا يَجب على الْخطيب أن يساعد خطيبته والزوج زوجته والعكس صحيح. ويُعْتَبَرالاجتهاد فِي مَجال العِفَّة شيئًا أساسيًا لِبُلوغ هذا الْهدف، حَيْثُ أَنَّها مَصْدَر من الْمصادر الرئيسية للتجارب بالنسبة للإنسان، وبالتالِي فهي مَجالٌ رئيسي للتَّدَرُّب على ضَبْط النفس [١٢]. وبالتالِي فإن من لا يَجتهد فِي هذا لا يكون غيرَ طاهر فقط بل قد يصير رجلاً أو امرأة بلا شخصية وبلا خُلُق [١٣]. فمن لا يقدر أن يَضبط نفسه فِي مَجال العفة لن يستطيع أن يَضبِطها فِي الْمجالات الأخرى للنفسية البشرية؛ فَمَن اعتاد على القيام بأعمال غير طاهرة عند مواجهته للتجارب ضدَّ الطهارة فإنه سيَضرب امرأتَه وأولاده عند مواجهته للتجارب الْمتَعلِّقة بالصبر، كما أنه سيَرُدُّ على مصاعب الْحياة بالوقوع فِي

١٢- " تتضمن الطهارة تعلمًا للسَّيطَرة على الذات ، التي هي تَدَرُّب على الحرية الإنسانية . والخِيار واضح : فإمَّا أن يُسيطرَ الإنسان على أهْوائه وينالَ السلام ، وإما أن يَرضى بأن تستعبدَه ويُصْبحَ تَعِسًا " . (*التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* رقم ٢٣٣٩).

١٣- لقد أكد البابا يوحنا بولس الثاني على أن الشخصية البشرية تتضمن مُكوِّنًا أساسيًا ألا وهو ضَبْطُ النفس (كرازة يوم ١٩٨٤/٨/٢٢ في جريدة الأوسرفاتوري رومانو، ١٩٨٤/٨/٢٦ ص ٥٢٣ رقم ١) . " الإنسان هو شخص بصفة خاصة لأنه سَيِّدُ نفسِهِ وقادرٌ على ضَبط نفسه (*نفس المرجع* رقم ٥) "إن ضبط النفس يُمَثِّل مُكوِّنًا أساسيًا للشخص".

حالة من الانْهيار النفسي، وسيَرُدُّ على تَجربة الطَّمَعِ بِالسَّرِقَة والإخلال بالعدالة، وسيكون جوابه على التجربة ضد الرجاء هو الإنتحار.

٣) العِفة ضَرورية لأن السعادة الْحقيقية تستند إلَى الفضيلة

إن الفضائل تَحْتَوي على ارتباطٍ فيما بينها. ولذلك فإنه لا يُنْتَظَر أن تُعاش الفضائلُ الأخرى الْخاصة بالْخطوبة والزواج إذا لَم تُمَارَس العفة. إذا لَم تُمَارَس العفة فلماذا إذًا تَجِب معيشةُ الإخلاص ونُكْران الذات والتضحية والْمُرافَقة والرجاء والثقة والسند الْمتبادل، إلَى آخره؟ فالعفة ليست أصعب الفضائل؛ على الأقل هي ليست دائمًا أصعب من التواضع والصبر عندما تُؤَدِّي حَميمية الزواج إلَى إظهار عُيوب شريك الْحياة التي لَم تَكُنْ تُرى أَثناء الْهَيام الْمُصاحِب لفترة الْخطوبة. ولذلك فإن الْمحافظة على الطهارة تُمَثِّل ضمانًا بالنِّسبة للاستعداد ِلاكتساب الفضائل الأخرَى.

يُمكننا أن نستنتج أنَّ الْحب الذي لا يَعرف كيف يَنتظر ليس هو بِحُبٍّ، وأن الْحب الذي لا يُضَحِّي بنفسه ليس هو بِحُبٍّ، وأن الْحب الذي لا يتضمَّن الفضيلة ليس هو بِحُبٍّ.

الفصل الثاني

العائلة والْمُجتمع [١٤]

إن الْمُؤَسَّسة العائلية صارت هدفًا لكثيرٍ من الْهَجَمات الْهَدَّامة على مَدار القرن الْحالِي. تَكفينا فقط الإشارة إلَى بعض الأحكام الْهِجائِيَّة والإنتقادات التي وُجِّهت إليها؛ مِثالاً لذلك نَذكر [١٥]:

- هـ . فون دودِرْز (H.Von Doders): "مَنْ يُعَرِّض نَفْسَهُ للعائلة، يَتعرَّض للموت".
- كورْت توسكولْسكي (Kurt Tuscholsky): "صلة القُربَى جَرْحٌ يَفرِضه الله على الأشخاص الأصِحَّاء لكي لا يكونوا وَقِحين".
- سيبستيان هوفْوِير (Sebastián Hoffuer): "الزواج هو بِمَثابَة حَضانة أطفال لا غِنًى عنها".
- أ . سْتْرِينْدْبَرْج (A. Strindberg): "العائلة مكانٌ كلِّ الرذائلِ الإجتماعية"؛ "العائلة هي جَهَنَّمُ الأطفال".
- إي أَنْيولِي (I. Agnoli): "إن العَدُوَّيْن الْحقيقيَّيْن للديموقراطية اليومَ هُما الزواج والعائلة".
- إي هاللر (I. Haller): "إن العائلة هي مُنظَّمة خاسِرة".
- فِ چيرهاردت (V.Gerhardt): "العائلة هي 'عَدَمٌ' تَرْبَوِيٌّ". إلَى آخِرِه.

إنَّ أصل نَشْأَة العائلة قديـــم قِدَمَ الإنسانية نفسِها. ويُقدِّمها لنا التاريخ عند غالِبِيَّة الشعوب الْمُتَحَضِّرة فِي صورة الزواج الأَحاديّ (زوج واحـد لامـرأة واحـدة) الذي يُدار تَحت سُلْطَة الأب. أما العائلة الْمتعدِّدة الأَطْراف (رجل مع أكثر من اِمرأة، أو اِمرأة مع أكثر من رجل) فهي شيء نادر ويَظهر خاصة فِي الْحضارات الْمُنْحَطَّة. وذلك يَضْطَرُّنا إلَى التفكير:

ما هي الوظائف التي تُحققها العائلة فِي الْمجتمع؟

١- العائلة هي مُجتمع طبيعي

ما هي العائلة؟ إن العائلة هي الْجماعة الْمُكوَّنة من الأَبَوَيْن والأبناء. وتَســتمِدُّ نَشْــأَتَها من مُيول الطبيعة البشــرية نفسها التِي تَجعل رجلاً ما يَتَّحد إلَى الأبد بِامرأة مُعَيَّنة فيُثْمر هذا الاتِّحاد ويصير خَصْبًا مُعْطِيًا حياةً جديدة متمثِّلة فِي الأبناء.

ونَحن عندما نقول أن العائلة هي مُجتمع طبيعي إنَّما نريد أن نقول أنَّها ليســت اِخْتِراعًا بشــريًا. لقد اخترع الإنســان البُنوك ونَوادي كرة القدم والْمَطاعم... ولكنه لَمْ يَخترع العائلة. إن العائلة هي شـــيء طبيعي مِثْلُها فِي ذلك مِثْلُ مَيْلِ الرجل نَحوَ الْمرأة وميلِ الْمرأة نَحو الرجل. فلا الدَّولة ولا الْحكومات ولا الأمم خَلقتْ العائلة وإنَّما على العكس فإن العائلة هي التي صنعت الأمم والْحكومات والدُّوَل.

١٤- راجع **چوهانز مِسُّـنَـر** (Johannes Messner) ، *مجلة العائلة* - ١- *الفلسفة الإجتماعية* - موسوعة ريالب الكبيرة- مدريد ١٩٨٩ الْمُجلَّد التاسع - صفحة ٧١٥ ت (Familia .I. Filosofia Social , en Gran Enciclopedia Rialp , Madrid 1989 , t. IX , pp. 715 ss) .

١٥- راجع **نورْبِـــرْت مارتين** (Norbert Martin) ، *الهَيكلِيَّات التقليدية للعائلة في الأزمنة الهامة* ، محاضـرة في الجامعة الحَبْرِية الكاثوليكية الأرچنتينية ، مَعهد أخلاقيات طِبِّ الأَحْياء .

إن كل الْمجتمعات التي حاولت تَحطيم العائلة انتهت إلَى تَحطيم الإنسان نفسه والْمجتمع نفسه. ولذلك كان تْشِسْتِرْتون (Chesterton) يقول: "هذا الْمُثَلَّث الذي يَتكوَّن من الأب والأم والِابن هو غيرُ قابِلٍ للتحطيم؛ ولكنه يستطيع أن يُدَمِّر الْحضارات التي تَحتقره".

من أَجْل هذا السبب يَمْتلك الإنسان الْحَقَّ الطبيعي فِي أن تَكونَ له عائلة. وهو حق من حُقوقه الأساسية. وكلُّ إنسان –إن استطاع– له الْحق فِي تَكوين عائلة. وبطريقة مُوازِيَة –وحتى إن لَم يكن ذلك مُحترَمًا اليوم– فإن كل إنسان له الْحق فِي أن يُولَد داخل عائلة: ذلك هو ما تَقتضيه كرامتُه البشرية ويَتطلَّبه تكوينُه الإنساني والروحي. وكما أن الكائن البشري لا يُمكن أن يَتكوَّن إلا إذا تواجد داخل رحم اِمرأة هي أُمُّه، فكذلك لا يُمكنه أن يَتكوَّن وأن يَنضُج على الصعيد العاطفي والأخلاقي والروحي إلا داخل عائلة حَسَنَةِ التكوين. كان القُدماء يقولون أن العائلة هي بِمَثابَة "رَحِمٍ روحي" (القديس توما الأكويني). ونَحن لا نُنكِر أن هناك حالات واستثناءات لأطفال يَفتقرون إلَى العائلة وتُعَوِّضُهم مَحبة أشخاص آخَرين عن هذه النَّواة العائلية التي كان من الْمُفترَض أن يُولَدوا فيها. ولكن وجود هذه الْحالات – حتى لو كانت أَغْلبية – لا يعنِي أن هذا هو الوَضْعُ الأَمْثَل.

إن العائلة هي مُجتمع حياة. وهي الْجماعة الْمؤسَّسة من الطبيعة نفسِها للعناية باحتياجات الْحياة اليومية. ولذلك كان أرِسْطو يقول قديمًا – مُشيرًا إلَى الشُّعَراء – إن أفراد العائلة هم رُفَقاء الْمائدة والبيت، فهُمْ فِي الواقِع رُفقاء اللَّعِب والتربية ورفقاء الِانفتاح والنُّمُو النفسي والعاطفي. فأوَّل أشخاص يلعب معهم الطفل القادم حديثًا إلَى هذا العالَم هم أَبَواه الشابَّان ثُمَّ بعد ذلك إخوتُه. وأفراد العائلة هم رُفَقاء فيما يَتعلَّق بالتبادل الروحي وقُبول الآخَر والتكوين الثقافِي. ومِما يَدعو للأَسَى رؤيةُ كثيرٍ من العائلات العَصْرِية التي جَعلت من "مَنْزِلِها" مكانًا للنوم ليلاً فقط؛ فلا يأكلون معًا ولا يتحدثون معًا ولا يُصَلُّون معًا. عائلة كهذه هي سفينة تَغْرَق.

٢– العائلة و الْمجتمع

ولَكنَّ العائلة ليس لَدَيْها دَوْر أساسي فقط فيما يتعلق بكل فَرْد من أفرادها أو الْمشترِكين فيها هي بِذاتِها (كالأب والأم والأبناء والإخوة)، ولكنها تَلعب أيضًا نفس الدور فيما يَختص بالْمجتمع البشري الذي تَنتمي اليه: كالْمدينة أو القرية أو الأمَّة الإنسانية عامة. ما هو هذا الدور؟ نستطيع أن نُبْرِز ثلاثة أَبْعاد لِهذا الدور، أيْ كَوْنَ العائلة خَلِيَّة الْمجتمع بالْمعنى البيولوچي والأخلاقي والثقافِي.

إن الْخَلِيَّة هي أوَّل وأصغر عُنْصُرٍ حَيَوِيّ يُعطي الْحياة لأيّ كائِن. بعض الكائنات تتكون من خلية واحدة وآخرون – مِثلُنا – يَمتلكون ملايين الْخَلايا. ولكننا نَحيا لأن هذه الْخلايا تَحيا وتتكاثر وتنمو. وعندما تأخذ خلايا كائنٍ ما فِي الانْحلال، فإن هذا الكائن يَشيخ ثُمَّ يَموت تَمامًا عندما تَموت كل خلاياه.

١) الْخَلِيَّة البيولوچية

عندما نقول أنَّ العائلة هي الْخليَّة البيولوچية الْمُكوِّنة للمجتمع فإننا نريد أن نقول بذلك أنَّها أصـــغر وَحْدَة تُعطي الْحياة للمجتمع. فأيُّ بَلَدٍ أو أُمَّة تعيش وتنمو بالقَدْر الذي تَملِك فيه عائلات تعيش وتنمو وتُنْجِب عائلات جديدة، أيْ عندما يتزوج أبناؤها بِدَوْرهم. فالْمجتمع الكامل – كما يَجب أن تكون عليه أيَّةُ أُمَّة – لا يعيش بفَضْـل الأفراد وإنَّما بفَضْـل العائلات. قد يتمكن الأفراد من إنْجاب أفراد جُدُد، كما يفعل مثلاً من يُمارســون الْمعاشَــرة الْجنســية بدون تكوين عائلة. ولكن هؤلاء لا يُعطون الْحياة للمجتمع لأنَّهُ خارجَ العائلة يكون الأبناء غيرَ مَرغوبين باســـتثناء بعض الْحالات الطارِئَة والْمنعزلة، كما أنَّ خارجَ العائلة لا يَتَلَقَّى الأبناء ما يَحتاجونه من أجل تكوينِهم النفســي والعاطفي والأخلاقي والروحي: فِي الواقع لا يستطيع أن يُعطي ذلك إلا أَبَوَان مستقِرَّان. من أجل هذا فإنه بالقَدْر الذي تُحَطَّم به العائلة يَتحطَّم الْمجتمع.

فِي هذا الْمَجال لا يُوجد مِثال أوضح مِمَّا تُقدِّمه لنا البلاد التِي تُعْتَبَر العائلة فيها أُضْحوكة من الزمن الفائِت، حيث يتحدَّثون عن "نَماذِجَ عائلية بَديلة" مثل: "العائلة الْمُتَبَنِّيَة" و "العائلة الْمُتوالية" و "العائلة الْمُرَمَّمة" و "العائلة الْمفتوحة" و "العائلة كواجهة" و "العائلة الْجُزئِيَّة" و "العائلة متعدِّدة الآباء" و "العائلة أحادِيَّة الوالِدِيَّة"، إلخ. هؤلاء يُقَلِّلون نسبة الْمَواليد ويرفعون نسـبة الْمُتَوَفِّين، فيَزْداد عدد كبار السـن ويَقِلُّ عدد الأطفال أكثر فأكثر؛ يُشْـبِه هذا جسـدَ الشـيخ الذي يَنحني تَحت وَطْأة السنين فيُصبِح سَيْرُه بطيئًا ويَتعرَّض للشَّلَل تَدْريـــجيًا حتى يَقَع أخيرًا أسيرًا للفِراش وينتهي بالْموت. فإذا كانت حالَتُه الاقتصـــادية أفضـــل من غيره – كما يَحدث فِي بعض البلاد– فإن ذلك لا يعنِي شـــيئًا مُختلفًا: لأننا نَجد بعض الأشـخاص الذين يَزْدادون بُخْلاً مع كِبَر سـنِّهم فيَمْتَلِكون أموالاً أكثر من ذِي قبل، ولكن ذلك لا يُعيد إليهم شـبابَهم ولا يَجعلهم أكثر سعادة كما لا يُؤَخِّر فِي شيء ساعة مَوْتِهم. إن فِي ذلك لَتَحْذيرًا جادًا للبلاد الغَنية والتِي تَتَّصف بقَدْر كبير من الأنانية حيث أنَّها وَضعت مَثَلَها الأعلى فِي مُجتمعٍ مادِّيٍّ لا يوجد فيه زواج مستقِرٌّ ولا عائلة ولا أبناءٌ مُزْعِجون... كما لا يوجد فيه الآن، بِفَضْـل الْمَلاجِئ الْمُخَصَّصـة لكِبار السن وبواسطة ما يُسَـمَّى بالقَتلِ الرَّحيم، عَجائِزُ يَحتاجون للرِّعاية... هذه الْمجتمعات هي فِي طريقها إلَى الْموت.

٢) الْخَلِيَّة الأخلاقية

العائلة ليسـت خليَّة للمجتمع بالْمفهوم البيولوچي فقط، لكنها أيضًـا خلية بالْمعنى الأخلاقي. ما معنى هذا؟ إن هذا يعنِي أنَّ اكتسـاب وتَطَوُّر كلِّ القِوَى الروحية والأخلاقية للإنسـان هي مسـألة متعلِّقة بالتربية العائلية. لقد أطلق عليها تِيودور هوس (Theodor Heuss) – وهو أول رئيس ألْمانِي بعد الْحرب العالَمية الثـــــانية– تعبيرًا مُوَفَّقًا جدًا حين أسْماها "مَسْـكِنَ البشـرية". ففي داخل العائلة يَكتسـب كل رجل وكل امرأة القاعدة الرئيسـية لغِناهم الداخلي والروحي، هذا الغِنَى الذي سـيَقْدِرون على نَشْـرِه فِي الْمجتمع بعد ذلك. وهذا يعنِي أنه فِي داخل العائلة أيضًـا يَحْصُـل الْمَرْءُ على الفضـائل الاجتماعية الرئيسـية. فإن الْمجتمع الذي يَتَحَلَّى أفرادُه بالفضـائل الاجتماعية، هو مُجتمع يسـير بصـورة جيدة. أيْ عندما يُمارِس هؤلاء الأفراد العدل والْمحبة للقريب، وعندما يعرفون كيف يُمارسون السُلطة بطريقة مناسبة ويَخضعون للقوانين. هذا الشـــيء لا يُعلِّمه الْمجتمع بل العائلة. لأن الأفراد الذين تَلَقُّوا فِي عائلتهم مِثالاً للعُنف والبَطالة يكونون على نفس هذه

الصورة فِي الْمجتمع. ومن لَم يكن لديهم عائلة وكَبِروا فِي الشارع متروكين من أَبَوَيْهم فإنَّهم يواجهون خَطَرَ عدمِ التَّكَيُّف مع الْمجتمع.

لا يوجد بَديل للعائلة من وَجْهة نظر علم التربية الاجتماعية: ذلك لأن العائلة هي التي تُعلِّم الشخص كيف يصير مُواطنًا صـالِحًا. فحِين يتعلَّم الطفل أن يَحترم أبويه وإخوته حينئذ يتعلم كيف يَحترم وطنَه. وبينما يتعلم الْمَرْءُ أن يَحْمِي أبناءَه وامرأته فهو يتعلم أن يُضَحِّي بذاته من أجل بلده. ويصير الشخص نافعًا للمجتمع بالقدر الذي به يكون مُخْلِصًا واجتماعيًا مع عائلته وبتطبيقِه لِمَبْدأ التضحية بالذات ومشاركة هذه العائلة أحوالَ الفَقْر والألَم.

عندما يُحارِب بلدٌ ما العائلة أو عندما لا يَحميها أو يُفيدها فإنه يكون كَمُرَبِّي غِربانٍ سـتَفْقَأُ لِلْوَطن عَينَيْه. إنه بذلك يَصنع أفرادًا فاسدين ذَوِي رَذائلَ سيَقْلِبون بعد ذلك مُجتمعَهم نفسَه رأسًا على عَقْب.

٣) الْخَلِيَّة الثقافية

والعائلة أخيرًا هي خليَّة الْمجتمع بالْمفهوم الثقافِي. تَتميَّز أُمَّة عن أخرى وتكون لَها هويَّتُها الْخاصة بفضل قِيَمِها الثقافية الْخاصة بِها. وهي تُثرِي الشعوب الأخرى لأن عندها أشياءَ جَميلةً خاصة بِها لا يَمْلِكُها الآخَرون. لِهذا يُعْجِبنا أن نَزور بلادًا مُختلفة عن بلدنا لأن لديها عادات وتقاليد طَريفة خاصة بِها مِثلَ الأغانِي والرَّقَصات والعادات والثِّياب والرَّسم والعِمارة والتاريخ والْمُؤَسَّسات... . وعندما نكون خارجَ وطنِنا فإننا نتذكَّرُه بِحَنينٍ لأننا نَجد أنفسنا فِي مكان مُختلف، بعيدًا عن لغتِنا وتاريخنا وعاداتنا.

ولكن ما هو الشـيء الذي يَسـمح للثقافة بأن تَدوم؟ ما الذي يُحافظ على اللغة حَيَّةً و كذلك على الطُّقوس والأَسـاطير والعادات؟ ليسـت هي الدولة بل العائلة. لأن اللغة تَنْتقِل من الآباء للأبناء وتَمُرُّ الْحِكايات من الأجداد إلَى الأحفاد ونتعلم العادات من النظر إلَى الأكبر سِـنًّا. كما أنَّ النَّوادر الطَّريفة يَتِمُّ تَبادُلُها عندما تَجتمع العائلة حول الْمِدْفَأَة أَثْناءَ لَيالِي الشتاء... فاذا تَحَطَّمت العائلة فإن الْمجتمع أو البلد أو الأمة تتحوَّل إلَى مَجموعة من الغُرَباء ومن غَريبي الأَطْوار الْمتَّفِقين فقط على العَيْشِ معًا.

من قوانينِ عِلْم الإجتماع أن الشعب الذي يُقَلِّلُ تدريـجيًا عَدَدَ الزيـجات والْمواليد هو شعب ذُو ثقافةٍ فِي سَبيل الإنْحِطاط.

٣- الْخُلاصة

كلُّ ما سَبق يُوضِّح لنا كيف أن كل الْحركات الثَّوْرِيَّة التِي حاولت إقصاء أو إبدال العائلة تَمَكَّنت من ذلك بصفة مؤقتة فقط بواسطة إجْماعٍ فِكْرِيٍّ عام و/أو بِواسطة ضَغْطٍ وعُنفٍ سِياسِيَّيْن مُتواصلَيْن [١٦].

نَستخلص من ذلك النتائج الْهامة التالية.

١٦- راجع: **نوربرت مارتين** ، *المرجع السابق* .

أولاً: إن الحِفاظ على القيم العائلية وتَنْميتَها هو أَمْرٌ يتعلق بصَـــميم كَيانِ الْمُجتمع الْمَدنِي نفســـه. فالحِفاظ على العائلة وتَنْميتُها ومساعدتُها على التَّطوُّر وعلى أن تَحيا بطريقة كَريـــــمة هي مَسْألةُ حياةٍ أو موت بالنسبة لأيَّة أُمَّة. "توجد دَوافِع كافية تَجعلنا نَفترض أنه إذا اعْتُبِرت العائلة اليوم غير مناسـبة لِمجتمعنا فإن الْمجتمع نفسـه يَتلاشَـى من أسـاسـه". تيودور ليدز (Theodor Lidz).

ثانيًا: أيُّ إصلاح اجتماعي يَهدِف إلَى إحياء أو تَحسين الْمجتمع يَجب أن يتمركز حول سياسة عائلية مناسبة.

ثالثًا: يُعتَبَر الدِّفاع عن العائلة واجبًا أسـاسـيًّا لأيَّةِ سـياسـة رَشـيدة وصـالِحة كما يُعْتَبَر جُزءًا من غَريزة البَقاء لَدَى الْمجتمع.

رابعًا وأخيرًا: يَجب علينا أن نَعِيَ أنَّ كل ســـياســـة تَحتوي فِي برامِجها على الطَّلاق والْحَدِّ من الْمواليد والإجهاض والقتل الرحيم، إلخ.، هي أساسًا سياسة مُفَكِّكة ومُحَطِّمة للوَطَن وللمجتمع بصفة عامَّة. لا يَجب أن نَنْخدع من الشِّعارات الزائفة وغَيْرِ الاِجتماعية.

الفصل الثالث

الْحُبُّ الزوجي

١- ما هو الْحب الزوجي

ماذا يعني حُبُّ الأزواج؟ ما الذي يُمَيِّزُه؟ لِماذا يَفْتُرُ فِي حالات كثيرة مع مُرور الأيام؟ وماذا يَجب أن نفعل حتَّى لا يَحدث هذا؟

إن حب الأزواج –ببساطة شديدة وقبل كل شيء– هو: حبٌّ. فالْحب هو **ديناميكية مُوَحِّدة** وهو حركة تَجعل الكائن **يَميل نَحو** شيءٍ يعتبره خيرًا له، إذ يرى الْخير فِي شيءٍ ما فيتحرك للبحث عنه. إنه خُروج من ذاته كي يتَّحد مع ما يُحب ولكي يصير واحدًا معه.

إنه ديناميكية تامَّة؛ الكائن يُحب بكل قواه. النبات "يُحب" بِمعنى أنه يتوجه نَحو خيرِه الذاتِي بفضل قوة مَيْلِه الطبيعي. والْحيوان "يُحب" مع مَيلٍ حِسِّيٍّ بِمعنى أنه يتوجه نَحو ما تُقَدمه له معرفته الْحِسِّية كخيرٍ له. وبدَرَجة أسْمَى فالإنسان أيضًا يُحب ولكنَّ حبَّه يكون أساسًا حبًّا روحيًّا مِثلَ نفسه ومِثلَ إرادته؛ فهو حُبٌّ حُرٌّ. فالذي يُقَدم له الْخير هو فَهْمُه العَقلي، وتتحرك إرادته بِحُرِّية نَحو هذا الْخير. إنه يُحِبُّ لأنه يريد أن يُحِبَّ.

حبٌّ عَطوفٌ: إن حب الأزواج هو حبٌ ولكن أيُّ نوع من الْحب هو؟ يُوجد نوعان من الْحب: نوعٌ يبحث فقط عن منفعتِه الشخصية (منفعتي أنا)، إنه الْحب الأنانِي. والنوع الثانِي هو الْحب الذي يبحث عن خير الْمَحْبوب، وهو الذي يُطلَق عليه اسم الْحب العَطوف (de benevolencia)، إنه حبٌ كريمٌ. لا يستطيع أيُّ شخصٍ أن يعتبر النَّوْع الأول حبًّا كاملاً. فالكل يريد أن يكون مَحبوبًا بِحسب النوع الثانِي: فنحن لا نريد أن يُبْحَث عَنَّا بِهدف الْمُتعة بل أن نَكون مرغوبين لأجل ذَواتِنا. فَلْنُقِرَّ إذًا بأن الْحبَّ الْحقيقي يَجب أن يكون مِعْطاءً (de benevolencia).

حبُّ صداقةٍ: تُوجد أيضًا دَرَجات للحب العَطوف. وَأَعْلَى درجاتِه يَحتَلُّها الْحب الْمتبادَل؛ وهو الذي نُطْلِق عليه اسم حب الصداقة وهو الْخاص بالأصدقاء: "إن الصديقَ هو صديقٌ لصديقه". الْمحبة، مثلاً، هي حبُّ صداقةٍ: *لا أدعوكم بعدُ عبيدًا بل أَحِبَّاءَ* (يوحنا ١٥/٥). بنفس الطريقة يكون حب الأزواج حبَّ أصدقاءَ. هذا يعني أنه حب متبادَل. لا توجد صداقة حيث لا يكون الْحب متبادَلاً، كما لا يوجد حب بين الأزواج عندما لا يتوافقان فِي الْحب.

حبٌّ اِنْتِقائيٌّ: أخيرًا هو حب انتقائي. بِمعنى أنه يَختار مَن يَحب. فهو يَختار واحدًا من بين كثيرين أو واحدة من بين كثيرات. ويَختار ذاك أو تلك دون سِواهُما. على أيِّ أساس؟ بِحسب معاييرِ القلب! وهو شيء لا يستطيع أحدٌ أن يُحدِّدَه. إن أسباب القلب هي شيء فَريد جدًا من نوعِه:

إن الْحب قَوي، قويٌّ لدرجة
أنه يتخطَّى كلَّ مَنْطِق ... (خورخي مانريكي Jorge Manrique)

إنه يَنتقي بِحَسَبِ الفضائل؛ فإنه لا يُحَبُّ شخصٌ أبدًا بسبب رذائله أو عيوبه. إننا نُحب شخصًا ما لأنه طيبٌ أو أمينٌ أو ظريفٌ أو متواضعٌ أو عَفيفٌ؛ وليس لأنه متكبرٌ أو كاذبٌ أو منتقمٌ أو نَجِسٌ. ويَختلف تَواجُد الفضائل (الطبيعية أو الفائقة الطبيعة) من شخص إلَى آخر. لِماذا يقع شابٌّ فِي غَرام مَجموعة الفضائل الْموجودة عند شابَّة مُعَيَّنة ولا يَجذِبه ما يراه عند شابة أُخرَى؟ القلبُ وحدَه يَعرف ذلك! ولكنّي أُؤَكِّد أنَّ الرذائل لا تُحَبُّ، بل بالأَحْرَى أنَّ الْحب يُغَطِّي العُيوب: *الْمحبة تَغْفُر كلَّ شيءٍ* (١ كور ١٣/٧).

٢- نَفْسِيَّة الْحب

نستطيع إذًا مِما سَبق ذِكرُه أن نُحدِّد خصائصَ الْحب الزوجي وكذلك بعضَ التجارُبِ الْمُعاكِسة له.

١) أولاً: يَجب أن يكون تامًا

لِماذا؟ لأنه حب. فالتَّمام هو جزء من طبيعة الْحب. وكل كائن يُحِب على قَدْر طاقته، ولكنْ بكل كَيانه. فالنَّبات يُحب حُبًّا طبيعيًّا ولكنه يفعل هذا بكل طاقتِه؛ وكذلك الْحيوان، يُحب كحيوان وبطريقة حِسِّيَّة وشَهْوانية فقط ولكنه يُحب بكل ما لديه من حِسٍّ وشهوة؛ وعلى الإنسان إذًا أن يُحِبَّ كإنسانٍ أيْ بكل كيانِه: بنفسِه وجسدِه. إنَّ حبَّ الله نفسَه يكون هكذا: يَتميَّز كَمال الْحبِّ لله بِخاصِّيَّة أن يَتَوَجَّه الإنسان نَحوه تعالَى ليس فقط بالإرادة ولكن بالعَواطف الْحسية، كما يقول الْمزمور: *يُهَلِّل قلبي وجِسمي للإله الْحَي*. (مزمور ٨٤/ ٣) [١٧]. إن الْمعنَى هنا باختصار، هو "بِدون تَحَفُّظ". يَجب على الرجل أن يعطي زوجته كلَّ ما يَملِك وكذلك على الْمرأة أن تَمنح زوجها كلَّ ما تَملِك: نفسَها وجسدَها وعواطفها وحاضرها ومستقبلها.

اِنطلاقًا من وجهة النظر هذه فإن كل "إنقاصٍ" هو عَدُوٌّ للحب الزوجي. فعندما يَزْعَم الْمَرْءُ تقديمَ حنانِه بدون أن تُصاحِبه إِمْكانِيَّة التناسل فإن عَطاء الذات فِي هذه الْحالة يكون منقوصًا. نفس الشيء يَحدث بين الأزواج عندما يَبْخَل أحدهُما فِي إظهار عواطفِه للآخَر، وعندما لا يترافقان فيما يَختَصُّ بالأُمور الروحية أيْ عندما يكون الاتِّحاد جسديًّا فقط بَينما تبقَى الأرواح متباعِدة.

أُنظر إلَيَّ فِي عينيَّ! ... لا شيءَ هناك!
لِماذا ؟ لَمْ أَعُدْ أفهم ما تقوله نَظَراتُك!
لَمْ أعد أستطيع أن أرَى كما مِن ذي قبل
إرادتَك الْخَفِيَّة...
ها هما العَيْنان اللَّتان كانتا كلَّ حياتي
قَدْ صارتا صامتتَيْن تُجاهي! (خ. م. پيمان – J.M.Pemán)

١٧- القديس توما الأكويني (Santo Tomás de Aquino) الخلاصة اللاهوتية (Suma Teológica) المُجلّد الأول - الجزء الثاني - ٣/٢٤ .

٢) ثانيًا: يَجب أن يكون دافعًا للوَحدة

كما سَبق وقُلنا: إن الْحب هو قوةٌ مُوَحِّدَة . هو يُوَحِّد بين شخصين مُختلفين ولكنهما يكَمِّلان بعضُهما البعض. يَجب أن يُبذَل فيما بين الزوجين مَجهودٌ حقيقيٌّ دافعٌ للوَحدةِ. فِي الْمَقام الأول تأتِي الوَحدة الْجسدية: إن الفعل الزوجي هو الفعل الذي يرمز إلَى جَميع أنواع الوَحدة الأخرى. *يصيران جسدًا واحدًا*. (تك ٢/٢٤). هي وَحدة عاطفية: إذ أن كلاً من الزوجين لديه نفسية خاصة به كما أن لديه طَبْعًا ومَزاجًا خاصًا وهي كلها أشياء لا يَفقِدها الْمَرء عند الزواج. فعليهما أن يرافق أحدُهما الآخَر عاطفيًّا. يقول القديس بولس أيضًا: *مَن يَضعف دون أن أَضعف أنا أيضًا*؟ (٢كور ١١/٢٩). وهي وَحدة روحية: يَجب أن يكونا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة، كما كان يُقال عن الْمسيحيين الأوائل: *جَماعة الْمؤمنين كان لَها قلبٌ واحد ونفس واحدة* (أع ٤/٣٢).

ما أكثرَ أعداءَ الْحب فِي هذا الْمجال! قِلة الإِحترام، والغَيْرة وعدم ثبات القلب وعدم التضحية بالذات. كم من الأشياء يَجب مَحْوُها والتضحية بِها والتَّخلّي عنها لِصالِح الْحب الْحقيقي! كان تْشِسْتِرتون (Chesterton) يقول: "مِن الْممكن أن نُشَبِّه ذلك بِبَدْء تَسَلُّق الْجبل. يقوم هذا الْمبدأ على الْمفهوم التالِي: 'لكل شيء ذي قيمة ويَجْدُر التوصُّلُ اليه – حتى بالنِّسبةِ لأَيَّةِ مُتعةٍ كانتْ– تُوجَدُ لَحظةُ أَلَمٍ أو ضَجَرٍ يَتعيَّن على الْمرءِ تَخَطِّيها حتى تستطيع الْمتعة أن تبقَى وتدوم. فَنَشوة الْمعركة تأتِي بعد اللَّحظة الأولَى التي فيها يُخشَى من الْموت، كذلك متعة القراءة لفيرخيليو (Virgilio) تتحقق بعد الضَّجَر الْمُصاحِب لدراستِهِ فِي البَدَاية، وينال الغوَّاص متعة العَوْم بعد تَلَقِّي أول صدمة له مع الْماء الْمثَلَّج، وكذلك يأتِي نَجاح الزواج بعد تَخَطِّي فشل شَهْر العسل'."[١٨] فإنه لا يوجد حبٌ بدون صليب كما أنه لا يوجد صليب لا يكون حبًّا.

إنَّها لَمتعةٌ حيث تُوجد آلام
وآلامٌ حيث توجد بَهجة
وحزنٌ حيث توجد عُذوبة
وجَهدٌ حيث توجد مَخاوف
وخوفٌ حيث توجد جَسارة... (خورخي مانريكي Jorge Manrique)

ولكنَّ الْحبَّ فِي النهاية ينال أُجْرَته.

٣) ثالثًا: يَجب أن يكون مُثْمِرًا

حيث لا توجد ثِمار لا توجد حياة؛ وحيث توجد حياة نَجد ثَمَرًا : *يكون كالشجرة الْمغروسة على مَجاري الْمياه، تُرسِل أصولَها إلَى مَجْرَى النهر، فلا تَخاف الْحَرَّ إذا أَقْبَلَ، بل يَبقَى ورقها أخضر وفِي سنة الْجَفاف لا خوفَ عليها ولا تَكُفُّ عن إعطاء الثمر* (أرميا ١٧/٨). إن الْحب يُثْمر فِي النُّضْج الداخلي للأزواج وفِي الواقع الْخارجي للأبناء.

طوبَى لكَ ...!

١٨- چ . ك . تشِسْتِرتون (G. K. Chesterton) ، " ما هو شر في العالم ، الأعمال الكاملة ، بلازا وخانس ، برشلونة ١٩٦٧، المجلد الأول ص ٧١٥ .

اِمرأتُك تكون مثلَ كرمة مثمرة
فِي جوانبِ بيتك.
وبنوك كغِراسِ الزيتون
حول مائدتِك. (مزمور ١٢٨/٢- ٣).

لا يوجد شيء أسخف من الاعتقاد بأن حب الأزواج يُمكن أن يُنقَذ أو يُحْتَفَظ به، أو حتى أن ينمو، إذا ما حُرِمَ من قوَّته الْمثمرة. إذا فكَّر أحد فِي الْحب بِهذه الطريقة فإنه إذًا لَم يفهم الْحبَّ حقًّا. فعندما يبحث الرجل أو الْمرأة عن حب عَقيم، بدون ثَمر، فإنَّهم بذلك يَقضون على هذا الْحب ذاتِه.

٤) رابعًا: يَجب أن يكون أمينًا

يَجب على الْحب أن يعيش ما يُعَبِّر عنه. لأن الْحب فيما بين الأزواج يَظهر –مثل كل الْمُعاملات بين البشر– ليس فقط بالكلمات ولكن بالأفعال. الأفعال هي لغةُ الْجسد. عندما يلتقي الزوجان جسديًا فإنَّهما "يقولان" بذلك شيئًا. وكما أن الْمصافحة بالأيدي تعني الْمَوَدَّة والقُبْلة تُشير إلَى الثقة والْمحبة، وكما تعبِّر الدموع عن الألَم وتُهدد قبضة اليد الْمرفوعة فِي الْهواء بالانتقام، كذلك تَرْبِتُ راحةُ اليد على كَتِف مريضٍ فتُعَبِّر له عن التعاطف معه. كذلك يكون الاتِّحاد الْجنسي "كلمة" تقول: "أريد أن أمنحَك كلَّ شيء". هذا هو أقصى عَطاء تقدِّمه امرأةٌ لرجلٍ ويقدمه رجلٌ لامرأةٍ. ولكن يَجب على هذه الكلمة أن تكون صريحة بِمعنى أن تُعطي ما تقول أنَّها تعطيه.

هنا أيضًا يكون الكذب شيئًا مُمكنًا. فليس من حَقِّنا أن نُحمِّلَ الكلمات والأفعال الْمعانِي التي تَخْطُرُ على بالنا نَحن. لقد خان يهوذا لغة الصداقة حين استخدم القُبلة ليبيع صديقه. لَم يكن هذا من حقه. كذلك لا يوجد حق يَسمح باستخدام لغة الْجسد على خلاف ما "تقوله" هذه اللغة: إنَّها تقول عطاءً كاملاً، ولذا يَجب بالتالِي أن يكون هذا العطاء كاملاً بالنسبة للجسد وللنفس ولإمكانية أن يُؤَدِّي إلَى نتيجة رائعة ألَا وهي احتمال إيجاد ابنٍ. فأن يُقال "عطاء" حيث لا يعطي الْمَرْء نفسه، أو أن يقال أن الْمرء يعطي ذاته بالكامل فِي حين أنه يعطيها بطريقة جُزئية فإن ذلك يكون كَذِبًا. إن وسائل منع الْحمل هي كذب، وكذلك أيضًا يكون الفعل الزوجي الْخالِي من العواطف كذبًا. كما أن الاتِّحاد الْجنسي بين مَنْ لَم يلتزما إلَى الأبد فِي الزواج هو أيضًا كذب. إذا كذب أحدُهما أو كذب الإثنان فإن النتيجة تكون واحدة: الكِذبتان إذا اجتمعتا لا تُنتِجان حقيقة.

٥) خامسًا: يَجب أن يكون أبديًّا أيْ على الدَّوام

مَعلومٌ بالطَّبْع أنَّ الْحب الْحقيقي هو حب يدوم للأبد. إن معظم القصص والروايات والأفلام هي قصصُ حبٍ. نَجد فيها البطلَ الشابَّ، بعد كثير من الْمصاعب والْمُلابَسات التي لا حَصْرَ لَها، يذهب سعيدًا مع البطلة الشابَّة تاركَيْنِ الْجمهور مقتنعًا بأن سعادتَهما لن يكون لَها نِهاية. فكل رواية حب تنتهي نِهاية حسنة إذا "لَم تنتهِ" بالفعل. أيُّ مَذاقٍ سيكون للرواية إذا ما طالعتنا لافِتة بعد الفصل الأخير مكتوب عليها: "... ثُم عاشا سعيدَيْن لِمُدَّة خَمْسِ سنين وبعدها

انفصـــلا بالطلاق وذهب كلٌّ منهما فِي طريقِه"؟ ســـيُخَيّب ذلك أملَنا لأنَّهما لَم يفهما ما هو الْحب. فلا يكون أيُّ حبٍّ حقيقيًّا إلا إذا كان يَنْوِي أن يصـير أبديًّا. ولا يكون أيضًـا حقيقيًّا إذا خار وتزعزع عند مواجهة الصـعوبات الأولَى. الْحب الْحقيقي لا يَموت حتى لو انْهار العالَم.

٣- قوانين الْحب [١٩]

مِثْلُه مِثْلُ كلِّ الأشياء، فالْحب له قوانينُه التي يَجب أن تُحتَرَم حتى ينمو هذا الْحب ولا يَذْبُل. ما هي تِلْكَ الشَّرائع؟

شريعة الصِّراع: الْحب هو مَعركة، ولذلك من الضروري أن يُصارِع الْمرء من أجلِه. إنه صراع ضد التجارب وضد اليأس والفُتور وضد الرَّتابة.

شريعة الاِنفتاح: فمن الضروري أن يعيش الْمرء فِي حالةٍ من التَّوجُّه نَحو الآخَر. فالْحب يقتضي التفكير فِي الآخر أكثر من التفكير فِي النفس. إن عدوَّ الانفتاح هو الأنانية.

شريعة الْحَذَر والتَّيَقُّظ: ففي الْحياة اليومية لأَيِّ زوجَين يَجب أن يكون القلب متيقِّظًا حتى يُجَنِّبَهما إفسادَ حُرِّيَّتِهما وحتى لا يرجعا إلَى الوراء فِي وُعودِهما.

شـــريعة الاِلتصـــاق: يَجب على الْمرء أن يَجتهدَ حتى يقضـــي على كلِّ ما يُمكنه أن يُباعِدَ بين الزوج وزوجتِه، مثل الصداقات الرَّديئة والتَّعَلُّق الزائد بالْمادِّيَّات والرذائل والعُيوب.

شـــريعة الرجاء: يَجب أن يوجد اليَقين بأن كلَّ حُبٍّ –إذا عاشـــه الْمرء جيِّدًا– تكون نتيجتُه هي الســـعادة؛ كما يَجب أن يكون هناك رجاء على أن كل عاصفة مصيرُها الزوال وأن كل مشكلة يُمكن التَّغَلُّبُ عليها وأنه لا يوجد شيء غيرَ قابلٍ للإصلاح.

شريعة إعادة اكتساب الْحب يوميًّا: يتطلب الْحبُّ أن يتحوَّل الواحد إلَى شيء مُبْهِرٍ بالنسبة للطَّرَف الآخَر. بِهذا الْمعنى كان باسْكال (Pascal) يقول: "ليس للحبِّ عُمْرٌ، إنه يُولَدُ من جديد دائمًا".

شريعة التَّضحية: حتى يُحِبَّ الْمرء إلَى الأبد يَجب عليه أن يتخلَّى دائمًا عن شيءٍ ما.

شريعة الاِبتهاج: حتى يكون هناك حبٌّ حقيقي يَجب أن يتشارَك الطَّرَفان فِي الْمباهج.

شريعة السلام: حتى يُضْمَنَ السلامُ الزَّوْجي يَجب على الطرفين أن يكونا مستعدَّيْن للتضحية بالأنانية الذاتية لكل منهما وأَلاَّ ينتظرا **أبدًا** أن يكون الآخَر هو البادِئُ بالتضحية.

شريعة التقدُّم: يرتقي الْحب حينما يَتَوَجَّه نَحو الله. لأنه حينئذ يصير لانِهائيًّا.

١٩- بِتَصرُّف من مقولة پول - أوچينيو شاربونو (Paul-Eugène Charbonneau)، دروس استعدادية للزواج ، هاردر ، برشلونة ١٩٨٤ - ص ٩٣- ٩٤.

٤- رَمْزُ الْحُب

إن للحب الزَّوجي رمزًا ألا وهو الصليب. وكما يتكوَّن الصليب من عُودَيْنِ خَشَبِيَّيْن، واحدٌ رأسيٌّ وآخَرُ أُفُقيٌّ، هكذا أيضًا الْحب البشري وخاصةً الْحب الزوجي. فالعود الرأسي يكون مثبَّتًا فِي الأرض ومُصَوَّبًا نَحو السماء، أما العود الأفقي فإنه يشير إلَى طَرْفَيِ العالَم ولكنه مُعَلَّق فِي الْهواء ومُثَبَّت على العود الرأسي. إذا نزعنا العود الرأسي فماذا يَحدث للعود الأفقي؟ إنه يقع على الأرض وينكسر.

إن العود الرأسي هو الْحب لله. أما الأفقي فهو الْحب الذي يُوَحِّد البشر: الآباءَ والأبناء، والزوجَ وزوجته، والإخوة فيما بينهم. ولكن هذا الْحب يكون مدعومًا فقط إذا تَثَبَّتَ فِي حب الله. حينئذ يسنِدُه حب الله ويرفعه.

هذا هو السر الأَسْمَى للحب البشري: فالدافع الوحيد الذي يُحرِّكه هو الْحبُّ الإلَهي. يَجب علينا ألاّ ننسَى ذلك أبدًا.

* * *

إن هذا لَسِرٌّ عظيمٌ! كما يقول القديس بولس. *بالتأكيد هو سر عظيم!* فالزواج هو سر الْحب الْمقدَّس. وسَوف تُهَدِّده مَخاطر جسيمة دائمًا كما يَحدث لكل الأشياء الطاهرة. ومن الْجائز أن تَغْمُرَ الْمياه سفينة الْحب البشري الْهَشَّة فِي كثير من مواقف الْحياة، ولكن الْحَل لا يكون بإحداث ثُقْبٍ جديد فِي الزَّوْرَق بَلْ يكون باستخدام دَلْوٍ، مع الصبر. فِي تِلْكَ الأحوال بالذات يَجب الثبات فِي حب الْمسيح وتقديمُ مَحبةٍ كما يقول الْماركيز دي سانتِيَّانا (El Marqués de Santillana):

أَحْبِب فتصيرَ مَحبوبًا
وقادرًا
على فِعلِ ما لن تفعلَه
إن لَمْ تَكن مَحبوبًا.

حين يسمح الأزواج لِحب الله أن يُظَلِّلَ الْحُبَّ البشري فيما بينهم، حينئذ فقط يستطيعون أن يهتفوا مع عروسِ نشيدِ الأنشاد:

فإن الْحُبَّ قويٌّ كالْمَوْتِ
وَالْهَوَى قاسٍ كَمثوَى الأمواتِ
سِهامُهُ سهامُ نارٍ
وَلَهيبُ الرّبِّ.
الْمياهُ الغَزيرة لا تَسْتَطيعُ أن تُطفئَ الْحُبَّ
والأنْهارُ لا تَغْمرُهُ ولو بَذل الإنسان
كلَّ مالِ بيتِهِ فِي سبيلِ الْحبِّ
لاحْتُقِرَ احْتقارًا. (نشيد الأنشاد ٨/٦- ٧) **الفصل الرابع**

الزواج كعَقْدٍ طبيعي وكَسِرٍّ مُقَدَّسٍ

إن الزواج بين الْمُعَمَّدين هو سِرٌّ مُقَدَّس: فهو العَقْدُ الطبيعي الذي أعطاه يسوعُ الْمسيحُ الكرامةَ بِأَنْ رفَعه وجعله واحدًا من الأسرار التي تأتينا النعمة الإلَهية عامةً من خلالِها.

١- الْمُؤَسَّسة الطبيعية

الزواج من وَجْهة النظر الطبيعية هو شِرْكَةٌ (مؤسَّسة) دائمة بين رجل وامرأة - تتأسَّس باتِّفاقٍ مُشترَك ومُصَدَّق عليه اجتماعيًا - من أجل أن يُحِبَّا بعضَهما بعضًا وأن يُبقِيا على الْجنس البشري من خلال الأبناء. هذا الواقع مطبوع داخل الطبيعة البشرية كما يَتَبَيَّنُ لنا من الناحيتين التاليتين:

- نَجد فِي الناحية الأولَى تَوَجُّهًا فِطريًا متبادَلاً بين الرجل والْمرأة يدفعهما إلَى التقارب والاتِّحاد. وهذا التوجُّه يَنْبُعُ مِن خاصِّيَّة مَيْل الْجنسين إلَى أن يُكمِّلا بعضُهما بعضًا ليس فقط جسديًا (بالاتِّحاد الْجنسي) ولكن أيضًا نفسيًّا وروحيًّا؛ ومن ناحية أخرى ينبُع من غريزة الإبقاء على النَّوْع التي تدفع الأفراد للسَّعْي إلى الدَّوَام.

- وفِي الناحية الثانية نَجد تَوَجُّهًا طبيعيًّا يهدف إلَى تثبيت الاتِّحاد السابق ذِكرُه لأن الطبيعة لا تَميل إلَى الإلتقاءِ الْمحدودِ زمنيًا أو العَرَضِيِّ بل إلَى الإلتقاء الثابت. ويَنْبُع هذا من الْمَيل الطبيعي نَحو الكمال الذاتِي الذي لا يُمكن الوصولُ اليه من خلال اتِّحاد غير منتظِم، وكذلك يَنْبُع من الْحِرْصِ على صالِح الأبناء حيث يتطلَّب تكوينُهم الْجسدي والروحي وقتًا طويلاً.

من هنا نستخرج الْمُمَيِّزات الأساسية لِهذه الْمؤسسة العائلية: غاياتُها وخصائصها الطبيعية. توجد غايتان ألا وهُما الْمساعَدة الْمتبادَلة -أي الْحب الْمتبادَل- والإنْجاب وتربية الأبناء. أما الْخصائص فتتمثَّل فِي الاتِّحاد (واحدٌ مع واحدةٍ) وعدم القابِليَّة للإنفصال (إلَى الأبد). هذا ما سوف نشرحه بتوضيحنا ماذا فعل يسوع الْمسيح بالزواج حينما جعل منه سرًّا مقدَّسًا.

٢- الأسرار الْمُقدسة

لقد جَلب لنا الْمسيح مغفرة الْخطايا والنعمة لنَصير قدِّيسِين وَذلك من خلال موته وقيامته. هذه النعمة وهذه الْمغفرة تَصِلان إلينا من خلال الأسرار الْمقدسة، التي هي "قَنَواتُ" النعمة، كما أنَّها الشرايين التي تتدفق فيها الْحياة الإلَهية النابعة من قلب الله حتى تصل إلَى قلوبنا.

عدد الأسرار الْمقدسة هو سبعة وقد أسسها الْمسيح نفسُه. وهي: العماد والتثبيت والإفخارستية والاعتراف والرُّتَبُ الْمقدسة ومَسْحة الْمرضَى والزواج. ما هو السر الْمقدس؟ هو علامة فعَّالة للنعمة التي نَعني بِها هنا الأشياء الروحية. ماذا يعني هذا؟

– إنه علامة: لقد اِتَّخذ الْمسيح وقائعَ مُختلفةً من حياتنا اليومية، وهي وقائعُ لَها معنى واضح وغيرُ قابِل للنِّقاش بالنسبة لنا. فالْماء مثلاً يعني النظافة والنضارة؛ كما أن الْخبز والْخمر يشيران إلَى الغذاء؛ والزيت يعني العذوبة وهكذا.

– لأشياءَ روحية: فالْمسيح جعل تلك الأشياء تعني، أي تشير إلَى وتُظهِر وتذكِّر– بِجانب معناها فِي الاستخدام اليَوْمي – بأشياءَ روحية وهي الوَقائع التي يَصنعها الله فِي نفوسِنا: فهو يغسلها من الْخطيئة ويَجعلها تُؤلَدُ للحياة الإلَهية ويُعَزّيها ويُواسيها، إلَخ.

– فَعَّالة: علامة فعَّالة تعني أنَّها ليست فقط علامة أو تِذكارًا، إنّما هي تُحقِّق فِعْليًّا ما تَعنيه: فعندما يُسْكَب الْماء على الْمُعَمَّد فِي الْمعمودية تُمحَى خطاياه **بالفعل** ويصير منذ هذه اللحظة اِبنًا لله. وعندما يقول الكاهن: "هذا هو جسدي" يتحوَّل الْخبز بالفعل إلَى جسد الْمسيح، ...إلخ. كما أنَّها تُعطي النعمة بِمعنى أنَّها تَصنع منا قدِّيسين.

٣– الزواج الْمسيحي

كما ذَكَرنا سابقًا فإن الْمسيح رفع الزواج **بين الْمعمَّدين** إلَى مَرْتَبَةِ السِّر الْمقدس. ولا يعني ذلك أن الْمسيح قد "**خلق**" زواجًا "**جديدًا**" بل أنه ببساطة قد "**رفع**" الْمؤسسة الزواجية الْمتواجدة من قَبل إلَى مرتبة وكرامة لَم تكن تَمْلِكُهما، و**وهبها** فاعِلِيَّة فائقة للطبيعة لَم تكن تتمتع بِها مِن قَبْلُ.

يُذكِّرنا الكتاب الْمقدس بذلك بطريقة أساسية فِي أفسس ٥/٣٢ عندما يتكلم عن الأزواج وزوجاتِهم فيقول: *إن هذا "السر" لَعظيمٌ، وإنّي أقول هذا فِي أمر الْمسيح والكنيسة*. يقول الباباوات أن هذا النص "**يوحي**" بأَسرارية الزواج. لقد عَلَّمَت الكنيسة دائمًا هذه الْحقيقة وبطريقة أوضح فِي الْمجمع التريدانتيني: "... الزواج... هو بالْحقيقة وبالأخص واحد من الأسرار السبعة لشريعة الإنْجيل... أَسَّسَه الْمسيح سيدُنا نفسه...، ولَم يَخترعْه رجال الكنيسة، وهو... يَمنح النعمة" [٢٠].

لقد قُلنا أن السر الْمقدَّس يعني علامةً ورمزًا وصورةً لأسرار الْمسيح. فما هو مَظهر سر الْمسيح الذي "يعنيه" و"يُظهره" و"يُذكِّر به" الزواج؟ إن الزواج الْمسيحي "يُذكِّرنا" بالاتِّحاد والْحب الْمتبادَلَيْن بين الْمسيح والكنيسة. هذا ما يقوله القديس بولس (أفسس ٥/ ٢٣– ٣٣): *الرجل رأس الْمرأة كما أن الْمسيح رأسُ الكنيسة التي هي جسدُه وهو مُخَلِّصُها. وكما تَخضع الكنيسة للمسيح فلْتَخضعِ النساء لأزواجِهِنَّ فِي كل شيء. أيها الرجال، أَحِبُّوا نساءكم* ***كما أحب الْمسيح*** *الكنيسة و****جاد*** *بنفسه من أجلها* ***ليقدّسها مطهّرًا إيَّاها*** *بغَسْل الْماء وكلمةٍ تَصْحَبُه، فَيَزفَّها إلَى نفسه كنيسةً سَنِيَّةً لا دنسَ فيها ولا تَغَضُّنَ ولا ما أشبهَ ذلك، بل مقدَّسة بِلا عَيْبٍ* ***وكذلك يَجب على الرجال أن يُحبوا*** *نساءهم حبَّهم لأجسادهم. مَن أحبَّ امرأته أحبّ نفسه. فما أبْغَضَ أحدٌ جسدَه قَطُّ، بل يُغَذّيه ويَعتني به شأنَ الْمسيح بالكنيسة. فنحن أعضاءُ جسدِه. "ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويَلْزَمُ امرأته فيصيرُ الاِثنان جسدًا واحدًا". إن هذا السر لَعظيم ، وإنّي أقول هذا فِي أمر الْمسيح والكنيسة*. إن الزواج يُعْلِن عن الْحب والتَّقْدِمَةِ التامَّة للذات وعن تَضْحِية يسوع الْمسيح بدمه من أجل الكنيسة وهو ما يَعني منحَه لدمِه من أجل كلِّ نَفْسٍ مُفْتَداة.

٢٠- راجع المجمع التريدانتيني ، دز (Dz) ٩٧١.

يقول يوحنا بولس الثاني فِي ذلك: "إن الأزواج هم تَذكيرٌ دائمٌ للكنيسة بِما حَصل على الصليب" [٢١]. إنَّهم بذلك بشارةٌ حَيَّة بِما صنعه الْمسيح من أجل كنيسته.

بالنسبة لغايات الزواج نستطيع أن نقول من وَجْهةِ نظرٍ إيجابية – أيْ آخِذينَ فِي الإعتبار طبيعةَ الزواج نفسَها – أن الأهداف الرئيسية للزواج هي الْحب الْمتبادل وإنْجاب وتربية النَّسْل. إن تعليم الكنيسة يعترف بِهاتين الغايَتين عندما يتحدث عن الْمعنى الْمُزدَوَج أو الغاية الْمزدَوَجة للزواج: الْمُوَحِّدَة والْمُنْجِبَة. هاتان الغايتان الأساسيتان ليستا منفصلتَيْن بل تُكَمِّلان بعضُهما البعض: "... إن الفعل الزوجي، من واقع حَميميَّتِه، بينما **يُوَحِّد** بطريقة عميقة الزوجين، يُصَيِّرُهما مؤهَّلَيْن لتَوْليدِ حَيَواتٍ جديدة، بِحسب القانون الْمَطبوع داخل كيان الرجل والْمرأة" [٢٢].

– الإنْجاب: "وفِي طبيعة الْمؤسسة الزوجية والْحب الزوجي إنْجابُ الأولاد وتربيتُهم، وهم لَهما بِمَثابَة الإكليلِ على الْهامَة" [٢٣].

– الْحب والْمساعدة الْمتبادَلان: "إن الله الذي خلق الإنسان عن حُبٍّ، دعاه أيضًا إلَى الْحب، وهي دعوة أساسية وفِطْرِيَّة فِي كل إنسان... هذا ما يُؤَكِّده الكتاب الْمقدس: *ليس حَسَنًا أن يبقى الإنسان وحدَه*. فالْمرأة، هي *لَحْمٌ من لَحم الرجل*، أي مُساوية له وقريبة منه وقد وهبها الله للرجل *نُصْرَةً* له، وهي تُمَثِّلُ الله الذي منه تأتِي نُصْرَتُنا. *ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويَلْزَمُ امراته فيصيران كِلاهُما جسدًا واحدًا* (تك ٢/٢٤). إن كان ذلك يعني وَحدةً لا تَنْفَصِم بينهما، فهذا بالضبط ما يُبَيِّنُه الرب نفسُه مُذَكِّرًا ما كان قصدُ الخالق *منذ البدء*: *وهكذا ليسا هما بَعْدُ اثنين، بل هُما جسدٌ واحد* (متى ١٩/٦)" [٢٤].

جَرَتِ العادة على القول بأن الزواج قد صار أيضًا بعد الْخطيئة، عِلاجًا للشهوة (وإن ظل هذا هدفًا ثانويًّا). هذا ما يُقَرِّره القديس بولس : *ولكن لِتَجَنُّب الزِّنَى، فليكن لكل رجل اِمرأتُه ولكل امراة زوجُها، ولْيَقْضِ الزوجُ امرأته حقَّها، وكذلك الْمرأة حقَّ زوجها. لا سلطةَ للمرأة على جسدها فإنَّما السلطةُ لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطةَ له على جسده فإنَّما السلطة لِامرأتِه. لا يَمتنع أحدكما عن الآخَر إلا على اتِّفاقٍ بينكما وإلَى حين كي تتفرَّغا للصلاة، ثُمَّ عودا إلَى الْحياة الزوجية لِئَلاَّ يُجَرِّبَكما الشيطان لقلة عِفَّتِكما* (١ كور ٧/ ٢– ٥).

٤– تأثير السر الْمقدس

إن الزواج بين اثنين معمَّدَيْن يُنتج مفعولَيْن: الاتِّحاد غيرُ القابِلِ للانفصال الذي يسمَّى **الرِّباط** الزوجي، و**نعمة السر الْمقدس**.

١) الرباط: واحد مع واحدة بطريقة غيرِ قابلة للانفصال

٢١- **يوحنا بولس الثاني** ، *الشراكة العائلية* ، ١٣ *Familiaris Consortio*, 13.

٢٢- **بولس السادس** ، *الحياة البشرية* ، ١٢ *Humanae Vitae*,12.

٢٣- **المجمع الفاتيكاني الثاني** ، *فرح ورجاء* ، ٤٨ *Gaudium et Spes* , 48.

٢٤- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، رقم ١٦٠٤.

عندما يُصرّح الزوج والزوجة بال"نَعَمْ" أمام الله، فإن ذلك يُرسي فيما بينهما رِباطًا أو وَحدة لا تَنفصم. وذلك ليس شيئًا نفسيًّا فقط ولكنه شيءٌ أدبِيٌّ وشرعيٌّ، وهو لذلك **يَظَلُّ قائمًا بِصفة دائمة** حتى عندما تَفْتُرُ العاطفة بين الأزواج أو تتلاشى. هذا الرباط له ميزتان أساسيَّتان ألا وهُما: عدم الانفصال والوحدة : فهو واحد مع واحدة إلَى الأبد.

أ) عدم القابلية للانفصال. إن الرباط الزوجي (لِزواجٍ صحيح) بين الْمعمَّدِين (حتى لو لَمْ يكونوا كاثوليكًا) هو دائمًا **في جَوْهرِه غيرُ قابل للانفصالٍ**, وذلك حتى فِي حالة الزِّنَى. يعني هذا أن الزواج بسبب طبيعته الْخاصة هو غير قابل للانفصال بِحسب مشيئة الْمتعاقِدَيْن.

الأساس الكتابي لذلك يُوجد فِي الأناجيل: *ما جَمعه الله فلا يُفَرِّقَنَّه الإنسان* (متى ١٩/٦). وكذلك عند القديس بولس (١ كور ٧/١٠- ١١): *وأما الْمتزوجون فأوصيهم، ولست أنا الْمُوَصِّي بل الرب، بأَلاَّ تُفارق الْمرأة زوجها – وإن فارقته فَلْتَبْقَ غير متزوجة أو فَلْتُصالِح زوجها- وبأَلاَّ يَتخلَّى الزوج عن امرأته.*

الدافع لذلك مُزدوَج. أولاً لكون هذا **العقدِ طبيعيًّا**: فإن عدم القابلية للانفصال تكون ضرورية للوصول إلَى غايات الزواج (أي الإنْجاب والعطاء الكامل الذي هو الْحب الزوجي). ثانيًا لكونِه **سرًّا مقدسًا**: فهو تَذكارٌ حيٌّ للحب فيما بين الْمسيح والكنيسة. وبالفعل فإن الزواج هو علامة الْحب **الغيرِ مُنفصلٍ** الذي يربِط الْمسيح بالكنيسة. ويُفهَم ذلك من خلال الزواج الْمنعقد بطريقة شرعية صحيحة بين شخصين يَحِقُّ لَهما الزواج، ثُمَّ يَكتمل بعد ذلك بالاتِّحاد الْجنسي بين الزوجين: فهذا الزواج لا يُمكن أن ينفصل بواسطة أيَّةِ قدرة أو سلطة بشرية، ولا لأيّ سبب سِوَى موت أحد الطرفين [٢٥]. يقول التعليم الْمسيحي: "ليس فِي مَقدور الكنيسة أن تتصدَّى لِهذا الترتيب الذي شاءته الْحكمة الإلَهية" [٢٦]. لقد كرَّر الباباوات تعليم هذه العقيدة. والْحُجَّة الدَّامغة لِهذا التعليم هي ذاتُ الْمُمارَسة الكنيسة التي نَفَت أن تكون لَها مثلُ تلك السُلْطَة، على الرَّغم من العَواقب السلبية التي سبَّبها لَها موقفُها هذا وما نَتَجَ عنه من اضطهادات أو انشقاقات (مثل الانشقاق الأنجليكانِي لِهنري الثامن).

الدافع اللاهوتِي للقوة الْمُطلَقَة التي يَحتويها هذا الوِثاق أو الرِّباط هو بالضبط ما يعنيه تَمامًا الزواج الْمحتفَل به بطريقة شرعية صحيحة والْمُتَمَّم بالاِتِّصال الْجنسي. فالزواج هو تَذكار ورَمْز وعلامة على الاتِّحاد بين ابن الله – الذي هو الأقنوم الثانِي للثالوث الأقدس– وبين الطبيعة البشرية (والكنيسة) فِي التجسُّد (يوحنا ١٤/١: *الكلمة صار جسدًا*). ولقد صار الكلمة جسدًا لكي لا ينفصل أبدًا عن بَشريَّته. إذا كان الزواج قابلاً للانفصال لكان ذلك يعني أن الله يقول لنا أنه هو أيضًا سيَكْسِر اتِّحادَه بنا يومًا ما. ليس الأمر هكذا: "إن الزواج قَبْلَ الاتِّحاد الْجسدي يشير إلَى الاتِّحاد فيما بين الْمسيح والنفس بواسطة النعمة، هذا الاتِّحاد الذي يتحطَّم بواسطة... الْخطيئة الْمُميتة. ولكنْ بعد الاتِّحاد الْجسدي فالزواج **يعني الاتِّحاد بين الْمسيح والكنيسة فيما يَختَصُّ بِارتِقاء الطبيعة البشرية إلَى مَرتبة الاتِّحاد الشخصي وهو اتِّحاد غيرُ قابل للانفصال**" [٢٧].

٢٥- *راجع قانون الحق الكنسي*، ق ١١٤١.
٢٦- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية*، رقم ١٦٤٠.
٢٧- **القديس توما الأكويني**، *الخلاصة اللاهوتية*، مُلْحَق ٦١، ٢ ضِدّ ١.

ب) الوَحدة. حتى يصل الزواج إلَى غاياته الطبيعية فإنه لا يَتَطَلَّب فقط عدم الانفصال ولكنه يتطلب أيضًا الوَحْدَوِيَّة أيْ الارتباط بشخص واحد (monogamia). يَجب أن يَكونَ شِرْكَةً فيما بين رجل واحد وامرأة واحدة. والدوافع الطبيعية لذلك واضحة: فالنظام "الأَحاديُّ الشَّريك" (واحد مع واحدة) هو النظام الوحيد الذي يَضْمَن للزواج تَحقيق غايته حيث أنه النظام الوحيد الذي يضمن:

– وَحدة أدبية بين الزوجين؛ وهي تعني اتِّحادَ حياةِ كلٍّ منهما بِحياة الآخر، ويتخطى هذا الاتِّحاد مُجَرَّدَ الإرضاء للشهوات الْجسدية. هذه الوحدة يتطلبها الْحب الْحقيقي حيث أنه يُمَثِّل قوةً مُوَحِّدة لا تَفسح مَجالاً لأيَّة حدود زمنية. لا يُمكن لأحد أن يقدم ذاته تَقدمة تامَّة لشخصين. *لا يُمكن لأحد أن يُحب الله والْمال*، قال يسوع (لو ١٦/١٣)؛ كذلك لا يستطيع أيُّ رجل أن يعطي قلبه بالكامل لزوجتين: يَجب عِنْدَئِذٍ أن يُقَسِّم ذاته، والْحب الْحقيقي هو عَدو لكل تقسيم.

– وَحدة دافعة للمُساواة: هو النظام الوحيد الذي يُرسي مساواة خاصة وأساسية بين الرجل والْمرأة حيث ينال ويتمتع الاثنان بنفس الْحقوق. بينما يُوجَد عدم مساواة دائمًا فِي الأنواع الأخرى من الاتِّحاد (ففي النظام مُتَعَدِّدِ الزوجات (poligamia)، نَجد أن الْمرأة تتقاسم مع "زوجات" أُخْرَيات ما لَها من حقوق لَدَى الزوج؛ وفِي "النظام مُتَعَدِّدِ الأزواج" (poliándria) يتقاسم عدد من الرجال ما لَهم من حقوق لدى نفس الزوجة. وتُشابه جَميعُ أنظمة الزواج الْمتعددة الشُّركاء علاقةَ الاستعباد والْخَدَم أكثر من مشابَهَتِها لعلاقة الْمُحب للمحبوب.

وَحدة عائلية: وهو النظام الوحيد الذي يَسمح بتربية الأبناء بواسطة الأب والأم فِي **نفس الوقت**، من خلال اتِّحادهم من أجل إتْمام العمل الْمشترَك فِي العائلة.

إن التأسيس الإلَهي الإيجابِي للوَحدة الزواجية هو أمر يتضمَّنُه الإعلان الالَهي: *"لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويَلْتَزِمُ امرأته فيصيران جسدًا واحدًا* (تك ٢/٢٤)؛ *فلا يكونان اثنين بعد ذلك، بل جسدًا واحدًا. فما جَمعه الله فلا يفرّقَنَّه الإنسان* (متى ١٩/٤-٦).

من أجل ذلك فإن **نِظام تَعدُّد الزوجات (poligamia)** (رجل وزوجات عَديدات) **ونظام تعدد الأزواج (poliándria)** (اِمرأة وأزواج عديدون) هُما ظاهرتان مُخالفتان للمؤسسة الأصلية والطبيعية للزواج. يتساوى فِي ذلك نظام تعدد الزوجات الْمتبادَل (الذي يكون فيه رجلٌ مع نساء كثيرات فِي نفس الوقت، كما يَحدث فِي البلاد الإسلامية أو فِي حالات الزنَى) مع نظام تَعَدُّد الزوجات الْمتتالِي (حيث يكون رجل مع نساء كثيرات ولكن مع واحدة فقط فِي فترة زمنية مُحدَّدة ثُمَّ مع أخرى فِي فترة لاحقة) كما يَحدث فِي حالة الطلاق ثُمَّ الارتباط بأخرى لاحقًا.

٢) نِعمة الزواج

التأثير الثانِي الذي يُحَقِّقُهُ سر الزواج هو النعمة. يَجب أن نقول أن الزواج –مِثْلُهُ مِثْلُ كلِّ الأسرار الْمقدسة فِي العهد الْجديد– هو علامة فعَّالة للنعمة، أيْ أنه علامة مُؤَثِّرة عن هذه النعمة. فالعقد الزوجي –الذي ارتَقى إلَى مَرتبة السر

الْمقدس- يَمنح الأزواج فِي الْحال نعمةً أساسية تتضمن: زيادة النعمة الْمُقدِّسة والفضائل والعطايا التي تُصاحبُها وكذلك نعمةِ السر الْمقدس العادِيَّة (وهي واقع فائق للطبيعة يُوَجِّه طاقتَهما نَحو غايات الزواج) كما تتضمن أيضًا نِعَمًا حالِيَّةً وفيرة.

يَصف التعليم الْمسيحي هذه النعمة الْمميَّزة قائلاً: "إن الأزواجَ الْمسيحيين، فِي وَضْعِهم الْحياتِيّ وحالتِهم، لَهم مواهبُهم الْخاصة وَسَطَ شعب الله. هذه النعمة التي يَختصُّ بِها سرُّ الزواج تَهْدِف إِلَى رفع الْحب بين الزوجين إِلَى درجة الكمال وتُمَتِّين وَحدتَهما غيرَ الْمنفصمة. بِهذه النعمة يتعاون الزوجان فِي تقديس ذاتِهما فِي الْحياة الزوجية وفِي إِنْجابِ البنين وَتربيتِهم. الْمسيح هو مصدر هذه النعمة. فكما أن الله قطع مع شعبه قديمًا عهدَ مَحبة وأمانة، هكذا أراد الآن مُخَلِّصُ البشر، عَريسُ الكنيسة، أن يلاقيَ الْمسيحيين فِي سر الزواج، فهو يلازمُهم ويُؤْتيهم القوة ليَتْبعوه، حاملين صليبَهم، ويَنْهَضوا من كَبْواتِهم، ويتبادلوا الصَّفْحَ ، ويَحمِل بعضُهم أثقالَ بعضٍ، ' ويَخْضَع بعضُهم لبعض بتَقْوَى الْمسيح' (أف ٥/٢١) ويُحِبَّ بعضهم بعضًا مَحبة تفوق الطبيعة، رقيقةً وخصبة. وفِي مَباهِجِ حبِّهم وحياتِهم العَيْلية، يؤتيهم الْمسيح أن يتذوَّقوا، منذ الآن، طعم وليمة عُرس الْحمل" [٢٨].

من أجل هذا كلِّه فإن الرجال والنساء الْمدعوّين من الله للزواج يَجب أن يَسْعُوا لأن يعرفوا بطريقة أعمق هذا السر الرائع الذي يصنع منهم قديسين، والذي هو مَنبع كلِّ بَهجة وعزاء لديهم. كما يقول القديس بولس: " لِيكُن الزواج مُكَرَّما عِند جَميع الناس ، ولِيكُن الفِراش بريئًا من الدَّنَس" (عب ١٣/٤).

٢٨- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* رقم ١٦٤١ و ١٦٤٢.

الفصل الْخامس

الرجل والْمرأة في الزواج

إن الزواج هو الاِتِّحاد الْموَثَّق أمام الله بين رجل وامرأة مَدى الْحياة لكي يُحِبَّا بعضُهما بعضًا ويتعاونا فِي عملِ الله الْخَلاَّق. ولكي يَسير هذا الواقع الذي نسميه "الزواج" على ما يُرام ، فإنه يَجب على كل طَرَفٍ من الطرفين أن يَشْغَل الْمكان الذي يناسبه وأن يصل إلَى النُّضوج الكامل لِما تَعنيه دعوتُه. فبالفعل ليس نفسَ الشيء أن يكون الإنسان زوجًا أو زوجة، لأنه ليس نفسَ الشيء أن يكون الإنسان رجلاً أو امراة. إن لَهما نفسَ الكرامة ونفسَ الْمصير الزمني والأبدي ولَهما نفسُ الشرف... ولكنهما مُختلفان لأنَّهما متكاملان. يقوم القلب بعمليَّتين رئيسيَّتين ألا وهُما الاِنقباض والاِنبساط ، فيَنغلق فِي واحدة ويَنفتح فِي الثانية، ولكنه يُحافظ على الْجسم حيًّا فقط بالتناسق الْمتناغم للعمليَّتين. وهاتان ليستا متساويتين. فإذا أَخْفَقَتْ إحداهُما يفشل القلب ويَموت الإنسان. هكذا يكون الرجل والْمرأة متَّحِدَيْن فِي الزواج. ما هي إذًا وظيفةُ كلٍّ منهما؟

١- الرجل والْمرأة كَاِثنين مُختلفَيْن

يقول سِفْرُ التكوين: *" خلق الله الإنسان على صورته ومِثالِهِ، ذَكَرًا وأُنْثَى خلقهما"* (تك ١/٢٧). إنَّ هذا الْمرور من صيغة الْمفرد إلَى الْمُثَنَّى لَهُوَ شيء مُثير. فهو يتكلم فِي البدء عن "الإنسان" كما لو كان شيئًا واحدًا, ولكنه بعد ذلك يضيف أن "الإنسان هو ذكرٌ وأنثى". إن الرجل والمرأة هُما مُختلفان ومتكاملان، وفقط باتِّحادِهما معًا يُكَوِّنانِ "البشرية". والتفكير بأننا نشير فقط إلَى اختلافهما الْجُسمانِي يُعْتبَر تفكيرًا صِبيانيًّا. إذ أنَّهما لَيْسا مُختلفَيْن فقط بسبب الْجسد لكنْ بسبب النفسية أيضًا (أو بالأَحْرَى بسبب "مواقفِهما النفسية")، وهُما مُختلفان فيما بينهما أمام العالَم وأمام الناس. بِحسب كلٍّ مِنْ تِلْكَ الْمواقف تَتحدَّد الفضائل والعُيوب التِي تُمَيِّز وتُبيِّن الاختلاف بين الرجل والْمرأة.

هُما مُختلفان قبل كل شيء فيما بينهما. **فالْمرأة** لديها وَعْيٌ أَكْبَر عن جسدها، وعن مظهرها وعن الانطباع الذي تَخْلِقُهُ حولَها. ومن هنا تكون مَيَّالة إلَى الأناقة بِدَلالٍ وإلَى الزَّهْوِ بالنفس؛ ولكنها فِي نفس الوقت تَميل إلَى النِّظام وإلَى النظافة وإلَى اللُّطف وإلَى العناية بتفاصيل الْحياة اليومية. وهي لديها فِي ذاتِها وَحدة كبيرة، إذْ أن الْمرأة هي عبارة عن "كُلٍّ عائشٍ" وفِي كثير من الأحيان يُؤَثِّر ما تعيشه فِي مَجال من مَجالات حياتِها على الْمجالات الأخرى. فنجد – مثلاً – أن مشاكلها فِي العمل تسبب لَها حُزنًا فِي حياتِها العائلية. أما **الرجل** فيَظهر أكثرَ انقسامًا؛ هو عادةً لايُعْجِبُهُ الْخَلْطُ بين حياتِه العائلية وحياته فِي العمل، وهو عامَّةً أَقَلُّ اهتمامًا بالتَّرتيب الشخصي.

فِي الْمَقام الثانِي نلاحظ الاختلاف فيما بينهما فِي علاقَتَيْهِما مع العالَم الْمادِّي. جَرَتِ العادة على القول بأن **الرَّجل** يداه أَطْوَلُ من يَدَيْ الْمرأة، وهذا يعني أنَّ موقفه تُجاه العالَم هو موقف الفاتح أو الغازي، وهو موقف الكادح؛ فهو ينظر إلَى الأشياء التي تُحيط به نَظْرَتَه إلَى شيء يَجب الانتصارُ عليه وتطويعُه وترتيبُه والتَّسَلُّطُ عليه. وبِهذه الطريقة يكون

للرجل مَيْلٌ إلَى إثبات ذاته على العالَم. أما **الْمرأةُ** فهي تَحْمِلُ للبيئة التي تعيش فيها احترامًا كبيرًا وتَتَّصِفُ أساسًا بالقُبول للواقع. وإذا كان الرجل يستخدم الأشياء فإن الْمراة تُقَدِّرُها وتَتَقَبَّلُها . وهنا نرى مثلاً أنه عندما يَضْطَرُّ الذكر والأنثى إلَى التَّصَدِّي بشجاعة للمُعاكَسات فإننا نَجد أن الرجل يكون قادرًا على الإتْيان بأعمالِ جَلَدٍ وعَزيمَة تَتمثَّل فِي "الْهُجوم"، أما هي فتأتِي بأعمال جَلَدٍ وعزيمة تتمثل فِي "الْمقاومة". إنَّ الذكر يكون قادرًا على إعطاء حياته كي يُدافع عن زوجته وأبنائه ضد اللِّصِّ أو القاتل، ولكنه يَظَلُّ فِي أحيان كثيرة منسحقًا إذا تَطَلَّبَتْ منه الْحياة العِناية الْمتواصلة بزوجة أو ابن مُعاقَيْن. على العكس, فإن الْمرأة قد تتحمَّل بِبُطولة فائقة هذه الْمأساة حتى لو لَمْ تكن لديها القوة اللازمة للدفاع عن النفس إذا ما هوجِمَتْ.

يَحدث شيء مُماثل لذلك فِي موقفِهما تُجاه الأشخاص. فعادةً ما يكون وجود **الْمرأة** وجودًا رَزينًا مُتَخَفِّيًا ويكون استعدادها للمساعدة أكثر عاطفيَّةً وأكثر صَبرًا ، وهي تَمتلك نَزْعة للحماية والْمحافظة على الْحياة الواهِنة الْهَشَّة. أما **الرجل** فلديه ميلٌ إلَى تنظيم الآخرين وتوجيههم وقيادتِهم. وهذا هو بالضبط مَوقفُ الرئيس.

وهُما بالْمِثل مُختلفان كذلك فِي طُرُق الْمعرفة والنظر إلَى الواقع. فالرجل ينظر إلَى الشيء الأساسي وإلَى الْخُطوط العَريضة وإلَى ترتيب الأشياء وعلاقاتِها ولكنه أَقَلُّ إحساسًا بالتفاصيل. فهو مِثْلُ الرسَّام الذي يضع الْخطوط العامة. أما الْمرأة فهي ترى الأشياء مثلَ الْمصوِّر الفوتُغرافِي: فهي تلاحظ التفاصيل ولاتَقبل أن تَترك أيَّ شيءٍ جانبًا. كما أنَّهما **يُفَكِّران** بطريقة مُختلفة: فالرجل يكون حاسبًا للأشياء وأكثر برودًا وأكثر تفكيرًا. وهو بطيء فِي الشُّروع فِي البحث عن الْحقيقة، ولكنه أكثر سرعة فِي الوصول إلَى اليَقين عندما يُقَرِّر أن يَصِلَ اليه. أما الْمرأة فهي أكثر حَدْسًا وبَداهَةً ، وتتفهَّم الأمور بطريقة أكثر شُمولاً. يُوجد قولٌ مَأْثور اليوم يَصِف الْمرأة بأنَّها "تُفَكِّر بقلبها" وهو صحيح إلَى حَدٍّ كبير، إذْ أن التفكير "العاطفي" هو شيء مهم جدًا ويَظهر أكثر عند الْمرأة.

٢- الرجل فِي الزواج

آخذين فِي الاعتبار هذه الْخصائص، ماذا نقول إذًا عن الذَّكَر عندما يصير زوجًا ؟

١) زوجٌ وأبٌ

يقوم الذَّكَر بِمُهِمَّتَين: أن يكون زوجًا وأن يكون أبًا.

كَوْنُه زوجًا يَعني أن يكون "رأسَ" البيت. هذا ما يقوله القديس بولس: *"الرجل هو رأسُ الْمرأة كما أن الْمسيح هو رأس الكنيسة ومُخلِّص الْجسد"* (أفسس ٥/٢٣). وبِهذا الْمعنَى تكون وظيفته هي ترتيب الأشياء العامة، والعمل من أجل العائلة، ويكون نَصيبُه هو العمل الشاق ولكنْ لَيس التفاصيل. وعادة ما يَجب عليه أَخْذُ القرار الأخير. لذلك يوجد قول مأثور: "حيث تَحكم الْمرأة وتسود، هناك عادةً ما لا يَحِلُّ السلام".

إنَّ كرامته الكبيرة تَكْمُنُ فِي **كونه أبًا**، وفِي مُحاكاة دور الله الآب. وهذا يعني أنه إذ يُقَلِّد دَوْرَ الله فَيَنْبَغي عليه إذًا أن يُمارس واجب الوِلاية على عائلته، ذلك بأن يكون مُدَبِّرًا وكذلك مُحْتاطًا للمستقبل. وأن يُرْشِد بِحُبٍّ رَعِيَّته وأن يَسهر على تربية أبنائه. إنَّ ربَّ العائلة هو فنان يَجب عليه أن يَنْحَت داخل نفس أبنائه صورة الله. ويَجب عليه أن يقودهم إلَى النُّضوج النفسي والعاطفي.

٢) الذكورية "El machismo"

إن تَشْويه صورة الذَّكَر هو ما يُطلَق عليه "الذُّكوريَّة". وهو السَّعْي لِمُمارسة السيطرة على الزوجة والأبناء من خلال القوة والعنف وأيضًا بالقَسْوة. وهذا يتطلب من الرجل أن يَتَخلَّى عن دور الرأس لأن الرأس تُمارس سيطرتَها بالتفكير وليس من خلال القوة العَضَلِيَّة.

إن الذُّكورية شَكْلٌ من أشكال الوَحْشِيَّة. وهي تَقتل الْحُبَّ الْحقيقي وتُسَبِّب الإنْحِطاط ليس فقط للمرأة ولكن أيضًا للرجل. وذلك لأنه لا يُمْكن أن نُنْكِر أنَّ استخدام العنف يكون ضروريًا فقط عندما لا يستطيع الْمَرْءُ أن يَفْرِضَ نفسه من خلال العَقل والْحقيقة. إن الأشخاص العَنيفين هم الذين لايَمتلكون مَلَكات فِكْرية وروحية. إن الذكورية ليست علامة على الرجولة بل على قِلَّة العَقل الوحشية. كما أنَّها علامة على الدُّونِيَّة، حيث أنَّ الفرد يتطلَّب أن يكون مُحترَمًا بواسطة الصُّراخِ واللَّكَمات ، فهو فِي عُمْق نفسه يَخْشَى أن تَعتبره زوجتُه ناقصًا وعاجزًا. إن الذكورية تتسبب فِي ظُلْم كبير داخل البيت وتُفْضِي فِي كثير من الأَحْيان إلَى رذائلَ أكثر سُوءًا مثل إدمان الكُحوليات والزِّنا وإهْمال الأبناء.

وهي فوق كل شيء تُسَبِّبُ انْحِطاطًا للمرأة لأنَّها تُحَوِّلُها إلَى شَيْءٍ وتَجعلها مُستعبَدة ومُعامَلة بسوء، ومُضْطَرَّة للخضوع لكثير من الظلم والعذاب. لا نستطيع أن نَتَخَيَّل الكَمَّ الكبير من الزِّيجات التِي تَفشل بسبب هذا التَّشَوُّه: بَعْضُها ينتهي بالانفصال، ولكنها كلها تقريبًا – سواء انفصل الزوجان أم لا – لا تَعرف طَعْمًا للسعادة الزوجية الْحقيقية.

٣) يسوع مِثالٌ للذَّكَر

بِهذا الْمعنَى يكون الْمَثَلُ الأعلَى لِكُلِّ ذَكَر هو يسوع الْمسيح. فهو كان "رجلاً وذكرًا مِثاليًّا". ويَجب على كل ذكرٍ أن يَنظر إليه كي يعرف كيف يَجب أن يكون وأن يَتَصَرَّف. كيف كانت إذًا تصرفات يسوع؟

مع الله الآب. بالنسبة ليسوع فإن الله هو القِيمة الأَسْمَى فِي الْحياة، ولذلك فهو كثيرًا ما يُذَكِّر مُعاصِريه قائلاً: *"ستحبُّ الربَّ إلَهَك بكل قلبِك وكل نفسِك وكل عقلِك وبكل قِواك"* (مرقس ١٢/٢٩-٣٠). كما أن يسوع كان يَثِق بطريقة غيرِ مَحْدودة فِي العِناية الإلَهية؛ وكان يَغضب عندما ينجِّسون هَيْكل الله، بينما كان يَمتلئ حنانًا وصلاة عندما كان يتحدَّث مع أبيه السماوي.

يسوع أمام أعدائه. لقد كان ليسوع أعداء كثيرون ؛ كان مُضْطَهَدًا ومُفترَى عليه ومَكروهًا، وفَوق ذلك خانَهُ تِلْميذُه. لقد حاولوا مرات كثيرة أن يقتلوه، وأخيرًا قادوه إلَى الصليب. لذلك يقول يسوع فِي العشاء الأخير: *"أبغضونِي بلا*

سبب" (يوحنا ٢٥/١٥). ومع ذلك فهو لَمْ يتراجع أمام التَّهديدات ولَمْ يَرغب فِي الانتقام. لَمْ يَخْشَ الاضطهادات ولَمْ يَصمُت عندما كان لزامًا عليه أن يقول الْحقيقة. بل على العكس، بدلاً من أن ينتقم صلَّى، ومات وهو يُصَلِّي من أجل أن يَصفح الله عن الذين أساؤوا اليه. إذا كان هذا التَّصَرف دليلاً على عَظَمَة نَفْس أيّ رجل فإن يسوع بذلك يكون قد أَظهر أنه يَمتلك أعظمَ نفسٍ فِي العالَم.

مع الْمرأة. لقد عاش ربُّنا فِي العِفَّة الكاملة والبَتولية الأكثرَ طهارةً. ولكنه فِي نفس الوقت كان لَديه تقدير عظيم واحترام كبير للمرأة، لكلّ النساء: الصالِحات والْخاطئات. أَحَبَ أمَّه مريَم الكُلِّيَّةِ القداسة كما لَمْ يُحِبَّ آخَرُ أمَّه. ولكنه لَمْ يَتحفَّظ فِي التَّقَرُّب من الْخاطئات كَيْ يَدعوهن للتوبة كما فعل مع السامرية. ودافع عنهُنَّ أمام أعدائِهن كما فعل مع الْمرأة الزانية التي كان الفريسيون يريدون أن يَحْكُموا عليها بالْموت، ومع مريَمَ من بيتَ عَنْيا التي تَذَمَّر يهوذا ضِدَّها بطريقة ظالِمة؛ لقد غَفَرَ لَهُنَّ عندما كنَّ يَقترِبْنَ نادمات على خطاياهُنَّ كما فعل مع مريَمَ الْمَجْدَلِيَّة. إن الرجل الْحقيقي يَحترم دائمًا كرامة الْمرأة.

يسوع أمام الألَم. لَمْ يتعذَّب أحد قَطُّ مِثْلَه. إن أشعيا يُسَمِّيه "رجُلَ الآلام". تَعرَّض للجَلْد، وتَكَلَّل بالشَّوك، وعانَى الْخيانة والبَصْق ، وحَمَلَ الصليب وتَسَمَّر عليه بالْمسامير، وكان مَكروهًا ومُفترًى عليه... لَمْ يتَفَوَّه أبدًا بأيَّة شَكْوَى ولَمْ يَستسلم أمام العذاب. لَمْ يَقَعْ أبدًا فِي اليَأْس ولَمْ يَتراجع فِي رسالته، حتى عندما كَلَّفه خلاصُنا حياتَه... .

إذا أراد أيُّ رَجُلٍ –أو أي زوج– أن يَعْرِفَ إن كان رجلاً بالْحقيقة، فيجب عليه أن يَنظر دائمًا إلَى يسوع. إنه الْمِثال الذي يَجب عليه أن يُقارِن نفسه به.

٣– الْمرأة فِي الزواج

١) زوجة وأُمٌّ

إن الْمرأة فِي الزواج هي أساسًا زوجة وأُمٌّ. وهي بذلك تَتَشَبَّه بالكنيسة.

إنَّ كَوْنَها زوجةً يعنِي أن تُحْضِر داخل زواجها كلَّ الصِّفات العظيمة التِي تُعطيها الأنُوثة الْحقيقية للمرأة. يَجب عليها أن تُحب زوجها كما تُحبُّ الكنيسة الْمسيح. فالْمرأة هي "سيِّدة" البيت. فهي التِي تَجعل من البيت "بيتًا" بِمعنَى "دافئًا" فيكون بالتَّالِي مُمتِعًا ومريحًا لاستقبال الزوج والأبناء. إنَّها تعرف كيف تفعل ذلك ؛ ولكن الزوج عُمومًا لا يعرف. لأن الْمرأة هي التِي تَهْتَمُّ عادةً بالتفاصيل وهي التِي تستطيع أن تُحَدِّد حِصَّة العاطفة الضروريَّة للسعادة. فإذا كان الزوج هو الرأس فإن الزوجة هي "القلب". إذا مَرِض الرأس فإن العائلة تكون مَجنونة ؛ أما إذا مَرِضَ القلب فإن العائلة تَموت "بالسَّكْتَة". فكلُّ واحد يَجْلِبُ ما عنده لأنَّهما طَرَفان متكاملان.

ومع ذلك تَظَلُّ أَسْمَى رسالة للمرأة الْمتزوجة هي **الأُمومة.** إنَّها أعظم عَطِيَّة منحها الله لَها. فهي فقط التي تستطيع أن تَحْمِل فِي أحشائها كائِنًا جديدًا. إن الطبيعة تَنْسِج روابطَ فريدةً بين الأمّ وابنِها من خلال الْحِوار الصَّامِت الذي يَتِمُّ بين

الاثنين طَوالَ التِّسعةِ أَشْهُرٍ التِي يكونان مُتَّحِدَيْن خلالَها جسديًا. وهي الْمُخْتَصَّة بِمَنْحِ الابنِ الْمَلامِحَ النَّفْسية والعاطفية. فهي تُمَثِّل فِي البيت صورة الْخُصوبة وبالتالِي صورة الْحياة والسُّرور والْمتعة.

٢) **الأُنوثِيَّة** (El feminismo)

إن تَشْـــوِيهَ صـــورةِ المرأة هو "الأنوثية" الْمَفهومة بطريقة خاطِئَة. فالأنوثية هي عَكْسُ الأنوثة. وهي إظهار لِعُقْدَة الدُّونِيَّة. فالْمرأة لَها كرامة فَريدة راسِـــخة، وهي تأتيها مِن قُدْرَتِها على إِعْطاء الْحياة ومِن مَقْدِرَتِها على الْحب وكذلك مِن قُدرتِها على أن تكون أُمًّا وعلى أن تكون عَذْراء ، ومِن مَقدرتِها على أن تكون مُختلفة عن الذَّكر ولكن مع احْتِفاظِها بنفس الكرامة والْحرية اللَّتَين له. "الأنوثية" تَجْهَل هذا ، ولِذا فهي تَسْـــعَى لِفَرْضِ السَّـــيْطَرَة لَدَى الْمرأة لِتجعل منها نوعًا من "الذَّكر": ذَكَرٌ مُحْبَط. فالرجل يَفْقِد كرامتهِ إذا تشبَّه بالأنثى، وكذلك الْمرأة تَفقد كرامتهـــا إذا تشبَّهت بالذكر. لَم يَجعل الْمسـيح أَيَّةَ امرأةٍ كاهنًا كما أنه لَم يَتَّخِذ جســدًا من أيِّ ذكرٍ بل من امراة واحدة ، وأَطْلَق على امرأة واحدة لَقَبَ "الأُمُّ" بالْمعنَى الكامل والْحقيقي لِهذه الكلمة. إن الأنوثية الزَّائفة ليست سُمُوًّا بالْمرأة ولكنها انْحِطاطًا بِها.

٣) العذراء مريَم والْمرأة

إن الْمسيح هو مِثالٌ لكل امرأة وذلك لِكَوْنِهِ ابنَ الله الصـائرَ جسـدًا. ولكنْ يَتَعَيَّن على كلِّ امرأة أن تُوَجِّه نَظَرَها إِلَى امرأة فريدة لكي ترَى فيها كيف يَجب على الْمَرْأَة أن تَتشـــبَّه بالله. هذه الْمرأة الفريدة هي العذراء مريَم. فيها تَتَبَلْوَر بطريقة ملموسـة كل الفَضـائل وخاصَّـةً الفضـائل الْمُتَعَلِّقَة بالأنثى. إن يسـوع على الصـليب يدعوها "يا امْرأة". (يوحنا ١٩/٢٦: "يا اِمرأة، هوذا ابْنُكِ")، وذلك حتى نُلاحظ أَنَّها لَيْسَـــتْ فقط اِمرأة عادِيَّة بل هي "الْمرأة" ، أَيْ الْمِثال. فِي أيِّ شيء؟

فِي تسليمها ذاتَها لله. إنَّها الْمرأة الْمُكَرَّسَة لله، فهي الْمرأة التي تُسَلِّم لله كلَّ كيانِها ونفسها وجسدها، وهي الْمرأة التي تعرف أن تَمنحَ الله عِفَّتَها وبَتولِيَّتها. ولذلك فهي الْمَخلوقة الوحيدة الْمُستحِقَّة أن تصيرَ "أَمَّ" الله. وهي "روحُ" العائلة الْمقدسة. يقول الْمثل "إن الْمرأة التي تُزَيِّنها كرامةُ العفة تنال شَرَفًا عظيمًا وهي تَستحقُّ أن تَصير مَلكة".

فِي رحْمتها. إنَّها الْمرأة التي تَهْتَمُّ بِأَدَقِّ التفاصيل الصغيرة للمَحبة. فنراها تُسْرِع إِلَى بيت قريبتها أَليصابات لِتساعدَها خلال فترة حَمْلِها. كما نراها تَمُدُّ يَدَ الْمَعونة لتحضـــير عُرْسٍ فِي قانا الْجليل. ونراها تَقْلَقُ وتَهتمُّ بإســـعاد عروسَـــين فقيرَين وتتمكَّن من انتزاع معجزة –هي الأُولَى– فتُقَدِّم بذلك ساعةَ ابْنِها حتى لا يَنهار حَفْلُ العروسين بسبب نقص الْخمر.

فِي رَأْفتها. إن مريَم لا تترك ابنَها فِي ساعة العَذاب. يَمشي يسوع على دَرْب الصليب: فتَخرج مريَم للقائه لِتَشُدَّ من أَزْرِهِ ولِتواسيه. يَحْتَضِر يسوع على الصليب: فتقف مريَم تَحت الصليب مُصاحِبةً له فِي صَمْتٍ. ولذلك فهي شَريكة فِي فدائنا.

نَحْوَها يَجب على كلِّ امرأة أن ترفع نظرها، وكذلك كلُّ زوجة تريد أن تصل إِلَى قِمَّة أنوثتها.

خِتامُ القَوْلِ: إن الرجل والْمرأة مُختلفان ولكنهما متكاملان. ومعًا يُكَمِّلان صـــورةَ الله. فالرجل يكون أكثر كمالاً حينما يكون رجلاً بأكبر قَدْرٍ مُمْكِنٍ، والْمرأة تكون أكثر كمالاً عندما تكون امرأة بأكبر قَدْرٍ مُمكن، وســـيكونان كذلك كُلَّما تَجاسَرا على النظر إلَى يسوع ومريَم والتَّشَبُّه بِهما.

الفصل السادس

الأُبُوَّةُ والأبناء

١- الْحُبُّ الْمُثْمِر

يقول سفر التَّكْوين (١/٢٨): *اِنْموا واكْثُروا و املأوا الأرض*. هل الْمقصود هنا هو أَمْرٌ أَمْ اِحتياج؟ الاثنين معًا. إنه أَمْرٌ إلَهِيٌّ مُعطًى للرجل والْمرأة اللَّذَين يريدان أن يتَّحدا فِي الزواج. ولكنه فِي الوقت نفسه احتياجٌ ضروريٌّ للحب نفسه. فكلُّ حب يعطي ثَمَرًا لأن الْحب هو شيءٌ حَيٌّ؛ وهو شيء فيه حياة مِثْلُ النباتات والْحيوانات والأرواح. وكلُّ ما يَحتوي على حياةٍ يُثْمِر. فالشجرة، إذا كانت حَيَّة، تُعطي أوراقًا وتُعطي ثَمَرًا فِي الوقت الْمناسب. وشجرة الورد مَثَلاً –إذا كانت حية– فإنَها تُنْتِج ورودًا فِي أَوانِها الْمناسب. أمَّا إذا لَمْ تُعْطِ ورودًا، وكذلك شجرة اللَّوز إذا لَمْ تُعْطِ ثَمَرًا، فإننا نقول أنَّهما مائِتتان. لماذا ؟ لإنه إذا كانت فيهما حياة لأَثْمَرتا.

فالْحب الذي لا يُعطي ثَمَرًا هو أيضًا حب مَيْتٌ، أما الْحب الذي يُثمر فهو حب حيٌّ. ولكن، لِماذا يَجب أن يكون ثَمر الْحب بين الرجل والْمرأة هو إعطاء الْحياة للأبناء؟ لأن الثمر الْخاص بكل كائن هو ما يُمْكِنُهُ هو وحدَه فقط أن "يَخلُقَه" أو أن "يُنْجِبَه". لِماذا نَعتبر التفاح ثَمَرًا لشجرة التفاح؟ لأن شجرة التفاح هي الوحيدة التي تقدر أن تُعطي تفاحًا. ونَحن لا نطلب من شجرة الكُمَثْرَى ولا من شجرة الْخَوْخِ أنْ تُنْتِجا تفاحًا. وبِما أن الفعل الزوجي هو الوحيد القادر على إنْجاب حياةٍ بَشريةٍ، فيكون من الْمُؤَكَّد تَمامًا أن الْحياة البشرية هي الثمرة الْخاصة بالْحب الزوجي: "إن الولد لا يأتِي من الْخارج لِيُضيفَ نَفْسَهُ إلَى حب الزوجين الْمتبادَل؛ إنه يَنبعث فِي الصَّميم من هذا العطاء الْمتبادَل" [٢٩].

يقول البابا يوحنا بولس الثانِي أن الْخُصوبة هي فِي الوقت نفسه **ثَمرة** الْحب الزوجي وهي **علامةٌ** عنه[٣٠]. لَقد ذَكَرْنا لِماذا هي ثَمرة؛ ولكن لِماذا تَكون أيضًا علامة؟ كلمة علامة تعني "شاهِدًا"، "إعلانًا". فالْحب هو تَقديم الذات وهو إعطاؤها؛ كما أن عَكْس الْحب هو الأنانية وهو الاِنْغِلاق على النفس وأن يبحث الإنسان عن نفسه مُمْتَنِعًا عن إعطائها للآخَرين. هناكَ حب وضيع وَرَديء كما يُوجد حب كبير وبُطولِيٌّ. بِما يَتَمَيَّز الواحد عن الآخَر؟ بِقَدْرِ العطاء: فنحن نُحب بالقَدْر الذي نعطي به من ذواتنا. مَن يُحب قليلاً، يُعطي قليلاً، ومن يعطي قليلاً يُحب قليلاً. يَحدث هذا أيضًا بين الأزواج: قد يُعطي الزوجُ لزوجته مالَه أو بيتَه أو جسدَه أو قلبَه فقط. وقد يعطي إحدى هذه الأشياء أو يعطيها كلَّها. فمِن الْمُمكن أن يعطيها شيئًا ويَحْرِمَها من استخدام شيءٍ آخَر: "إنني أَدَعُكِ تَعيشين فِي بيتي، ولكنْ لاتستعملي سيارتِي". مِثْلُ هذا الإنسان لا يتشارك بكل ما يَمْلُك كما أنه لا يعطي كل شيء. وبنفس الطريقة قَدْ يقول لزوجته: "إنني أعطيك جسدي ولكنني لا أمنحك قلبي". يَحدث هذا عندما يَشِحُّ عطاء الأحاسيس والنفس والْحياة. يُمكنه أيضًا أن يقول لَها: "إنني أمنحك مُتعة جسدي ولكنني لا أعطيكِ خُصوبَتي. إنَّ الْخُصوبة هي أقْدس شيء يَمتلكه الرجل والْمرأة لأنَّها بالضَّبط هي الشيء الذي يُحْدِث تشابُهًا بينهما وبين مقدرة الله الْخالقة، حَيْثُ أن الله حَصْبٌ أيْ أنه مُعطٍ للحياة. لذلك يكون إعطاء

٢٩- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، رقم ٢٣٦٦.
٣٠- راجع **يوحنا بولس الثاني** ، الشراكة العائلية ، ٢٨.

الْجسد مع الاِمْتِناع عن إعطاء الْخصوبة هو أقْصَى رفضٍ للعطاء. يَنْطَبق ذلك أيضًا على من يريد أن يَقْبَلَ جسد شريكِ حياتِه بدون أن يستقبل خصوبته. إن هذا الْحب رديء ودنِيء. ونستطيع أن نُشَبِّهَهُ بالوردة التي تعطينا لونَها ولكنها تَحْجُب عَنَّا عِطْرَها. وعلى العكس عندما يُعطَى كلُّ شيء "حتَّى" الْخصوبة والْمَقْدرة على الإنْجاب، فحينئذ يُعطَى كل شيء: يُعطَى بالفعل أقدس ما يَملِكه الإنسان والأكثر حَيَوِيَّة لدى الرجل والْمرأة. ولذلك تكون هذه علامة وشَهادة على العطاء الكامل.

٢- الأُبُوَّة كَهِبَةٍ من الله

عندما يُنجب الأبَوان حياة جديدة يُقال أنَّهما وَلدا (بالأسبانية pro-crean / con-crean أيْ شاركا فِي الْخَلق) أيْ تعاونا مع الله فِي خَلْق كائن جديد، فأعطيا الْحياة لإنسانٍ. فبواسطة الْحب يُدعَى الرجل والْمرأة إلَى التعاون مع عمل الْخلق نفسه. أيُّ سِرٍ عظيم هذا الذي يُسْمَح فيه للإنسان بأن يُسَمَّى بالكلمة التي تنطبق فقط على الله، أَلاَ وهي كلمة "خالق"! عندما يُشكِّل النَّحَّات الرُّخام ليصنع تِمثالاً فهو فقط"يغيّر" الْمادَّة، حتى لو كان هذا الْمثَّال أعظم فنَّان. كذلك الرسَّام، حتى لو كان أعظم رسَّام، عندما يُضفي حياة على مَنظر طبيعي فهو حينئذ فقط يغيّر الْمادة التي تَحتويها أَوْعِيَة ألوانه. ولكن عندما يَتَّحد الرجل والْمرأة فيُخْرِجان إلَى النور حياة جديدة، فهما حينئذ لا يغيّران شيئًا، بل يَظْهر كائن لَم يكن موجودًا من قبل؛ فتُشْرق حياة جديدة على هذا العالَم، وهي نفسٌ لَم تكن تُوجد بتاتًا قبل ذلك بالنسبة للأبدية؛ وهذا هو نِتاجُ عملِ الله الذي يَخْلُق النفس من العَدَم، ونِتاجُ عملِ الأبوين اللَّذَين يُعْطِياها الْجسد.

يَنقِل الأَبوان صورة الله الْحاضرة فِي كل إنسان من جيل إلَى جيل. فحينما يعطي الله هبة الأُبوَّة والأمومة للرجل والْمرأة فإنه بذلك يَمنحهما أن يَصيرا صورةً لأبوَّته. إن الأَبَ بصفة مُتميِّزة هو الله، والآباء الأرضيون يتشبَّهون بالله الآب.

يَظهر هذا جَلِيًا خصوصًا فِي الْهالة التي تُحيط بالسر الْمصاحب للحَبَلِ بِحياة جديدة. لقد أَجرَى صانع الطبيعة الأمور بطريقة تَجعل مَجيء الابن إلَى الْحياة ملفوفًا بالأسرار، ذلك لأن السر هو مِثْلُ الغِطاء الْمصنوع من نسيج التُّلِّ الرَّقيق، الذي يُغلِّف الأشياء الْمقدسة. وهكذا فإن الأبوين يُجمِّعان "الشروطَ" الْمناسبة لكي يكون هناك حَبَلٌ فيُتِمَّان الفعل الزوجيَّ اللازم لكي تبدأ حياة جديدة فِي التَّكَوُّن. ولكن لا يُتْبَع كلُّ فِعلٍ زوجيٍّ بالضرورة بِحَبَلٍ بِحياةٍ جديدة. ويَبقى دائمًا هذا التساؤل: حدثَ أو لَمْ يَحدُثْ هذه الْمرة؟ وعندما يتأكد الزوجان من انتظارهما لابنٍ، يبقى السر قائمًا: كيف سيكون؟ ما الصفات التي سيَتَحَلَّى بِها؟ هذا السر هو إطار أساسي لكل مَوْلِدِ طفلٍ لأنه يُذَكِّر الأبوين أنَّهما لا يستطيعان أن "يُبَرْمِجا" ابنًا، لأن الابن يعتمد عليهما وعلى الله الذي سيَخْلُق، وهو الذي سيَبِثُّ الروح. هذا السر يذكِّر الأبوين أن كل ابنٍ هو "هِبَة" وهو "هَدِيَّة" من الله.

٣- سِرُّ الْحياة

يبدو الْحديث عن هذه الأشـــياء غريبًا داخل مُجتمع مادِّيٍ فَقَدَ القدرة على الإعجاب بالْحياة. ولكن تَظَلُّ الْحياة سرًا وَهِبةً وسُرورًا. كتب تْشِسْتِرْتونْ مُعَبِّرًا عن رغبته فِي الْجلوس على تَلٍ ساعة الغروب وفِي الصِّياح عندما يَختفي آخِر شُعاع فِي الأُفُق قائلاً: أَعِدْ ! أَعِدْ مرة أخرى! ليتنا نصـحو مُبَكِّرًا كل يوم وننتظر أن تتفتح ورود الْحديقة وبِمُجَرَّد انتهائها من ذلك نقول لَها: "أَعيدي هذا من جديد! مَن ذا الذي لا يتأثر أو لا يَنْبَهِر عند رؤيته كيف تنكســر الأمواج على الصُّــخور أو كيف يُعلِّم الطائر صغاره الأكل أو الطَّيَران؟ إن الْحياة تَملَؤُنا بالإعجاب.

ومع ذلك فلا تُقَارَن أيَّةٌ من العجائب الســابق ذِكْرُها بالْحياة التي تَحْمِلُها الأم فِي أحشــائها. فهي لَحْمٌ من لَحْمِها ودَمٌ من دَمِها. إنه الكائن الأكثر رِقَّةً وهشــاشــة فِي الكون كله: أكثر هشــاشــة من الزجاج ومن زهرة الأُورْكِيد. ولكنه فِي الوقت نفســـه يَمتلك وَحْدَه الإمكانية على اللاَّمَحْدود: فهو يَمتلك القدرة على الْحب اللاَّنِهائي وعلى الْمعرفة اللانِهائية؛ وله مقدرة إلَهية فِي ذاته؛ كما أن نَفْسَه أَثْمَنُ من الكَوْن كله مُجتمعًا. هذا الكائن ينمو داخل أحشاء امرأة، وقد حُبِل به فِي تلك الأحشـــاء نتيجةَ حب رجل وامرأة وبفعل الْخَلْق الذي من الله، هذا الفعل الذي يُعادِل فِي العظمة والتَّفَوُّقِ فِعْلَ خَلْقِ الكواكب والنُّجوم جَميعها. يَجب على كل امرأة أن تقول لأبنائها ما قالته هذه الأم التي نقرأ عنها فِي الكتاب الْمقدس: *لَسْتُ أعلم كيف نَشَأْتُم فِي أحشائي، ولا أنا وَهَبْتُكم الروح والْحياة، ولا أنا نظَّمت عناصر كلٍّ منكم، ولذلك فإن خالق العالَم هو الذي جبل الْجنس البشري والذي هو أَصْلُ كل شيء...* (٢مكابيين ٢٢/٧- ٢٣).

٤- الاِبن، "اِمتدادٌ " لأَبَوَيْهِ

الأَبَوان الْحقيقيان يَشــعران "بإطالة" حياتِهما فِي أبنائهما. فهذه الْحياة التي نعيشــها هي امْتِدادٌ لِنَفْسٍ وَلِدَم آبائنا. إننا نُؤْمن بالأبدية كما نؤمن بِخُلود النفس وبقيامة الأموات. ولكننا نَعْلَم أنه منذ الآن فِي هذه الْحياة ننال "تَسْــبِيقًا لِهذه الأبَدية": إن الإنســان الذي يَرى خَطَواتِه فِي هذه الْحياة تَقترب من نِهايتها، يَنظر حينَئِذٍ إلَى ابن أحشــائه كَمَنْ ســيَحمل الْمِشْعَل مِن بعدِهِ وَكَمَنْ سيُكَمِّل مِشْوارَه فِي الْحياة. لقد قال شاعرٌ ذلك بطريقة بَديعة جدًا:

يا ابنَ روحي وجسدي!
يا حياةً جديدة ، ياَنَهرًا صافيًا،
يا بُرْعُمَ شجرةٍ ورديًّا!
خُذْ فِي أيامكَ الآتية،
هذه الأيام التي ستذهب...
بِكَ سأعود من جديدٍ غَنِيًّا،
بَينما كنتُ قد صِرتُ فقيرًا...
أنا مَن كان يَحلُم
بالاِنتصار والبَقاء للأبد
من خلال أعمال فقيرة

منتفِخة بِزَهْوٍ باطل:
أبياتِ شِعْرٍ، كلمات، ضَجيج
وأمواج تَجيء وتذهب...
والآن ها هي كلُّ أَبَدِيَّتي
مَوضوعة ومُوجَزة فِي بُرْعُمٍ صغير! (خ٠ م٠ پيمان)

٥- كَمْ عددُ الأولاد؟

"الكنيسة، التي هي مُناصِرة للحياة، تُعَلِّم أنَّ على كلِّ فعلٍ زواجي أن يبقى من ذاته منفتِحًا على نَقْل الْحياة" [٣١]. إذا كان على الأزواج أن يتعاونوا مع عمل الله الْخَلاَّق بإنْجابِهم الأبناءَ فِي العالَم، فعليهم أن يفعلوا هذا "بِمسؤولية"، بِمعنى أن يَعُوا أنَهم "سيُقَدِّمون جوابًا" لأفعالِهم أمام الله وأمام الْمجتمع. كلمة مسؤولية لا تعني "أبناء قليلين"؛ بل على العكس قد يكون الْمقصود بِها "كثيرًا من الأولاد". لقد كانت العائلة الكبيرة دائمًا بِمَثابة بركة فِي ذاتِها وللمجتمع. لذلك قال الْمَجْمع الفاتيكانِي الثانِي: "نَخُصُّ بالذِّكر أولئك الذين اتَّفَقَت آراؤهم وفِطْنَتُهم على إعالة عددٍ أكبر من الأبناء وتربيتهم تربية لائقة" [٣٢].

عادة ما تَنْبُع الدَّوافع التي يَتَذَرَّع بِها مَن يريدون تقليل عدد الأبناء من نظرة متشائمة للحياة ومن مَخاوفَ لا أساسَ لَها، وكذلك من عدم الثقة بالله. وفِي أغلب الأحيان يكون رفض الأبناء، أو رفض كثرة الأبناء، ناتِجًا فقط عن دوافعَ أنانية. من يكون لديهم العددُ الأَقَلُّ من الأبناء عادة ما لا يكون لديهم مشكلات اِقتصادية ولا أمراض ولا أسباب حقيقية. هم ببساطة يريدون أن يستمتعوا بالْحياة بدون تعقيدات ولا مشاكل. والأبناء بالنسبة لَهم يُمَثِّلون تعقيدًا ومشكلة! كَمْ من الْحالات يُنفَق فيها على تربية الكلاب أكثر مِمَّا يَحتاجه طفل لكي يعيش! وإنه لَمِن الْمُحْزِنِ حقًا أن تَمُرَّ الأنانية من الآباء إلَى الأبناء؛ فالأبناء الذين يكون آباؤهم أنانيين يتحوَّلون مع مرور الأيام إلَى أبناء أنانيين تُجاه آبائهم. كم من الْمَرَّات اختبرنا هذه الْخبرة عند وصولنا إلَى بيوتٍ أو ملاجئَ أو ديارٍ للمُسِنِّين حيث يعيش كبار السِّن وحيدين ومتروكين! وعندما يتحدث أغلبيَّتُهم عن أبنائهم يُكَرِّرون نفس الكلام: "إنه لا يزورُنِي أبدًا"، "لقد تركني"، "لَمْ أَرَهُ منذ سنوات"، "إنه يريد أن يَحْبِسَنِي فِي مَلْجَإٍ"... عندما يعتقد الآباء أن الأبناء الكثيرين هم حِمْلٌ، فإنَهم بذلك يُعِدُّون أبناءهم (القليلين) لأن يفكِّروا، عندما يكبَرون، أن آباءهم الْمُسِنِّين هم عِبْءٌ. كلُّ امْرِئٍ يَجْنِي ما زَرَعَه.

ومع ذلك يَنبغي أن نعرف أنه فِي بعض الْحالات تكون هناك دوافعُ ذاتَ أساسٍ لِعدمِ التَّطَلُّع إلَى حُدوث حَمْلٍ جديد. تنقسم هذه الدوافع إلَى ثلاثة أنواع :

– عندما يكون هناك إرشادٌ طِبِّيٌّ عن احتمال مواجهة الأم لِخطرٍ جَسيمٍ على حياتِها عند حدوث حَمْل جديد، أو عند وجود خطر توصيل أمراض وِراثية خطيرة.

٣١- التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ٢٣٦٦.
٣٢- **المجمع الفاتيكاني الثاني** ، الكنيسة في عالم اليوم ، ٥٠ *Gaudium et Spes50*.

– عند وجود ضيقٍ اقتصاديٍّ كبير لدرجة أنه سَيَضع الأبوين حقيقةً فِي حالة حَرِجَة لِلْغايَة إذا ما زاد عدد أبنائهم.
– عندما يَسْتَدْعي التَّكرارُ الكثير، الْمتقارِب فِي الزمن، لِحالات الْحمل أَنْ يتأخرّ الْحملُ التالِي.

فِي مثل تلك الْحالات الْمذكورة يكون تنظيم الولادات شيئًا مشروعًا أخلاقيًا، ليس باستخدام أيَّةِ وسيلة ولكنْ باللُّجوء إلَى "الانقطاع الدَّوْري"، أيْ قَصْرِ إتْمامِ اللقاء الْجنسي على الفترات التي تَجْعَل الطبيعة فيها الْمرأةَ غيرَ خَصْبَةٍ: هذا ما يُطلَق عليه اسمُ "الوسائل الطبيعية" (الكنيسة لا تتكلم عن "وسيلة طبيعية" بل عن "وسائل طبيعية"، بالْجمع، لأنه يُوجَد كثيرٌ من تلك الوسائل). وهذه تتطلب من الْمرأة أن تعرف جسدها وإيقاعَها والأوقات التي تكون فيها خصبةً أو غيرَ خصبةٍ. كما يتطلب ذلك أيضًا من الزوجين التَّعَوُّدَ على ضبط النفس والاِعتدال والقَناعة، وعلى الْمصاحَبة اللطيفة بَعْضُهما لِبَعْض. سأعود مُطَوَّلاً إلَى هذا الْجزء فِي الفصول اللاَّحِقة.

٦– مِثالان للقُدوة الصالِحة

أَختِم بذِكْر مِثالين جَميلين عن آباء وأمَّهات، من زمننا الْمعاصر، عرفوا ما هي قيمة الابن فانضمُّوا بذلك إلَى كثير من الآباء الأبطال –غيرِ الْمَعروفين أو الْمعروفين (مثل الطوباوية جُوَانا بيريتا موللاَّ، التي طَوَّبَها البابا يوحنا بولس الثانِي لأنَّها أعطت حياتَها لابنتِها برفضها اللجوءَ إلَى الإجهاض لإنقاذ حياتِها التي كانت مُهدَّدة بورم خبيث)*. سنتحدَّث عن امرأتين بَطَلَتين لديهما روحٌ عظيمة.

الأولَى تدعى كْرِستينا تْشِيلاَّ (Cristina Cella). تُوُفِّيت فِي إيطاليا فِي ٢٢ من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٩٥، عن عُمْر يُناهز السادسة والعشرين. ماتت بعد ولادتِها لابنها الثالث، ريكاردو، عندما رفضت بكامل وَعْيِها تَلَقِّي العلاج الكيميائي الذي كان بوُسْعِهِ أن يساعدها هي ولكنه كان سيُشَكِّل خطرًا على الابن الذي كانت تَحمله فِي أحشائها. قبل موتِها تركت له رسالة تقول فيها: "حبيبِي ريكاردو: يَجب أن تعرف أنك لَسْتَ موجودًا هنا بالصُّدفة. لقد أراد الرب أن تُولَد بالرغم من كل الْمشاكل التي كنتُ أواجهُها... إنني أتذكر اليوم الذي أخبرني فيه الطبيب أن لَدَيَّ وَرَمًا. لقد كان ردُّ فِعلي هو تَكرار الكلمات الآتية مرات عديدة: إنني حامل! يادكتور، إنني حامل! ولِمواجهة الْخوفِ من تلك اللحظة أُعْطِيَتْ لِي قوةُ إرادة هائلةٌ للحصول عليكَ. لقد عارَضْتُ التَّخَلِّي عَنْكَ بكل ما أمتلك من قوة، حتى تَفَهَّمَ الطبيبُ كل شيء، ولَمْ يُضِفْ أيَّ شيء. فِي ذلك الْمساء، وعند عودتِي من الْمستشفى فِي السيارة، تَحَرَّكْتَ أنت للمرة الأولَى، بدا لِي وكأنك كنتَ تقول لِي: أشكركِ يا أمي لأنك تُحبينني ! **إنكَ هدية أُعطِيَتْ لنا**. لا أستطيع أن أفعل أيَّ شيء، آخر سِوَى أن أشكر الله لأنه أراد أن يَمنحَنا هذه الْهدية العظيمة، أَلا وهي أبناؤنا" (كريستينا، ٢٤ من سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٥، مستشفى ماروستيكا) [٣٣].

الثانية تُدعَى كارلا ليفاتِي (Carla Levati)؛ تُوُفِّيت عن عُمْرٍ يُناهز ٢٨ عامًا وسط آلام رهيبة؛ ورفضت الإجهاض الذي كان الأَطِبَّاء ينصحونَها به كما رفضت أن تُعَالَج من السَّرَطان الْمتقِّدم الذي كان قد استَشْرَى فِي جسدها،

* أُعلِنت قداستُها من قِبَل البابا يوحنا بولس الثاني في ١٦ مايو ٢٠٠٤.
٣٣- راجع مجلة أفينيري (Avvenire) ١٩٩٥/١٢/٣ ، ص ٢.

حتى تُعطي الْحياة لابنها الثانِي. وفِي الأيام الأخيرة لَمْ تَقبلْ حتى أخْذ الْمهدِّئات التي كان بوُسعها أن تُخفِّف آلامها ، ولكنَّها فِي الوقت ذاته كانت ستُعَرِّض حياة الطفـــل للخطر. لذلك وصلَتْ إلَى وقت الوَضْع وهي فِي حالة غيبوبة يوم ٢٧ يناير (كانون الثانِي) عام ١٩٩٣. لقد جَمَّع فاليريو أَرْدَنغي (Valerio Ardenghi)، فِي يومِيَّاتٍ، عذابات زوجتِه الشـــابة الكاثوليكية. وفِي واحدة من الصـــفحات الأخيرة كتب هذا الشـــاب، الذي رافق واشـــترك فِي آلامِ كونِهِ أبًا وزوجًا قائلاً: "شكرًا لكِ ياكارلا لأنكِ جَعَلْتِنِي أصيرُ رَجُلاً".

الفصل السابع

تَزْييفُ الْحُبِّ البَشَري

يُوجد مَظهَران أَرادهما الْخالق نفسُه للفعل الذي يُحَقِّق الْحبَّ بين الزوجين بطريقة رئيسية وأساسية:

– الأول هو **الْمَظهَر الْمُوَحِّد** وهو يعني أن الفعل الزوجي هو الوسيلة التي يكون بِها الزوجان "جسدًا واحدًا"، وانطلاقًا من ذلك يكون لِزامًا عليهما أن يتخَطَّيا ذاتَيْهما لِيَصيرا روحًا واحدًا ونَفْسًا واحدة ومَصيرًا واحدًا.

– **الْمَظهر الإنْجابِي** وهو يَعْني أنه، **فِي الوقت نفسه** الذي فيه يَصيران جسدًا واحدًا، فهما يُهَيِّئان مَجالاً مناسبًا لظُهور حياةٍ جديدة أيْ اِبنٍ جديد، وذلك إذا ما أراد الله ذلك وإذا ما سَمَحَتْ به الطبيعة.

ليس من حَقِّ الإنسان أن يُفَرِّق بين هذين الْمَظْهَرين كيفَما يشاء ؛ فالْحُب الْحقيقي يَحترِم هذين البُعْدَين [٣٤]. هناك تزييفات كثيرة تُحطِّم الوَحدة بين هذين الْمظهرين. ماهي تلك التزييفات؟

– الرَّغبة فِي الْحُصول على الْمُتعة الْجنسية بدون إنْجاب: مَنْع الْحَمْل.
– البَحْث عن الإنْجاب بدون اِتِّحاد جنسي: الإخصاب الصناعي.
– القَضاء على ثَمَرة الإنْجاب: الإجهاض.
– القَضاء على الاِتِّحاد الْجنسي الْحقيقي والْمَشْروع: الْمَثَلِيَّة الْجنسية ومُمارسة العادة السِّرِّيَّة، إلَخ.

١– مَنْعُ الْحَمْل

أول تَزْييف للحُب هو ما كان البابا يوحنا بولس الثاني يُطْلِق عليه اسم "العَقْلِيَّة الْمُناهِضة للإنْجاب". فمنع الْحمل هو رَفْضُ إنْجاب الأبناء سَواءَ كان ذلك لأَسْبابٍ غيرِ ذاتِ وَزْنٍ أو بوسائلَ غيرِ مَشروعة.

يَحدث فِي كثير من الأَحْيان، عند الْحديث عن وسائل منع الْحمل، ذِكْرُ التأثيرات الثانوية التي تُسَبِّبها حُبوب منع الْحمل أو الوسائل الأُخْرَى، مثل:

– التأثيرات التِي تُصيب أَجْهِزَة الْجسم كَتَصَلُّب الشَّرايين ومَخاطِر الإصابة بالشَّلَل النِّصْفي.
– التأثيرات التي تُصيب الشرايين أو الأَوْرِدَة مِثْلُ انْسِداد شَرايين القلب ومَخاطر ضَغْط الدَّم الْمُرْتفع وانسداد الشُّريان التاجي (وهي الْمخاطر التِي تَزيد بِمِقْدارٍ أَكْثر مِنْ الضِّعف فِي حالة التَّدخين أو تَعاطي الكُحولِيَّات مع استخدام حُبوب منع الْحمل).
– تأثيرات على الكَبِد: الإصابة بفَيْروسات الكَبِد وتَكْوين الْحَصْوات والأَوْرام.
– تأثيرات على الْجِلْد: الإكْزيما وسُقوط الشَّعر والبُقَع الْجِلْدِيَّة.

٣٤- راجع **بولس السادس** ، *الحياة البشرية* ١٢ *Humanae vitae 12* ؛ **يوحنا بولس الثاني** ، *الشَّراكة العائلية* ٣٢، *Familiaris consortio 32*.

– تأثيرات عَصَبية ونفسانية: اِحْتِلال واكتِئاب ومُيول انتِحارية وشُعور بِالضَّجَر وبِالْحُزن وتَغَيُّرات مَزاجية وفُتور جنسي.

– تأثيرات على الْجِهاز التَّناسُلي: مَخاطر حُدوث الْتِهابات وأَكْياس دُهْنِيَّة أو سَرَطان الرَّحِم أو الثَّدْي.

– تأثيرات جِينيَّة عند الْمَواليد: الأطفال الْمَنْغولِيّين والتَّشَوُّهات الْمُخْتلفة.

– تأثيرات على الْخُصوبة: قِلَّة حُدوث الدَّورة الشَّهرية أو العُقْم التَّام؛ كما يُمكن أن يَحدث تَوقُّف لِلنُّمو الْجنسي عند صغيرات السِّن (ظاهرة الأُمَّهات – الطِّفلات).

يَجب علينا أن نَذْكُر أيضًا **التأثيرات الاِجتماعية** لِمنع الْحمل. نستطيع أن نُشير بصفة رئيسية إلَى:

– أنه يَنْشر مَفْهومًا عن الْجنس يَخْصُر هذا الأخير فِي كَوْنه نشاطًا ذا طابع تَناسُلي فقط؛ وبذلك يُكَرِّس النظرة الْمادية السَّطْحية للحياة والقائمة فقط على الْمتعة.

– يُعَضِّد التَّصَرُّفات الفَوْضَوِية (الفاحِشة والزِّنا والْمُعاشَرة السابقة للزواج والْمُعاشرة خارجَ الزواج والاِختِلاط الْجنسي، إلَخ.).

– يزيد من الإصابة بالأمراض التناسلية. لقد أَكَّد عَالِم الفَيْروسات الفَرَنْسي لوقا مونتينيه Luc Montaigner – وهو مُكْتَشِف فَيْروس الإيدْز– أن "الإيدز هو ابنُ حُبوب منع الْحمل" [٣٥]، لأنَّها خلقت مناخًا مناسبًا لِنُمُوِّه (خصوصًا لكونِها تُهَيِّء فُرْصة سَهْلة للاختلاط الْجنسي). نَفْسُ الشيء يَحْدُث بالنسبة للْواقي الذَّكَري ؛ وقد أعلن الدكتور چاك سُوُودُو Dr. Jacques Suaudeau – عُضْوُ الْمَجْلس الْحَبْري للعائلة – أن هذا الواقي لا يَمنع تَوصيل فيروس الإيدز فِي ١٥٪ من حالات الاِتِّصال الْجنسي (هذه النِّسبة تَرتفع إلَى ٣٠٪ فِي حالة الاتصال الْجنسي للمَثَلِيّين)[٣٦].

– قَدْ ساهَم فِي انْخِفاض مُعَدَّل الْمَواليد بِمُؤَشِّرات تُهَدِّد بانْقِراض السُّكَّان فِي كثير من البِلاد (ظَهَرَ ما يُسَمَّى "بانتحار الْمُجتمعات").

– يُؤَدِّي إلَى عَقْلية مُوالية للإجهاض، إلخ.

ومع ذلك فإن الْمُشْكلة أعمق من ذلك ، وستَظَلُّ وسائل منع الْحمل غيرَ أخلاقية بنفس القَدْر حتى لو استطاع العالَم اختراع حبوبٍ لا تُسبِّب أيَّة آثار جانبية ضارَّة . نفس الشيء نقولُه بالنسبة للتعقيم حتى لو أَمْكن إبطال مفعوله فِي أيِّ وقت.

لقد شدد البابا يوحنا بولس الثانِي بقوة على أن مشكلة منع الْحمل الْحقيقية تَكمن فِي العقلية التي تُشَجِّعها. فهي عقلية تَحُثُّ على الاِنغلاق على الْحياة وعلى تزييف العلاقة بين الرجل والْمرأة وعلى الاستغلال والتقليل من شأن الْحب بِجَعْلِه مُجَرَّدَ شيءٍ.

٣٥- راجع **AICA** رقم ٢١٤٤ ، ٩٨/١/٢١ ، ص ٩٨.

٣٦- راجع **ZENIT** ، ٩٧/٩/١٨ ؛ عن معلومات نُشِرت في مجلة الطب والأخلاق الصادرة عن جامعة القلب المقدس الكاثوليكية بروما.

إن منع الْحمل كما يُشير اسْمُه، يَفترض **مُعارَضَةً لِلحَبَل بِحياة جديدة**. ويُعَدُّ هذا موقفَ رَفْض. لقد ذَكَر البابا أنه يُوجد مَفهومان مُختلفان عن الشخصية البشرية وعن مُمارسة الْجنس بالنسبة للإنسان، وهما مفهومان " غيرُ قابلَيْن للإلتقاء فيما بينهما". الأول هو اللُّجوء إلَى الوسائل الطبيعية (أيْ التي تَعتمد على الفترات الْخَصْبَة وغيرِ الْخَصبة التي حَدَّدَتْها الطبيعة نفسُها للمرأة)، والآخَر هو الْمفهوم الْمُناهض للحَمْل. إن الفرق بين هذين الْمفهومَيْن ليس مُجَرَّدَ فَرقٍ بسيط في الوسيلة. سوف أتَحَدَّث عن ذلك باستفاضة فِي الفصل التالِي؛ أما الآن فإنني أَذْكُر فقط أنه فِي حالة منع الْحمل فإن "الإنْجاب يتحوَّل إلَى عَدُوٍّ يَجِبُ تَجَنُّبُه عِند مُمارسة الْجنس" [٣٧]. هذه الْممارَسة تَجِد جذورَها فِي عَقْلِية سَطحية وأنانية تَضَع الْمتعة فوقَ كلِّ شيء: ولذلك فإن الاِبنَ أو الْحياة الْجديدة هي شَرٌّ. هذا التَّصَرُّف هو بالضَّبْط عَكْسُ تصرُّف الله الذي أعطانا نَحن الْحياة.

ولِكَوْن منع الْحمل شيئًا مُضادًا للحياة **فهو لذلك له عِلاقة وَثيقة بالإجهاض**. أحيانًا يُقال أنه يَجب التَّرْويج لوسائل منع الْحمل حتى يُمْكِنَ تَجَنُّبُ الإجهاض. هذا غيرُ صحيح. فبِالرَّغْم من أنَّهما شَيْئان مُختلفان فإن الواحد يَسْتَدْعِي الآخَر. فَمَن لا يريد حياة جديدة، يُحاول فِي البداية تَجَنُّبها، فإذا فَشَل فِي تَجَنُّبِها فهو يُحاول عِندئذٍ القَضاء عليها. لذلك كان البابا يوحنا بولس الثاني يقول: "هذه الْمواقف السَّلْبية الكامنة فِي 'ذِهْنِيَّة منع الْحمل' هي من السلبية بِحَيْثُ تَجعل هذه التجربة أَشَدَّ إغْراءً فِي مواجهة حَمل غيرِ مرغوبٍ فيه ؛ والواقع أن الْحضارة التي تَدْفَع إلَى الإجهاض تنمو نُمُوًّا خاصًا فِي الأَوْساط التي تَرْفض تَعليمَ الكنيسة فِي منع الْحمل" [٣٨].

وكان يقول أيضًا: "وكُلَّما فَصَلَ الأزواج – بِلُجوئِهم إلَى وسائل منع الْحمل– بَيْن هذَيْن الْمفهومَيْن اللَّذَيْن طَبَعهما الله الْخالق فِي طبيعة الرجل والْمرأة وفِي ما يوحِّد بينهما مِنْ فِعْلٍ جنسي ناشِط، فَهُما بِذَلِكَ يتصرَّفان 'كحَكَمٍ' تُجاه قَصْدِ الله، 'ويُزَوِّران' الْجنس، ويَنْحَدِران به وبنفسَيْهما وبالزواج إلَى دَرْكٍ تَفْسَد معه قيمةُ هِبَةِ الذات 'الكاملة'. وهكذا يُعارضُ منعُ الْحمل اللُّغَةَ الطبيعية التي تُعْرِبُ عن هبة الأزواج الْمتبادَلة الكاملة، مستخدِمًا لُغةً مناقِضةً مَوْضوعيًّا تَنْفي هبةَ الذات كاملةً للآخَر؛ ويَنْجُم عن ذلك لا رَفْضٌ ثابِتٌ أكيدٌ للانفتاح على الْحياة وحَسْب، بَلْ تزييفٌ لِحقيقة الْحب الزوجي الباطِنِيَّة الْمُوَجَّه إلَى هِبَةِ الذات هِبَةً شخصية تامة" [٣٩]. هذه هي الْمشكلة الأكثر عُمْقًا وواقعيةً بالنِّسبة لِمنع الْحمل.

٢– الإخصاب الصناعي

إنه لَمِنَ الْمُثير للدَّهْشَة أن تكون العقلية التي ترغب فِي مُمارسة الْجنس بدون إنْجاب هي نفسُها التي تطلب أبناءً بدون مُمارسة الْجنس. لقد اِزداد بطريقة مُخيفة عَدَدُ الأزواج الذين لا يستطيعون الإنْجاب بطريقة طبيعية. إنَّهم مصابون بالعُقْم. ويَرْجع السبب فِي ذلك فِي كثير من الأحيان إلَى الاِستخدام –وخُصوصًا الاِستخدام الْمُبالَغ فيه–لِوَسائل منع الْحمل واللَّوْلَب والإجهاض. البعض منهم يكون قد لَجَأَ إلَى التَّعقيم الاختياري دونَ الانتباه إلَى أنَّهم قد يَندمون لاحِقًا على

٣٧- **يوحنا بولس الثاني** ، *إنجيل الحياة* ، ٢٣ *Evangelium vitae, 23*.

٣٨- **يوحنا بولس الثاني** ، *إنجيل الحياة* ، ١٣ *Evangelium vitae, 13*.

٣٩- **يوحنا بولس الثاني** ، *الشَّراكة العائلية* ، ٣٢ *Familiaris consortio, 32*.

هذا العُقْم. كثيرون غيرُهم قد يُعانون من العُقْم بدون أيِّ ذَنْبٍ أخلاقي وذلك لأسـباب جُسْـمانية أو وِراثية أو نتيجةً لِحَوادِثَ عَرَضِيَّة، إلخ.

إن مُحاولة تَصْحيح الطبيعة ومساعدة الأزواج الذين يَرغبون فِي إنْجاب الأبناء لَهو شيءٌ حَسَنٌ. ولكن ما يُعتَبَر شيئًا مشـروعًا من الناحية الأخلاقية هو فقط "مسـاعدة" الطبيعة، بينما يكون غيرَ أخلاقيٍّ "إحْلالُ مَحَلِّ" ما يَجِب على الأزواج فِعْلُه. ماذا يُمكننا أن نقول هنا عن مُختلف التَّدَخُّلات التي تَحدث اليوم داخل الزواج العقيم؟ هناك ثلاثة تَدَخُّلات رئيسـية: الإخصاب "فِي الأنابيب" "in vitro"، و"التَّلْقيح الصِّناعي الْحَقيقي" و "التلقيح الصناعي الْمَجازي".

١) الإخصاب الصِّناعي "فِي الأنابيب" الذي يَلِيه نَقْلُ الْجَنين

تَحدث هذه العملية لشخصين مُرتبطَيْن بالزواج باستخدام البُوَيْضات والْحَيَوانات الْمَنَوِيَّة الْخاصة بالزوجين الشَّرْعِيَّيْن (فِي هذه الْحالة يُسـمَّى "الإخصـاب الْمُتَجانِس")، أو باسـتخدام بُويضـات وحيوانات مَنَوِيَّة من متبَرِّعِين آخَرين (وفِي هذه الْحالة يُسمَّى "الإخصاب غيْرُ الْمتجانِس").

وهنا يَجب أن نَذْكُر أن الإخصـاب الصـناعي الْمتجانِس لا يُمكن أن يكون شـرعيًا بِأَيِّ حالٍ من الأحوال. الوثيقة التعليميَّة *هِبَةُ الْحياة Donum vitae* تَذْكُر أنَّ: "**الإخصـاب الصـناعي فِي الأنابيب، الْمتجانِس،** يَتِمُّ خارج جسـد الزوجين وبواسـطة تَدَخُّل طَرَف ثالث، كما أنَّ نَشـاط ومَهارة هذا الطَّرَف هما اللَّذان يُحَدِّدان نَجاح العَمَلِيَّة؛ وهو بذلك يَضَـع حياة وهَوِيَّة الْجنين بين يَدَيْ الأَطِبَّاء فيُتيح بذلك للتِّقَنِيَّة الطِّبِّـيَّة سُلْطَةً على مَصْدَر ومَصير الْحياة البشرية. إن العِلاقة التي تَحتوي على هذه السُّـلْطة هي –فِي ذاتِها– مُنافِيَة للكَرامة وللمُسـاواة التي يَجب أن يَشـترك فيها الآباء والأبناء. إن الْحَبَل بواسـطة *الأنابيب* هو نتيجة لفعل تِقَنِي يَسبِق الإخصاب، ولذلك فإن هذا الإخصاب لا يَحْدُث بالفعل، ولا يكون مَرغوبًا – بطريقة إيجابية– كتَعْبيرٍ وثَمَرَة لفعلٍ خاصٍّ بالاتِّحاد الزوجي. فِي حالة الإخصاب الصناعي الْمتجانس فِي الأنابيب –على الرَّغْم من كَوْنِهِ داخل إطار العلاقات الزوجية الْموجودة بالفعل– فإنَّ تَوْليدَ الشخصية البشرية يكون مَحرومًا من كَماله: أي كونِهِ نِهايةَ وثَمَرةَ الفعلِ الزوجي، ذاك الذي يَكون فيه 'الزوجان معاونَيْن لله بِهَدَف إعطاء الْحياة لشـخص جديد'. هذه الأسـباب تُتيح لنا أن نفهم لِماذا يَعْتبر تَعْليمُ الكنيسـة الفعلَ الزوجي الْمكان الْوَحيد اللائِق والْمُؤَهَّل لإنْجاب الْحياة البشـرية، فالكنيسـة تَقِف ضِـدَّ الإخصـاب الصـناعي 'بالأنابيب' (الْمتجانِس) مِنْ وَجْهَة النظر الأَدَبية لأنه –أيْ هذا الإخصـاب– يكون فِي ذاته غيرَ شرعيٍّ ومنافٍ لكرامة الإنْجاب وللاتِّحاد الزوجي، وذلك حتى فِي حالة استخدام كل الوسائل اللازمة لتَجَنُّب موت الْجَنين البشري[٤٠].

أمَّا فِي حالة الإخصـاب الصـناعي غيرِ الْمتجانِس فنحن، بِجانِب ما سَـبَق ذِكْرُه، أمام حالة فريدة من الزِّنا ومِن عواقبَ أُخْرَى فَقَدَتْ مع مرور الأيام تأثيرَها غيرَ الاِعتيادي وقَدْ صارت من الأخبار اليومية الْمَأْلوفة، مثل:

٤٠- **المجمع المقدس للعقيدة والإيمان**، *الوثيقة التعليمية هبة الحياة Donum vitae* (حول احترام الحياة البشـرية الحديثة الولادة وكرامة الإنجاب، ١٩٨٧)، الفصل الثاني رقم ٥ .

– الْمَشاكل الاجتماعية والقانونية: كما فِي حالة الأطفال الذين تَمَّ الْحَبَلُ بِهم من خلال خَلايا تَمَّ التَّبَرُّع بِها، وذلك عندما يَرْفُض الآباء لاحِقًا الابن الذي حُبِل به أو عندما يَنْفصل الأبوان فيَرفضان تَحَمُّل مَسؤولية الطفل (وقد حدث هذا بالفعل) زاعِمَيْن أَنَّهما لَيْسا الوالدَيْن الْحَقيقيَّيْن لِهذا الطفل. كما حَدث بالنسبة لـــ "لويزا بوزانْكِل" التي أُطلق عليها اسمُ "طِفلة بدون أَبَوَيْن"، وكان قد حُبل بِها بعد عَمَلِية تلقيح صِـــناعي فِي رَحِمٍ مُؤَجَّر ثُمَّ انفصـــل أبواها بعد ميلادها فتَحَجَّج الأَبُ بأَنَّها لَيْسَتْ ابنتَه ومِنْ ثَمَّ رفض إعالتَها. وقد أُجْبِر على إعالتِها بعد ذلك بِحسب قانون الولايات الْمتحدة [٤١]. والْحال أكثرُ خطورةً بالنســبة لآلاف الأَجِنَّة الْمُجَمَّدة التي تَمَّ القَضــاء عليها –ويَتِمُّ القَضــاء عليها– لأن والِدَيْها لا يُريدانِها أو لَمَ يُطالِبا بِها (كما حدث فِي إنْجِلْتِرا سنة ١٩٩٦).

– الْمشاكل النفسية: تَتولَّد داخلَ الطفل الذي حُبل به صناعيًا صِراعات خاصة بالشخصيَّة لأنه ، حتى لو أُحتُرِمَ حَقُّه فِي مَعرفة أَبَوَيْه، قَدْ يَحدث أن يكتشـــف أنه ابْنٌ بالتَّبَنِّي (للعائِلة التي وُلِد بِها) لأَبَوَيْن مُختلفَيْن عن الأبوين الْحَقيقيَّيْن (اللَّذَيْن تَبَرَّعا بالْخلايا التَّناسُـلية)؛ كما تُوجد أيضًـا الأم الإنتقالية التي حَمَلَتْه فِي أَحْشـائها (الأم الْمُؤَجَّرة)؛ إنه بِهذه الطريقة قد يكون ابنًا لِخَمْسـة آباء وأمَّهات مُختلفِين. ويَتعرَّض الأَبوان أيضًـا إلَى مشـاكلَ نفسـية: فَمَثَلاً عندما يَحدث الإخصـاب بِحَيَوان مَنَوِيٍّ مُتبرَّع به فإن الأم فِي هذه الْحالة تَكون بالنســـبة للابن فِي حالة تَفَوُّق على زوجِها: إذ أَنَّها هي الأم الْحَقيقية ولكنه هو يكون فقط أبًا بالتَّبَنِّي. ومع مُرور الأيام فإن هذا الْمَوْقِف قد يُسبِّب أحقادًا وعُقْدَةَ الدُّونِيَّة والعَجْز وغيرَها، إلخ.

٢) التلقيح الصناعي "الْحَقيقي"

يَنقسم هو أيضًا إلَى مُتَجانِس وغيرِ متجانِس، بِحَسَب ما إذا كان السائِلُ الْمَنَوِيُّ مأخوذًا من الأب أو من مُتَبَرِّع.

إن التَّلْقيح الصـناعي الْمتجانس، بالْمَعْنَى الْحَقيقي للكلمة، هُوَ الْحالة التي تَستقبل فيها الْمرأة السـائل الْمَنوي من الزوج الشَّـرْعِي ويَحدث الإخصـاب "داخل جسـدِها نفسـه" ولكن من خلال تَدَخُّلات من الأطباء أو الْمِهَنِيِّين تُسـبِّب تَفْريقًا بين الْمَعْنَيَيْن أو البُعْدَيْن الْخاصَّيْن بالفعل الزوجي (مثلاً: الْحصول على السـائل الْمنوي للزوج بواسطة مُمارَسَة العادة السِّرِّيَّة، وبَعْدَ مُعالجَتِه فِي الْمعمل يَتِمُّ ادخالُه للزوجـــة). فِي هذه الْحالة يكون التلقيح غيرَ مشروع وغيرَ أخلاقي بالرَّغم من كَوْنِه أقَلَّ خطورةً من الْحالة السـابقة. وعندما يَحدث التلقيح الصـناعي بِهذه الطريقة فإنه **يَسْـتَبْدِل** الفعل الزوجي ويأخذ مكانَه. يَجب أن نُضيف أيضًـا الظُّروف الْخَطيرة الْمصاحِبة لِهذا الْحَدث، أَلا وهي الْحصول على الْحيوانات الْمنوية بواسطة مُمارسـة العادة السـرية. بالنسـبة للتلقيح الصـناعي غيرِ الْمتجانِس فيَنطَبِق ما ذَكَرْناه فِي حالة الإخصـاب بالأنابيب غيرِ الْمتجانس.

٣) التلقيح الصناعي الْمتجانِس "الْمَجازِي"

من وَجْهَة النظر الأخلاقية فإن مسـاعدة الأزواج الذين لَدَيْهم مشـاكلُ تَخْتَصُّ بإنْجاب الأبناء تُعتَبَر شيئًا مشـروعًا، وذلك بصُـنْعِ كلِّ ما يُمكن فِعلُه ولكنْ فِي حُدود إطار مَفهوم "مسـاعدة" ودونَ أَنْ يَندَرِجَ تَحت بَنْد "الإحلال مَحَلِّ" الفعل

٤١- راجع مجلة الأمَّة La Naciòn ، ٩٨/٣/١٢ ، ص ٣.

الزوجي. يَحْدُث هذا فقط فِي "التلقيح الصـــناعي الْمَجازي". "إن التلقيح الصـــناعي الْمتجانِس داخلَ الزواج –كما تقول الوثيقة التَّعْليمية *هِبَةُ الْحياة*– لا يُمكن أن يُسْـمَح به إلا فِي الْحالة التي لا **تَحِلُّ** الوسـيلة التِّقَنِيَّة **مَحَلَّ** الفعل الزوجي، بل تكون تَسـهيلاً ومسـاعدة لكي يَصِـل هذا الفعل إلَى غايتِه الطبيعية" [٤٢]. وبعد ذلك تَشـرح السـبب: "إن الفعل الزوجي، بِحَسـب تَكْوينه الطبيعي، هو فعل شَخصيٌّ وتَعاوُنٌ متبادَلٌ وفَوْرِيٌّ بين الزوجين. هذا الفعل الشخصي يكون –بسبب طبيعة فاعِلِيه وخُصـوصِـيَّتِه نفسـها– تعبيرًا عن العطاء الْمتبادَل الذي، كما جاء فِي كلمات الكتاب الْمقدَّس نفسـه، يُحَقِّق الاتِّحاد فِي 'جسـدٍ واحدٍ'. من أَجْل هذا فإن الضَّـميرَ الأَدَبِي (الأَخْلاقي) 'لا يُحَرِّم بالضرورة استخدام بعضِ الوسـائل الصناعية الْهادفة حَصْـرِيًّا سَواءَ إلَى تَسـهيل الفعل الطبيعي أو إلَى جَعْل الفعل الطبيعي – الذي تَحَقَّق بطريقة عاديَّة– يَصِـل إلَى غايته' (البابا بيوس الثانِي عشـر). فإذا كانت الوسـيلة التِّقَنِيَّة **تُسـهِّل** الفعل الزوجي أو **تسـاعدُه** على الوصـول إلَى غاياته الطبيعية فإنه يُمكـــن قبولُها أَدَبِيًّا. ولكن إذا كان التَّدَخُّل التِّقَنِي على العَكْس من ذلك، يَحِلُّ مَحَلَّ الفعل الزوجي، فإنه يكون حينئذٍ غيرَ شَرْعي" [٤٣].

لذلك فإنه عندما "يَسـتبدل" الأَطِبَّاء عمل الأزواج أو عندما يتحول الفعل الزوجي إلَى وسـيلة يَحصـل بِها الأطباء على خَلايا ذَكَرِية أو أُنْثَوِية لِيُحققوا "هم" الإخصـاب، فإننا فِي هذه الْحالة نَقَع فِي ضَـلال. وكما يَحدث مع كل الأشـياء السَّيِّئة فإننا نَجد أنفسنا على مُنْحَنَى يَدْفعنا إلَى أسفل كل يوم أكثر فأكثر. فِي البداية وُجد الإخصاب الصناعي، ثُم تَلاه الإخصـــاب "فِي الأنابيب"، وبعدها أخذوا فِي البَحْث عن بُوَيضـــات وحيوانات مَنَوية من مُتَبَرِّعين، ثُم ظهرت الأَرْحام الْمُؤَجَّرة. واليوم نَسمع عن اِسْتِنْساخ الْحَيَوان والإنسان، وهكذا يُفْتَتَح مُستقبَلٌ أَسْوَدُ من الاِختبارات على الإنسان.

٣– القَضاء على الحياة: الإجهاض

إن الإجهاض يُمَثِّل واحدة من أعظم الْمَآسي الْمُشَكِّكة فِي زماننا. بعضُ الإحصائِيَّات "الْمتواضِعة" تُشير إلَى أنه يَحْدُث ٦٠ مِلْيون إجهاض بتَدخُّل جراحي كلَّ عام. يَجب أن نُضـيف إلَى هذا العدد ٥٠٠ مليون حالة إجهاض تُمارسـها النســاء اللاتِي يُســتخدِمْنَ الأَجْهِزَة الْمَزْروعة داخِلَ الرَّحِم (كَاللَّوْلَب) أو الْحُبوبَ الْمُجْهِضـة. إذا أخذنا فِي الاعتبار فقط حالات الإجهاض الناتِجة عن تَدخُّل جِراحي فإننا نلاحظ حُدوث إجهاضَـيْن (اِثنَيْن) كلَّ ثانية. إن ذلك يُعتبَر شَـلاَّلاً من الدَّم تَعْبُرُ حَضارتُنا فِي وَسَطِهِ وهو يَصرخُ إلَى السماءِ مستنجِدًا.

إن الإجهاض هو نَوْع فَريد من القَتْل وقد صار أكثر خُطورةً نتيجةَ ظُروف عَديدة:

أَوَّلاً، بسـبب الشـخص **الْمُعَرَّض للقتل**، ونَعْني كَوْنَهُ لا دِفاعَ لَدَيْهِ عن نفسـه ، وأَيْضًـا كَوْنَهُ قَدْ حُرِمَ من خَيْرات الْمَعمودِية الفائقة للطبيعة. إنه "أكثرُ الناس بَراءَةً على الإِطْلاق، ولا يُمْكن أن نَعُدَّه مِنَ الْمُعْتَدِين الظَّالِمين، فهو ضَـــعيف

٤٢- *هبة الحياة Donum vitae* ، الفصل الثاني رقم ٦.
٤٣- نفس المرجع السابق.

أعْزَل لا يَمْلِك حتى أَدْنَى وسائلِ الدفاع، وهي ما يَمْلِكه الْوَليد من قُدْرَة التَّوَسُّل بالصُّراخ والدُّموع. إنه مَوْكول كُلِّيًّا إلَى حِماية وعِناية مَن تَحْمِله فِي أحشائها" [٤٤].

فِي الْمَقام الثانِي بسبب **الْمَسؤُول الرَّئيسي**: أَلاَ وهي الأم نفسها، بِمُفْرَدِها أو بالاشتراك مع والد الطفل.

فِي الْمَقام الثالث بسبب **الْمُنَفِّذ الرَّئيسي ومعاونيه**: وهم الأشخاص الْمُفْتَرَض أن يكونوا أول الْمدافِعين عن الْحياة من مُنْطَلَق دَعْوَتِهم ووظيفتهم، أَلاَ وهم الأطِباء والْمُمَرِّضون.

من أجل كل هذه الأسباب فإن الْمجمع الفاتيكانِي الثانِي قد وصف الإجهاض بتعبير ***الْجريمة النَّكْراء*** [٤٥]. وقد أسْماه البابا يوحنا بولس الثانِي "الْجريمة النَّكْراء وعارُ البَشَريَّة" [٤٦].

على الرَّغْم من ذلك فإننا يَجب أن نَذْكر أنَّ من يُجْهِضون لَيْسوا كلُّهم مُذنبين بنفس القدر. هناك العديد من الأسباب التي تُخَفِّف من وَطْأة مَسؤولية الفاعل (على الرَّغم من أنَّها لا تُعتبَر عُذرًا). هذه الأشياء التي تُخفف من وَطْأة الفعل تَقع على الأُم وليس على الأطِباء (هَؤلاء يَعرفون جيدًا ما هم مُقْدِمون عليه). من بين الأسباب التي قد تتدخَّل لتُخفِّف حِدَّة الْمَسؤولية يُمكننا أن نَذكر: الْجَهْل بِواقِع الإجهاض، خُصوصًا بسبب الْحَمْلات التي تَلْوِي الْحَقائق فيما يَخْتَصُّ بالإجهاض؛ والعُنْف الذي يُمارسه على الأُم مَن يُحيطون بِها فيَدفَعونَها إلَى الإقدام على تِلك الْخَطْوَة.

وكما نُصَلِّي لله من أجل الأطفال الْمَحْكوم عليهم بالْموت، فإننا يَجب أن نَطلُب إلَى الله من أجل الأُمَّهات اللاتِي أَجهضْنَ، كَيْما تَندَمْنَ على خطاياهُنَّ؛ على أن يكونَ هذا نَدَمًا مَسيحيًّا خالٍ من اليَأْس. "أَوَدُّ أن أُوَجِّهَ إليكُنَّ الْتِفاتَة خاصة، أيَّتها النساء اللواتِي عَمَدْتُنَّ إلَى الإجهاض. لا شَكَّ أنَّ ما جَرَى كان ولا يزال يَحتَوِي على كثيرٍ من الظُّلم، ولكنْ لا تَنْسَقْنَ إلَى اليأس ولا تَتَخَلَّيْنَ عن الرَّجاء، بَل افْهَمْنَ بالأَحْرَى ما حَدث وفَسِّرْنَه فِي ضَوْءِ الْحقيقة. اِفْتحْنَ قَلْبَكُنَّ للنَّدم بتَواضع وثِقة، إذا كنتُنَّ لَمْ تُقْبِلْنَ بَعْدُ على ذلك: فإنَّ أبا الْمَراحِم يَنتظرُكُنَّ ليُقدِّم لكُنَّ الصَّفْحَ والسلام فِي سِرِّ الْمُصالَحَة: فَتُدْرِكْنَ إذْ ذاك أنه لَمْ يَفُتْ الأوان. ويُمكنُكُنَّ أيضًا أن تَستغفِرْنَ الطفل الذي يَحيا الآن فِي الرب ... يُمكنكن أنْ تُصبِحْنَ مِن أَبْلَغ الْمقتنِعين وأَشَدِّ الْمُناضِلين لأجْل حَقِّ الْجميع فِي الْحياة بِشهادتِكُنَّ الْمتألِّمة"[٤٧].

إن كلمات الأُم تيريزا من كالكوتا، والتي نَطقت بِها فِي مُؤتَمَر القاهرة للسُّكَّان، يَجب أن تَظلَّ دائمًا حاضِرة أمامَنا. لقد أعادها على مسامعنا مُجَدَّدًا البابا يوحنا بولس الثانِي [٤٨]: "إنني أتَحَدَّث إليكم من أعماق قلبي، إنني أُوَجِّه كلامي لكل إنسان فِي جَميع بلاد العالَم؛ إلَى الأمهات وإلَى الآباء وإلَى الأبناء، فِي الْمُدن وفِي القُرَى وفِي النُّجوع. إن كل شخص مِنَّا مَوجود هنا بفَضْل حُبِّ الله الذي خلقنا وبفَضل والِدَيْنا اللَّذَيْن استقبَلانا ورَغِبا فِي إعطائِنا الْحياة. إن الْحياة هي أعظم هبة من الله. ولذلك فإنه لَمِن الْمُحْزِن أن نَرى ما يَحدث اليوم فِي كثير من أنْحاء العالَم: فإنه يُقْضَى على الْحياة طَواعِيَةً بواسطة

٤٤- **يوحنا بولس الثاني** ، *إنجيل الحياة* ، ٥٨.

٤٥- **المجمع الفاتيكاني الثاني** *فرح ورجاء*، ٥١ Gaudium et spes, 51.

٤٦- **يوحنا بولس الثاني** ، *عظة خلال لقاء مع العائلات* في البرازيل . من جريدة الأُوسِّرْفاتوري رومانو ٩٧/١٠/١٠ ، ص ٦ رقم ٣.

٤٧- **يوحنا بولس الثاني** ، *إنجيل الحياة*، ٩٩.

٤٨- **يوحنا بولس الثاني** ، من عظة في كالينتش ، بولندا، ٤ يوليو ١٩٩٧؛ جريدة الأُوسِّرْفاتوري رومانو ، ٢٠ يونيو ١٩٩٧، ص٨ . لقد ذكرت الأم تيريزا هذا الحديث في مؤتمر القاهرة للسكان سنة ١٩٩٤.

الْحَرْب والعُنْف والإجهاض. بينما نَحنُ خُلِقنا من قِبَلِ الله من أجْل أشـــياءَ أعظمَ بكثير ألاَ وهي: أن نُحِبَّ وأن نُحَبَّ. **لقد أكَّدْت مِرارًا وأنا واثقة مِمَّا أقولُه، أن الْمُحَطِّم الأعْظَمَ للســـلام فِي عالَمِ اليوم هو الإجهاض. إذا اســـتطاعت الأم أن تَقتل ابنها نفسَـــه، فما الذي يَمنعنا إذًا، أنا وأنتَ، أن يَقتل أَحَدُنا الآخَر؟** الوحيد الذي لديه الْحق فِي إنهاء الْحياة هو الذي خَلقها. هذا الْحق لا يَمْلِكه أيُّ شـخص آخَر، لا الأُمُّ ولا الأبُ ولا الطبيب ولا هيئةً ما ولا مؤتَمَرًا ما ولا حكومةً ما. **يَصْعَقُني التَّفكير فِي كلِّ هَؤلاء الذين أَماتوا ضَمائرَهم لكي يَتمكَّنوا من إجراء الإجهاض.** إننا سنَقِف بعد الْموت وَجْهًا لِوَجْه أمام الله مُعطِي الْحياة. فَمَن ذا الذي يتحمَّل حينَئِذٍ أمامه مســؤولية الْملايين والْملايين من الأطفال الذين لَمْ تُمْنَحْ لَهم الفُرْصـــة لكي يَعيشـــوا ويُحِبُّوا و ِلأنْ يُحَبُّوا؟ إن الطفل هو أعظم هِبَة للعائلة وللأُمَّة. فَلْنَحْذَرْ مِن أَنْ نَرْفُض هِبَة الله هذه أبدًا".

٤- القَضاء على الْحياة الْجنسية

آخر تَزْييف هو تَجْريد الْحياة الْجنسية نفسها من الفضائل. فالْحياة الْجنسية الْحقيقية كما ذكرنا من قَبل هي الاتِّحاد بين رجل وامرأة مرتبطَيْن شرعيًا بالزواج. كل ما يَخرج عن هذا هو حُبٌّ مُزَيَّف وجنس مُدَمِّر.

١) العادة السِّرِّيَّة

فِي الْمَقام الأول تتسـبب مُمارسـة العادة السـرية أَيْ عدم الطهارة على انْفِراد، فِي تزييف الْحب. وهي تعني البحث عن الْمُتعة الْجنسـية فقط بِدون الاتِّحاد بشـخص آخر. وعادةً ما تكون علامةً على عَدم النُّضْـج العاطفي. وهي تَنْتُج عن الأنانية لأنَّها تَخْتَص بشـخص يَسـتخدم الْجنس فقط من أجْل الْمتعة بعيدًا عن إمكانية إنْجاب أبناء. هذه الْخطيئة تُسَـبب كثيرًا من الرَّذائل ، وإذا لَمْ يَتم تَخَطِّيها بواسـطة الفضـيلة فإنَّها تَجعل الرجل أو الْمرأة غير قادرَيْن على مُمارسـة الْحب الزوجي الْحقيقي. فَمَن اِعتاد أن يَسْتَغِلَّ جسده هو فإنه بالْمِثْل سوف يَستغل لاحِقًا جِسْم الآخَرين، ولن يكون قادرًا على الْحُب بل على الاسـتغلال فقط. كما أن تِلك الرَّذيلة، فِي كثير من الأحْيان، يكون التَّخَلُّص منها مسـتحيلاً حتى داخل الزواج، والأَسْوَأ من ذلك أنَها قد تُؤَدِّي إلَى عَدم الرِّضى الزَّوْجي.

٢) الْمَثَلِيَّة الْجنسيَّة

فِي حالة الْمَثَلِيَّة الْجنسية يَجب أن نُفَرِّق بين أَمْرَيْن: الْمَيْل الذي قد يشعر به بعض الأشخاص نَحو أُناس مِن نفس جِنسهم، وبين مُمارسة الْحياة الْجنسية فيما بين أشخاص من نفس الْجنس.

يَجب أن نُوَضِّح قبل كل شيء أننا نَقْصُد بالفعل الْجنس الْمَثَلِّي ليس فقط الأفعال الْجنسية الْخارجية التامَّة ولكن أيضًـا أفعال الرَّغْبة والأفكار الإرادية. تُعْتَبَر هذه شـرًّا بِذاتِها. هذا ما يُعلِّمه الكتاب الْمقدس (فِي سـفر اللاويين ٢٢/١٨: *والذَّكَر لا تُضاجِعْه مضاجَعَةَ النساء: إنَّها قبيحة*؛ راجع أيضًا روم ٢٧/١؛ ١ كور ٩/٦-١٠، إلخ.) كما يؤَكِّد ذلك أيضًا التعليمُ الْمسيحي: "اللَّواط يعني العَلائق بين رجال أو نسـاء يَحِسُّـون انْجذابًا جنسـيًّا، حَصْـريًّا أو غالبًا، إلَى أشـخاصٍ من الْجنس نفسـه. وله أشـكالٌ متنوعة جدًا على مدى العُصـور والثقافات. تَكوينُه النفسـي لا يزال فِي مُعْظمِه غيرَ واضـح.

والتَّقْليد، استنادًا إلَى الكتاب الْمقدس الذي يَعتبره بِمَثابة فَسادٍ خَطير، أَعْلن دائمًا أنَّ 'الأفعال اللَّواطية (اِتِّحاد الْمَثَلِيّين) هي مُنْحَرِفةٌ فِي حدِّ ذاتِها'. إنَّها تَتعارَض والشريعة الطبيعية. إنَّها تُغْلِق الفعل الْجنسي على عَطاء الْحياة. فهي لا تَتَأَتَّى من تَكاملٍ حقيقي فِي الْحب والْجنس. ولا يُمكن الْموافقة عليها فِي أيِّ حالٍ من الأحوال" [٤٩].

إن السبب نفسَه يَجعلنا نفهم ذلك لأنه يُوَضِّح لنا أن تلك الأفعال:

– تَفتقر تَمامًا إلَى الغاية الإنْجابية التي هي خاصة بالفعل الْجنسي البَشَري.

– تُنْكِر التكامُل بين الرجل والْمرأة وهو شيء منقوش فِي الطبيعة نفسها: ليس فقط لأن الذَّكر والأُنثى متكاملان جنسيًّا، ولكن لأنَّهما أيضًا متكاملان بِحَسَب الْخلايا الْجنسية نفسها أَلا وهي البُوَيضة والْحيوان الْمَنَوِي، وكذلك لأنَّهما متكاملان نفسيًّا.

– تُنْكر حِكْمة الله الْخالقة: إذْ بإنكارها الشيء الوحيد الْمنقوش بوضوح فِي داخل طبيعة الإنسان (أي التكامل بين الذكر والأنثى) فهي تُنْكر مُخَطَّط الله فِي الْخليقة.

– تُنْكر عَطاء الذات الذي هو السببُ الشرعي لاستخدام الْجنس. ذلك لإن الفعل الْجنسي بين الْمَثَلِيّين هو بَحْثٌ عن الْمتعة الذاتية أكثرَ مِمَّا هو عطاء للذات.

– إنه فِعْل ضِدَّ الْمجتمع: لأنه لا يساهم فِي إنْجاب أبناء جُدُد للمجتمع. لأن الْجنس يهدف إلَى الإبقاء على النَّوْع. لو كانت الْممارسة الْجنسية الْمَثَلية شيئًا مشروعًا ومارَسَه الْجميع لكان ذلك يعني انتحارَ الْمجتمع.

بالنسبة **للمَيْل إلَى الْمَثَلِيَّة الْجنسية**، يَجب أن نقول أساسًا أنه لا يُمَثِّل خطيئة إذا لَم يَستَجبْ لَه الشخص. ولكننا فِي **نفس الوقت** يَجب أن نؤكد أنه فِي ذاته، بِما أنه **يَميل كَغايةٍ له** إلَى فعل غير مُنَظَّم، إنَّما هو **خَلَلٌ**. **من الْجائز ألا يُعْتَبَر خطيئة:** "هناك عددٌ لا يُستهان به من الرجال والنساء الذين لَدَيْهم ميولٌ لَواطية عميقة. هذه النَّزْعة، الْمنحرِفة مَوْضوعيًّا، هي بالنسبة إلَى معظمهم مِحْنَة، فهم لَم يَختاروا حالتهم هذه" [٥٠]. ولكنها تُمَثِّل **خللاً موضوعيًّا:** "إن الْميل الْخاص بالشخص الذي يَميل إلَى اللَّواط، وإن لَم يكن يشكِّل فِي حد ذاته خطيَّة، يُمَثِّل على الرغم من ذلك ميلاً، صَغُرَ أم كَبُرَ، نَحو تَصَرُّف سَيِّءٍ بطريقة جوهرية قاطعة، وذلك من وَجْهة النظر الأدبية والأخلاقية. من أجل هذا، فإنَّ الْميل نفسه يَجب أن يُعتبَر خَللاً موضوعيًا" [٥١].

وبالتالي، فإن هؤلاء الأشخاص مَدعوُّون إلَى مَعيشة العِفَّة بطريقة تامة وإلَى ضَمّ العَذاب الذي يسبِّبه هذا الْميل إلَى صليب الْمسيح: "هؤلاء الأشخاص مدعوُّون إلَى تَحقيق مشيئة الله في حياتِهم، وإذا كانوا مسيحيين أنْ يَضُمُّوا إلَى ذبيحة صليب الرب الْمَصاعب التي قد يُلاقونَها بسبب وَضْعِهم. الأشخاص اللَّواطيون مدعوُّون إلَى الطهارة. وهم

٤٩- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* رقم ٢٣٥٧.
٥٠- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، ٢٣٥٨.
٥١- **المجمع المقدس لعقيدة الإيمان** ، رسالة إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية حول العناية الرعوية نحو الأشخاص المثليين جنسيًا ، ١٩٨٦ رقم ٣.

قادرون على التَّقَرُّب تَدْريـــجيًا وبِعَزْمٍ إلَى الكَمال الْمسيحي، ومُلزَمون بذلك، مستعينين بفَضائل السَّيْطرة على الذات التي تُربِّي على الْحُرية الداخلية، وأحيانًا بِمساعدة صَداقةٍ نَزيهة، وبالصلاة والنعمة الأَسْرارية" [٥٢].

٥٢- *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، رقم ٢٣٥٩.

الفصل الثامن

إنسانية وأخلاقية الوسائل الطبيعية لتنظيم النَّسْل

يَزداد الاقتناع يومًا بعد يوم حَوْلَ فاعِلِيَّة ما يُسمَّى "بالوسائل الطبيعية لتنظيم التَّوالُد". فقد قررت مُنظَّمة الصِّحَّة العالمية (O M S) منذ بِضْعِ سنوات أن فاعليَّة الوسيلة الطبيعية الْمعتمِدة على التبويض أكبر من فاعلية الأَقْراص الْمُحْتَوِية على (الإسْتيروچين والپْرُوچسْتِرون)؛ كما أَقَرَّت أنه يُمْكِن تعَلُّم هذه الطريقة وتطبيقها دون صعوبة من قِبَل نساءٍ ذَواتِ ثقافة مَحدودة ومنتميات إلى مُسْتَوًى إقْتِصاديٍّ منخفض[٥٣] . وقد أقامت الحكومة الصينية اختبارًا حديثًا بِخصوص طريقة "بيلِنْجْز" (Billings) في الْمُقاطعة المكْتَظَّة بالسكان في نانچينج، وأَعْلَن النتيجةَ الدكتورُ "جون بيلنجز" في المؤتَمر الذي أُقيم بِمُناسبة مرور ثلاثين عامًا على ظهور وثيقة *"الْحياة البشرية" (Humanae Vitae)*، وذلك في الْجامعة الكاثوليكية بروما. جاءت النتيجة غيرَ قابِلة للجِدال: فمِن بينِ ٩٢٢ زوجًا استخدموا هذه الطريقة لِمُدَّة عام، أصبحت ٥ زَوْجات منهم فقط حَوامِلَ، ويُمَثِّل هذا نِسْبة فاعِلية تقدر بـ ٩٩,٥٪ . من بين هؤلاء الأَزْواج كان ٣١٪ قد حَصَلوا على التعليم الإبتدائي و٥١٪ على التعليم الثانَوِي ووصل ١٨٪ فقط منهم إلى الجامعة. حالات الحمل الْخَمْسُ التي حدثت كانت لِنساء من الطَّبَقَتَيْن الْمُتَوَسِّطة والعُلْيا، ولَمْ تَكُنَّ قد واظَبْنَ على حُضور جَميع اللِّقاءات التعليمية الخاصة بتَطْبيق الطريقة [٥٤]. وعلى الرَّغم من عَدَم موافقتنا على غايات الحكومة الصينية مِن اِنْتِشار تلك الطُّرُق، إلاَّ أَنَّ النتائج هي على قَدْرٍ كبير من الأهَمِّية لِلدَّلالة على صَلاحِيَّتِها.

وهنا نَتطَرَّق إلى نقطة شائِكة أَلا وهي التساؤل التالي: ما هو الفَرْق بين الطُّرُق الطبيعية والطرق الأُخرى لتنظيم النَّسْل؟ هَل هو فرق في الطريقة العَمَلية فقط؟ أَمْ هل هو جَدَل بين طرق "مسموح بِها" من قِبَل الكنيسة وبين طرق "مَمنوعة" من قِبَل الكنيسة؟ كَلاَّ بالتأْكيد. فالمشْكِلة أَعْمَق من ذلك بكثير، والإجابة بطريقة عامة قد تَكون هكذا: إن الاستخدام الأَمين للطرق الطبيعية لتنظيم النسل لا يَقتصر فقط على "أُسْلوب" للتنظيم وإنَما يَتَمَثَّل في واقع أوسع بكثير وهو واقع يَدخل في إطار التعليم الذي يَهْدِف إلى كَمال الفَضائل عِنْدَ الأَزْواج؛ ولِهذا الغَرَض فمِن **الضَّروري** عند تَعْليم هذه الطرق أن تُقدَّم مَصْحوبة بِشَرْح يَحتَوِي على المبادئ الإنسانية الأنْثْروبولوجية والروحانية والأخْلاقية التي تَفْتَرِض هذه الطرق الإستناد إليها. سنرى ذلك التفصيل.

١- الفرق الإنسانِي الأنْثْروبولوجي

لقد أَكَّد البابا يوحنا بولس الثاني على أن الفرق بين وَسائِل مَنْع الْحَمْل والوسائل الطبيعية لتنظيم النسل ليس فرقًا "في الأُسلوب" فقط ولكنه فرقٌ أخلاقيٌّ إنسانِيٌّ (انثروبولوجيٌّ) [٥٥].

٥٣- راجع *الجريدة الطبية البريطانية British Medical Journal* ، ١٩٩٣/٩/١٨، المجلد ٣٠٧ ص ٧٢٣ - ٧٢٥.
٥٤- راجع النشرة الإخْبارية *Zenit* ، ٣ مارس ١٩٩٨.
٥٥- راجع **يوحنا بولس الثاني**، *الشَّراكة العائلية*، ٣٢.

١) الْمَظاهِر الانْثروبولوجية في وسائل مَنْع الْحَمْل

إنَّ وسائل منع الحمل (كالْحُبوب، والوسائل الحاجِزة، والتَّعْقيم، إلخ .) تَفْرِض مَفهومًا متشائمًا ومادِّيًّا على الشخصية البشرية :

– **لِلشَّخْص ذاتِهِ الذي يستخدمها**، فَهُوَ إذْ يَلْجأ إلى تِلْكَ الوسائل يَعتبر نفسه غيرَ قادر على تَتْميم الشريعة الأَدَبِية الْمَوضوعة من الله داخلَ طبيعة ذلِك الشخص نفسه. إنَّها رؤية مُتَدَنِّية لأن الإنسان من خلالِها يُنْكِر مُمارسة "ضَبْطِ نفسه": بَدَلاً من "التَّحَكُّم في ذاته" جِنسيًّا عندما يكون لَدَيْه الدَّافع لذلك والإكْتِفاء بِممارسة العِلاقات الجنسية في الأَوْقات غَيْرِ الْخَصْبة، فإنه يَلْجَأ إلى "الطريق الأَسْهل" مِنْ خِلال الْحُبوب أو الوَاقي أو وسائِلَ مشابِهة؛ هذا السُّلوك يُجْبِره على التَّقْصير في الصِّراع من أجل بُنْيان شخصيته ذاتِها. إن مَنْ يتصرف بِهذه الطريقة هو إنسان "غيرُ مُنْضَبِط"، أيْ أَنه ضَعيف الطِّباع وعَبْدٌ لغَرائِزِه البِيولوجية.

– **لِشَخْصِية الطَّرَفِ الآخَر**، الذي يُعتَبر في حالة استخدام الوسائل المانعة للحمل كَأَداةٍ لِلْمُتعة. ليس هو إذًا الشخصُ الذي "يُقَدِّم" الْمَرْءُ ذاتَه له و "يُعطي" نفسه له ولَكِنَّه يَصير الأَداة التي "مِنْها" يَتِمُّ الْحُصول على المتعة الجنسية. إنَّ "استخدام" و "استغلال" شَريكَ الْحياة يُعبِّران عن نَظرة نَفْعِية مُضادَّة للحُبِّ الخالِص.

– **لِلطَّبيعة الجنسية نفسِها في البَشَر**، التي تَتَمَزَّق داخليًا بسبب فَصْلِها عن الأَبْعاد غَيْرِ القابِلة للإنفصال التي وَضَعها الخالق فيها: البُعْد الْمُوَحِّد (الذي به يَصير الزَّوْجان جسدًا واحدًا) والبُعْد الإنْجابِي (الذي به يشترك الزوجان مع عمل الخلق الإلَهي). وكما يقول البابا يوحنا بولس الثاني، "فإنَّ الواحد يَتحقق بِواسِطة الآخَر"، ولذلك فإنه إذا فَصَلْنا بُعدًا منهما عن الآخَر فإنَّ كِلاهُما يُصابُ بالإحْباط [٥٦].

– **لِلحياة البَشَرِيَّة**: إذْ أنَّ الحياة التي يُمْكِنُهما إنْجابُها بواسطة أفعالِهما (نعني بِها الإبْنَ الْمُرْتَقَب) تُعْتَبَر في هذه الحالة تَهديدًا، أيْ خَطَرًا وحِمْلاً وشَرًّا. وتَتْبع ذلك خَطْوَةُ التفكير بنفس الطريقة فيما يَخُصُّ وُجودَ الشخص نفسه في الحياة وفيما يَخُصُّ أيضًا حياةَ القريب. ولذلك فإن العَقْلِيَّة الْمُوالية لِمَنْع الْحَمْل تُؤَدِّي إلى –أو يُمْكِنها أن تؤدِّي إلى– العقلية الموالية للإجهاض وإلى فُقْدان مَعنى الحياة وإلى الْمَيْل لِلإنتحار (وبالفِعْل فإن منعَ الحمل هو انتحار اجتماعي).

– **لله نفسِه**، الذي يُنْظَر إلى مَقاصِدِه على الحياة البَشَرية والتَّناسل كَما لَوْ كانت اِسْتِبدادِية وغيرَ مُلائِمة لِظُروف الإنسان الشخصية ؛ إنَّها حالة من الغَطْرَسة حَيْثُ أن الرجل والمرأة من خلالِها يَعْتَبِران نَفسَيْهما حَكَمَيْن على الْمُخَطَّط الإلَهي حَوْلَ الجنس – الْمُعَبَّر عنه في البُنْيَة الطبيعية للفِعل الجنسي– فيُغَيِّران الغايَةَ الْجَوْهَرِية للفعل الْمُوَحِّد وارْتِباطَهُ الوَثيق بالقُدْرة الإنْجابية .

إن تِلْكَ الوسائل تُسَمَّى بِحَقٍّ "مَنْعَ–الْحَمْل" أو "ضِدَّ–الحمل" لأن "هَدَفَها الأَدَبِي"، أو ما يَسْعَى إليه الزوجان عند اللُّجوء إليها، هو التَّدْمير الإيجابِي لِكُلِّ الإمكانيات التي قَدْ تُؤَدِّي إلى الْحَبَل بِحياةٍ جديدة. فإنه يَتم القَضاء على هذه

٥٦- راجع **يوحنا بولس الثاني**، *الكرازة الأسبوعية*، جريدة الاوسيرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٨/٢٦، ص ٣ رقم ٦.

الإمكانية من خِلال فِعلٍ يُؤدي إلى تَغيير بِيولوجي لَدَى الذَّكَر أو الأُنثى (كما يَحْدُث في حالة الْحُبوب أو اللَّوْلَب الذي يُزْرَع داخلَ الرَّحِم أو التَّعْقيم، إلخ .)، أو مِن خِلال التَّدَخُّل في الفعل الجنسي لِمَنْع الْوُصول الطَّبيعي للخَلايا الْجنسية الذَّكَرية إلى الجِهاز التَّناسُلي للمَرْأَة (كما يَحْدُث في الوسائل الحاجِزة).

٢) الْمَظاهر الأنْثروبولوجية لِلْوَسائل الطبيعية

إن الْمَقْصود بِتَعْبير "الوسائلِ الطبيعية" هو تلك العِلاقات الْحَميمة بين الزَّوْجين والتي يُحاوِلان بواسطتها تنظيم التناسُل البَشَري بدونِ **تَعْديلٍ** ما هو طبيعي في الفعل الجنسي (وبالتالي بدون استخدام مَوَانِعَ أو تَعطيلٍ للفعل الزوجي، إلخ .) وبِدون تَعديل بِيولوجي لأَيٍّ مِن الزوجين (مِن خِلال استخدام الحبوب الْمانعة للتَّبْويض، أو رَبْط الأنابيب أو الأَجْهِزة الْمَزْروعة داخلَ الرَّحِم، إلخ.). ويَتِم كل شيء باحترامٍ لطبيعة الفعل الزوجي؛ ولكن – انطلاقًا مِن مَعرفة مُسْبَقة بالطبيعة البيولوجية الخاصة وبإيقاع الخصوبة لَدَى الأُنْثَى– تَقتصر العِلاقات الزَّوْجية على الفَتَرات غَيْرِ الْخَصْبة؛ ولِهذا السبب فإن كل وسيلة طبيعية تُسمَّى أيضًا "طريقةَ الامْتِناع الدَّوْرِي".

إن كل وسيلة طبيعية هي –بِحَدِّ ذاتِها– غيرُ مُسبِّبة للحَمْل "noconceptivo"، ولَيْسَت مانعةً للحَمْل "anticonceptivo"، لأنَّها لا تَلْجَأ إلى أيِّ فعل إيجابِي تَكون غايتُه القَضاء على الاحْتِمالات الطبيعية لِحُدوث حَمْلٍ.

والوسائلُ الطبيعية –بِحَدِّ ذاتِها– تَسْتَمِد جُذورها من "لاهوتِ الْجَسَد" أيْ مِن "لُغَةِ الْجَسَد": يَجب أنْ يَظَلَّ حاضرًا لدينا أنَّ 'الْجِسْمَ يَتكلَّم'، لا فَقَط من خِلال كل التَّعبيرات الْخارجية لِلذُّكورة والأُنوثة، بَلْ أيضًا من خلال التركيبات الداخلية لِلأَجْهِزة الْجسم ورُدودِ الأَفعال الجَسَدِية وكذلك النفسانية – الجسدية [٥٧]. وهذا يَعني:

– أنه من جهة، يَتكلم الجِسم البَشَري إلى كلِّ إنسانٍ مُظهِرًا له مشيئةَ الله، وقَبْل كل شَيْء من خلال الذُّكورة والأُنوثة، فَنَجِد أن الله نفسه هو الذي يَبْحث للذَّكَر عن "مُعِين مُشابِهٍ له" (تك ٢/٢٠) "وهو قَدْ خَلَق المرأة وقدَّمها للرجل" (٢/٢٢) والله يقول: "لِيَتَّحِد الرجل بالمرأة ويَصيرا جسدًا واحدًا (٢/٢٤)، "أَثْمِروا واكْثُروا" (١/٢٨). فالْخالق يُبَيِّن هو أيضًا للإنسان مشيئته فيما يَخْتَص بالجنس والتناسل "بواسطة التركيب الداخلي للجسم" أيْ بواسطة التَّتابع بين الْخُصوبة واللاَّخُصوبة.

– من جهة أخرى، فإنَّ الزوجَيْن يَتَحَدَّثان –أيْ يتخاطبان– لا فقط بالكَلِمات بل أيضًا بالإشارات وباستخدام الجسد. ويَجب عليهما احترامَ ما يقولُه الْجسد خلال الفعل الزوجي، أيْ: العَطاء الكامِل غيرِ الْمَحْدود والوَحدة الْجسدية التامَّة التي تكون بِمثابة مَعْبَرٍ للوَحدة العاطفية والروحية. ويَجب عليهما أن يُطابقا عَقْلَيْهِما ونَفْسَيْهِما ونِيَّاتِهما مع "الكَلِمات" و "الإشارات" التي يَختارانِها للكلام.

إن الكائنَ البَشَرِيَّ ليس حَيَوانًا أَعْمَى ولكنه كائنٌ ذُو عَقْلٍ. وقد أُعْطِيَ له نورُ العقل حَتَّى "يَقْرَأَ" الْمَقْصَد الإلَهي ويَفْهَمَه ويَجعل منه "دُستورًا" لتَصَرُّفاته. فَكَما أنَّه يَقْرَأ في واقِعَيْ الذُّكورة والأُنوثة الْمَقْصَدَ الإلَهي المتعلِّق بالزَّوَاج (مقصد

٥٧- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* ، جريدة الأوسرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٩/٩ ، ص٣ ، رقم ١.

اختلاف الجنسين –أيْ واحدٌ مع واحدة– والاِتِّحاد –واحدٌ فقط مع واحدة بِعَيْنِها–)، فهو يَقْرَأ أيضًا ويَفهم – في التَّبَادُل بين الفَتَرات المُنْتَظِمة للخصوبة ولِعَدَم الخصوبة – مشيئةَ الله حَوْلَ التناسل (كما "يَقرأ" الزارع مشيئةَ الله في الفترات المنتظمة للأرض): فيَجعلُهُ اللهُ يَفهم أنَّه يَجب عليه أن يَكون "مسؤولاً" في تناسله: فيُحْضِر إلى الوُجود عَدَدَ الأبناء الذي يُريده الله والذي تَحتاج إليه الكنيسة والْمجتمع، ويَحترم القُدرة الْجَسَدية والنفسية للمرأة، وكذلك للرَّجل، وأن يَأخذ بِعَيْنِ الاِعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يتواجدان فيها، إلخ.

ولذلك فإن معرفةَ الوسائل الطبيعية تَضع الرجل والمرأة أمام مسؤولية معرفةِ كيانِهما: فيتعلَّمان أن يَتعرَّفا في ذاتَيْهما على "مَخلوقَيْن" هُما صُنْعٌ إلَهِيٌّ وهُما حاملَيْن لِمُخَطَّطٍ مُعطًى من الله [٥٨]. وهما يتعلَّمان أيضًا أنَّهما "وَكِيلَيْن" لِتِلك الْمَشيئة الإلَهية ولَيْسا حَكَمَيْن أَعْلَيَيْن.

من جهة أُخْرَى تَندرج الوسائل الطبيعية داخلَ الإطار الأشْمل "لتعليم" الفَضائل. فالإنسان هو وَحدةٌ غَيْرُ منفصلةٍ بين النفس والجسد مَعًا؛ وشَخصيتُه لا تَقتصر على النفس فقط، كما لا تقتصر على الجسد منفصلاً. لأن الإنسان يَصِل إلى كَماله البَشري بِقَدْر ما يَكتسب من الفَضائل التي يَمنحه إياها الْمِلْءُ البَشري لِشَخصيته. وغاية الفَضائل تَتمثَّل في تَرسيخ عِلاقة متناسِقة ومستقيمة بين الروح والجسد. وهذا يعني أن الكائن البَشري (سَواءً كان ذَكَرًا أَمْ أُنثى) يكون أكثرَ إنسانيةٍ بقَدْر ما تَتَناغَم عِلاقة روحِه بِجسدِه . ويَتطلَّب ذلك فضيلةً وصراعًا لأن الخطيئة الأَصْلِيَّة قد أَدخلت اِختلافًا بين تَطَلُّعات الروح ومُيُول الجسد: "الروح نَشيط أمَّا الجسد فضعيف" (متى ٤١/٢٦)، "أَشعر في أَعْضائي بِشَريعة تُناقِض شريعة عَقْلي وتُقَيِّدني" (رو ٢٣/٧). ولذا فإن مُمارسة الوسائل الطبيعية أو وسائل "الاِمتناع الدَّوْرِي" تَتطلب لا فقط مَعرفة الإنسان عن نفسه بل التَّدَرُّب على **ضَبْط النفس**. ولذلك فإن هذه الوسائل، عندما يكون استخدامها له ما يُبَرِّرُه أخلاقيًّا، فهي تَكون في الوقت نفسه وسائلَ "تَرْبَوِيَّة" للشخصية وللطَّبْع؛ وتُمَثِّل عمليةً تَرْبَوِيَّةً تُكْسِبُ الفَضائل وخاصَّة فَضيلَتَيْ العِفَّة وضَبْط النفس.

إن ماهيَّة الوسائل الطبيعية الأَنْثْروبولوجية تتمثَّل في كَوْنِها فقط "وسائلَ تَشْخيصِيَّة" لفَتَرات خُصوبة المرأة، وهو ما يَفتح الْمَجال أمام إمكانية الاِمتناع عن العِلاقات الجنسية عندما تكون هناك أسباب مسؤولة ومُبَرَّرة تتطلَّب تَجَنُّب حَمْلٍ جديد. في هذه الحالة فإن "الوسيلة" تُتيح فقط الفُرصة للزَّوجَيْن حتى **يُعَدِّلا مَسْلَكَهما الجنسي بواسطة الاِمتناع**، فيَحتفظا باللقاءات الْحَميمة لِحِين الفَتَرات غيرِ الْخَصْبة؛ وهي **لا تُغَيِّر** بأيِّ حالٍ من الأَحْوَال الفعلَ الْجنسي ولا فعل العَطاء والقُبول الكامل للزوج أو الزوجة؛ لذلك فهي لا تُغَيِّر في طَبيعة الفعل الزوجي الْخاصة، مُحافِظةً بذلك على بُعْدَيْه: البُعدِ الْخاص بالوَحدة والآخَر الْخاص بالتَّناسل. إنه لشيء **مُهِمٌّ جدًا** أنْ نُدَقِّق على أنَّ الوسيلة الطبيعية تتمثل **جَوْهَرِيًا** في الفعل الروحي لِضَبْط النفس في مواجهة الشَّهْوَة ، كما تتمثَّل في العَطاء الروحي. يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "إنَّه لا يُمْكِنُنا أن نُفكِّر إذًا في تَطْبيقٍ آليٍّ للقوانين البيولوجية. إذْ أَنَّ مَعرفة فَتَرات الْخُصوبة في حَدِّ ذاتِها –حتى لو كانت لا غِنًى عنها– لا تَخلُق وَحْدَها **تلك الْحُرِّية الداخلية** للعَطِيَّة، التي لَها **طبيعة روحية واضحة** وتَعتمد على نُضوج الإنسان الباطِن" [٥٩].

٥٨- راجع **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الاسبوعية* ، جريدة الاوسرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٩/٢ ص٣ رقم ٦.
٥٩- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* ، جريدة الاوسرفاتوري رومانو، ١٩٨٤/١١/١١ ، ص٣ ، رقم ٤.

ونَرَى بِوُضوح أن ما سَبق يَفترض مُمارسة **فَضيلة العِفَّة الزَّوْجية**. وتُعتبر هذه إحدى **الأسباب الرئيسية لِصَلاح** تِلك الوسائل عندما يكون تنظيم النسل شيئًا ضروريًّا، حيث يكون قبول ومُمارسة الفضائل عامة – والعفة خاصةً– شيئًا ضروريًّا للحب الزوجي الحقيقي. فبدون الفضائل (وخصوصًا العفة وضبط النفس) لا توجد إمكانية حب حقيقي، إذ أن **الحب الزوجي** هو واقع يَتخطَّى الطبيعة الجنسية البيولوجية، ليَصِلَ إلى أعلى درجة من التعبير عن نفسه في العاطفة وفي الروحانية. ولكن **الشَّهْوَة** (فَوْضَى الرغَبات الْمُعَرَّضُ لَها كلُّ إنسان بسبب الخطيئة الأصلية)، لكونِها تبحث قبل كل شيء عن المتعة الجسدية والجنسية، تَجعل الإنسان أعمَى – بطريقة ما – وفاقدًا للحَساسية تُجاهَ القِيَم العميقة التي تَنْبُع من الحب والتي تُمَثِّل الحقيقة الداخلية الخاصة بالحب نفسه" [٦٠].

نُوْجِز ما ذَكَرْناه في أنَّ الوسائل الطبيعية تَضْمَن نُضوج وتَناغم ووَحدة الشخصية البشرية:

– فهي تُوَحِّد فيما بين البُعد الروحي والبُعْد الجسدي للإنسان، لأنَّها تسمح بِمعرفة وبالتحَكُّم في الواقع البيولوجي من خلال سيادة إرادة الإنسان الخاصة (ضبط النفس). وهي بذلك تسمح "بالوصول إلى تناغم الجسد والعقل والروح". ولذلك فهذه الوسائل عندما تُمَارَس بطريقة تَحتوي على الفضيلة فهي تصير "مُحرِّرَة": "تُحَرِّر الأزواج من المؤَثِّرات الثقافية والاقتصادية والسياسية التي تَفْرِضها برامج تنظيم الأُسرة. وهي تُحَرِّر الشخص –خصوصًا المرأة– من اللُّجوء إلى أدوية أو أشكال أخرى من التدخُّل في الوظائف الطبيعية..." [٦١].

– توحِّد المعنَيَيْن أو البُعدَين الخاصَّيْن بالفعل الزوجي: الإتِّحاد والإنْجاب.

– تُوحِّد ما هو داخلي بالخارجي: فالفعلُ الداخلي الدالُّ على حُبِّ العطاء الكامل للذات وأيضًا على حُبِّ القُبولِ التام، يُعَبِّر عنه فعلٌ خارجي "يقول" نفسَ الشيء (أما في حالة وسائل منع الحمل فإن الفعل الخارجي "يُنكِر" تَمامَ العطاء ؛ إنه عطاء مَنقوص: تُعطَى أو تُؤخَذ المتعة الجسدية ولكن لا يُمنَح الكيان كلُّه وقدراتُه).

٢– الفَرق الأخلاقي

إن الفرق بين هذه الوسائل والوسائل الأخرى هو "فرقٌ جَوْهري"، وهو فرق "ذو طبيعة أخلاقية". إنَّهما فِعلان ذَوَا صِفات أخلاقية مُختلفة، بل أكثر من ذلك، ذَوَا صفات متناقِضة" [٦٢].

١) وسائل منع الحمل

إن الزوجين يَمنعان بواسطة وسائل منع الحمل تَطَوُّرَ العمليات الطبيعية" [٦٣]. ويكون لديهِما هدفٌ أدبِيٌّ سَيِّئٌ في جَوْهَرِه. فمن ناحية يَمتنعان عن عطاء الذات الكامل؛ ومن ناحية أخرى يَحدث بطريقة ايجابية القَضاء على إمكانيات حدوث حَمْل جديد (وهذا يَضعُهما داخل إطارِ مَفْهومٍ يكون ضِدَّ الحياة وضد الْحُبَل، وضد الإنْجاب؛ ولذا فإن ذلك

٦٠- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* ، جريدة الاوسرفاتوري رومانو ١٩٨٤/١٠/٢٨ ، ص٣ رقم ٢.

٦١- **يوحنا بولس الثاني** ، *مقابلة مع المشتركين في اللقاء الدولي حول موضوع : "تنظيم الخصوبة ؛ الحل البديل الحقيقي"* ١٩٩٢/١٢/١١ ، رقم ٤ ؛ في "تعاليم يوحنا بولس الثاني ، مكتبة الفاتيكان ، Unitelm ، پادوڤا ، ١٩٩٦".

٦٢- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* - جريدة الاوسيرفاتوري رومانو ، ١٩٩٤/٨/١٢ ص ٣، رقم ٢؛ راجع **بولس السادس**، *الحياة البشرية* ، ١٦.

٦٣- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* ، جريدة الأوسيرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٨/١٢ ، ص٣ رقم ٢.

السُّلوك يُعبِّر عن الفِكْر التالي: "إنه لَشيء سَيِّءٌ أن يَتِمَّ الحمْل بكائن جديد، ولذلك فأنا أريد أن أقضي على إمكانية حُدوث ذلك"). **إن قرار اللجوء إلى الوسائل الصناعية يَفترض وُجود تَمييز وحُكْمٍ عَقْليٍّ يَحكم من خلاله الزوجان بأنه خَيْرٌ لَهما أن يَصيرا غيرَ خَصْبَيْن بطريقة اِصْطِناعية؛ ويُقَرِّران حينئذ أن يُتِمَّا الفعل الْمُؤَدِّي لديهما إلى "الشر الكامِن في عَدَمِ الْخُصوبة".**

لِهذا السبب، فإن كل وسائل منع الحمْل، عندما يُسْعَى إليها لِكَوْنِها كذلك (أيْ مانعة للحمْل) [٦٤]، هي سيِّئَةٌ في جَوْهرِها ولا يُمكن أبدًا أن تكون مُبَرَّرة حتى عندما تكون الدَّوَافع (التي تَدْفع الزوجين لاتِّخاذ قرار تَباعُد الْمَوَاليد أو عدم الإنْجاب) شَرْعيةً. يقول البابا بولس السادس: إن الكنيسة مُتَّسِقَة مع نفسها... فهي تُدين دائمًا اِستخدام الوسائل التي تُناقض الخصوبة بطريقة مباشرة وتعتبرها غير شرعية، حتى لو استُخْدِمت لأسباب شَريفة وجادَّة ظاهريًّا "... [يُعتبَر غيرَ شَرعيٍّ] "كلُّ فِعل تكون غايتُه أو يكون هو **وسيلة**ً لِمنع الإنْجاب"[٦٥]. المقصود بـــ "وسيلة" هو أنه أحيانًا لا يكون منع الحمل مرغوبًا لذاته بل كوسيلة للوصول إلى غايةٍ أُخرى قد تكون صالِحة في حدِّ ذاتِها (مثل تَجَنُّب خطر مَوت تِلك السيدة التي يُمكن أن يُعرِّضـــها حَملٌ جديد إلى المخاطرة بِحياتِها، أو مِثل تَباعد الولادات لِلتَّمَكُّن مِن تربية الأبناء الموجودين بالفعل تربية أفضل، الخ .). في تلك الحالة فالمشكلة ليست الغاية ولكنها الوسيلة، حيث أن الغاية لا تُبَرِّر الوسيلة: *لا يُمكن فعلُ السَّيِّئات لتأتي الخيرات* (رو ٣/٨).

٢) الْمَظاهر الأخلاقية في الوسائل الطبيعية

على العَكس نَجد أن الزوجين – بواسطة الوسائل الطبيعية– "إنَّما يستخدمان شرعيًّا استعدادًا طبيعيًّا فيهما"[٦٦]. والْحُكم بالتالي يكون مُختلفًا تَمامًا، ويتطلب أن يَفحص الْمَرء ليس فقط الموضـــوع ولكن أيضًـــا الغاية والظروف، حيث أن صَلاح أيِّ فعل، بِحسب التعليم الأخلاقي، يَنْبَع من ثلاثة عناصِر تتفاعل معه، ألا وهي: الفعل نفسه (الموضوع الأخلاقي) والغاية التي يُفعَل من أَجْلها (الغاية الأَدَبية) والظروف المصاحِبة له.

إذا أخذنا في الاِعتبار ما يُســـمَّى "بالغاية الأخلاقية للفعل"، أيْ ما يَختاره الزوجان عندما يُقَرِّران اللجوء إلى الوسـائل الطبيعية لتنظيم المواليد، فحينئذ يَجب علينا أن نقول أنه فعل يدخل –كما سَبَقَ ورَأَيْنا– في إطار رُؤْية مستقيمة وإنسـانية للشـخص؛ وهو فعلٌ يَتَرَتَّب علَيه أنْ يُمارَس الاِمتناع الدَّوْري ويُمَثِّل بالتالي تَدْريبًا على العفة وضَـبْطِ النفس، الخ . وبالتالي لا يُمكن أن يُقدَّم أيُّ اعتراض حول هذه الناحية. هذه نقطة مِحْوَرِيَّة: **إن قرار اللجوء إلى الوسائل الطبيعية يتطلب حُكمًا فَطِنًا يســـتطيع الزوجان من خلاله أن يَحكما بأنه ليس من الفِطنة الآن عَمَلُ ما يَلْزَمُ الْحَبَل بِابنٍ جديد (أي السَّعْي إلى الْخَير الْمُتمثِّل في الخصوبة) وبالتالي يَختاران الاِمتناع، أيْ عدم إتْمام الفعل الذي قد يَتسبَّب في إعطاء حياة جديدة، وذلك في الوقت الذي تكون فيه المرأة في حالة الْخُصـــوبة (فيُقْصِـــران هذا الفعل على الفَتْرة التي تَجعل فيه**

٦٤- يكون الحكم الأخلاقي مختلفًا عندما يُسَبِّب استخدامُ دواءٍ ما داخل إطار عِلاج شرعي (مثلاً لضبط الدورة الشهرية)، **كنتيجة ثانَوية**، عُقْـمًا مؤقتـًا أو دائمًا للشخص . في هذه الحالة فإن شَرعيَّته تتـقـرَّر بواسطة المبدأ الأخلاقي الخاص "بالنتيجة المُزدوَجة".

٦٥- **بولس السادس** ، *الحياة البشرية* ، ١٦ و ١٤.

٦٦- **يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الاسبوعية* ، جريدة الأوسيرفاتوري رومانو ، ١٩٨٤/٨/١٢ ، ص٣ ، رقم ٢.

الطبيعةُ المرأةَ غيرَ خَصْــبة). **ويُعتبَر ذلك تَرْك أو إغْفال فعلٍ هُما لَيْســا مُجْبَرَيْن عليه نظرًا للظروف الحالية**. إذا كان ما ذَكَرناه عن الموضــــوع الأخلاقي للفعل المانع للحمل حاضـــرًا في ذِهْننا فإن الفَرْق الجَوْهَري يَبْرُز حينئذ أمام أَعْيُننا. ونفهم بالتالي لماذا تَكلَّم البابا يوحنا بولس الثانِي عن "الوَصْف الأخلاقي الإيجابِي في جَوْهَرِه" لِتلك الوسائل [٦٧].

على العكس من ذلك، فإنه بِحســـب **الغاية** التي تُطبَّق من أجلها الوســـائل الطبيعية فإن هذه الأخيرة قد تُطابِق "العَقْلية المناهضـة للحمْل". البابا يوحنا بولس الثانِي يؤكد بكل وضـوح: "**يَحدث مِرارًا**، من خلال طريقة التفكير الْمُعتادة، أن يَنْحَلَّ عن الوســيلة الطبيعية ارتباطُها بالبُعد الأخلاقي الخاص بِها، فتُمارَس بطريقة **وظائفية** بَحْتة أو حتى بطريقة **نَفْعِيَّة**. وحين تُفصَل 'الوسيلة الطبيعية' عن البُعد الأخلاقي، فإن الفرق الموجود بينها وبين 'الوسائل' الأخرى (الصناعية) لا يَصير مَلْحوظًا وعندئذ يكون الحديث عن الوســيلة الطبيعية كما لو **كانت نوعًا آخَرَ من وســائل منع الحمل**" [٦٨]. يَحدث هذا عندما تكون الأسباب الدافعة إلى اللجوء إلى الوسائل الطبيعية غيرَ جادَّة. فتَقْييم تِلك الدَّوافع شـيء حَسَّاس؛ لذلك كان البابا يوحنا بولس الثانِي يقول مُذَكِّرًا: "إن الكنيسة تعترف بأنه قد تكون هناك دَوافعُ موضوعية لِتَحديد أو لتَباعُد الْمَواليد، ولكنها تُذَكِّر، في تناغمٍ مع وثيقة *الحياة البشـرية*، أن الأزواج يَجب أن تكون لديهم 'أسـبابٌ جادة' حتى يَصيرَ عُزوفُهم عن مُمارسـة اللِّقاء الزوجي خلالَ الفترات الخَصـبة مَشـروعًا ، ويُقْصَـرَ اسـتخدامُه على الأوقات الغيرِ خَصـبة للتعبير عن حبهم والْمُحافظة على الأمانة المتبادَلة بينهما" [٦٩]. لقد ذكرنا في الفصــل الســادس تِلك الدوافع المشـروعة أخلاقيًّا. ولكن تُوجد أيضًا دَوافع غيرُ مبرَّرة بتاتًا وزائفة بكل وضـوح، مثل كل الدوافع التي تَعود إلى الأنانية وإلى أَخْواف غير مبرَّرة وإلى عدم ثقة في العِناية الإلَهية واعتبارِ الأبناءِ عِبْئًا، الخ. هذه الأسباب تَجعل الوسائل الطبيعية أيضًا غير مشروعة.

أخيرًا، وبِأَخْذ الظروف في الإعتبار، فإنه يكون من الواضـح أن يصـيرَ اللُّجوء إلى الوسـائل الطبيعية مَشـروعًا فقط **داخلَ زواجٍ شرعي**؛ فإن ما يكون مشروعًا هو فقط تنظيم الأُبُوَّة أو الأمومة بطريقة مسؤولة، وفيه تكون مُمارسة العِلاقات الزوجية مشـروعة، ويتم هذا فقط داخلَ زواجٍ حقيقي. ولكن عند التَّعَرُّض "لارتباطات الأَمْر الواقِع" أو العلاقات الســابقة للزواج أو الزواج الْمَدَنِيّ فقط أو المتزوجين بعد طلاقِهم، إلخ.، فإن المشـــكلة لا تَكْمن حينئذ في الوَســـائل التي تَتجنَّب أو تُباعِد بين الأبناء بل في أنَّ كلَّ علاقة جنسية تكون بِحَدِّ ذاتِها غير مشروعة وآثِمة بطريقة فادِحة.

إذا تَمَّ تَطْبيق الوســـائل الطبيعية كما يَنْبَغي، أيْ بطريقة أمينة ومســـتقيمة، فإنَّها حينئذ تســـاهم في بُلوغ الكَمال للحياة الزوجية والعائلية، وذلك بِفَضْــل دَفْعِها لِممارســة العِفَّة وضَـبْط النفس. وقد أشــار إلى ذلك البابا بولس الســادس قائلاً: "بفَضْل تَأْثيرِها الْحَسَن يستطيع الزوجان أن يُنَمِّيا شخْصِيَّتَيهما بالكامل، فيُغْني أحدُهما الآخَر بواسطة القِيَم الروحية: جالِبين ثِمارًا من الصَّـفاء والسَّـلام إلى الحياة العائلية ومُيَسِّـرين حَلَّ مشــاكلَ أخرى ؛ مُحبِّذين مَنْحَ الطَّرَفِ الآخَر الإهْتِمام اللاَّزم؛ مســاعِدين على تَجاوُز الأنانية فهي العَدُوُّ للحب الحقيقي، ومرَسِّـخين كذلك مَفهوم المسـؤولية لَدَيْهما. يَكْتسـب

٦٧- **البابا يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأسبوعية* ، جريدة الاوسيرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٨/١٢ ، ص٣ ، رقم ٤.

٦٨- **البابا يوحنا بولس الثاني** ، *الكرازة الأســبوعية* ، جريدة الاوســيرفاتوري رومانو ١٩٨٤/٩/٩ ، ص٣ ، رقم ٣ ؛ وقد كرر نفس الكلام في جريدة الاوسيرفاتوري رومانو ١٩٩٨/٣/٢٧ ، ص٩ ، رقم ٢.

٦٩- راجع **يوحنا بولس الثاني** ، *مقابلة مع المشـتركين في اللقاء الدولي حول موضــوع : "التنظيم الطبيعي للخصــوبة ؛ الحل البديل الحقيقي"* ، ١٩٩٢/١٢/١١ رقم٢ ؛ في : "تعاليم ...".

الأَبَوان حينئذ الْمَقْدِرة على التَّأْثير الصالِح والعَميق اللاَّزِم لِتَرْبية الأبناء؛ فَيَنْمو الأبناء والشَّباب مُتسلِّحين بالتَّقْدير الْحَقيقي للفَضائل البَشرية ، كما يَنالون نُمُوًّا صافيًا ومتناغِمًا لقُدْراتِهم الروحية والْجِسِّيَّة" [٧٠]. مِن أَجْل هذا السبب أَشار البابا يوحنا بولس الثانِي إلى أنه عِنْدَ تَعْليم الوسائل الطبيعية: لا تُقتَرَح فقط كَبَديلٍ لِمنْعِ الْحَمْل وللإجْهاض وللتَّعقيم ، وإِنَّما يُجْرَى "**إِنْماءٌ للصفة الإنسانية الحقيقية** لِهِبة الإنْجاب الرائعة" [٧١].

٧٠- **بولس السادس** ، *الحياة البشرية* ، ٢١.

٧١- **يوحنا بولس الثاني** ، *مقابلة مع المشتركين في اللقاء الدولي حول موضوع "التنظيم الطبيعي للخصوبة ؛ الحل البديل الحقيقي"* ، ١٩٩٢/١٢/١١، رقم١؛ في "تعاليم ...".

الفصل التاسع

انتحار الْمجتمعات: نقص الخصوبة [٧٢]

إنَّ الوِلادةَ هي أَحَد واجبات الزواج ليس فقط بســـبب طبيعةِ الزواجِ الحميمة (لا يُوجَد حبٌّ بدون انفتاحٍ على الحياة) وإنَّما كمسؤولية أمام البشرية ، وبطريقة مَلموسة أمام الْمجتمع الذي تنتمي إليه كلُّ عائلةٍ.

١- الْمَشْهَد العالَمي

بَدأَ منذ بِضعِ سَنَواتٍ، وكجزءٍ من حَمْلات سياسية مُدَبَّرة، خَلْقُ مناخٍ من الخوف تُجاه ما يُسمَّى بظاهرة **الاِنفجار السُّكَّاني**؛ وهو خوفٌ من الزيادةِ الْمُهَدِّدة والتَّدْريـــجية لعَدَد سُكَّان العالَم. وبِهدف مُحاربةِ تلك الزيادة انتشر الكثيرُ من الْحَمْلات المكثَّفة ذات الصـــوت العالِي لإجراءِ التعقيمِ ونَشْـــر وســـائل مَنع الحمل وتَقْنين الإجهاض. وكانت نتيجةُ ذلك انْخفاضًا في مُعَدَّل الْخُصوبة إلى أَقَلِّ مِن "حَدِّ الإحلال" للأجيال. *فمُنْذُ حوالِي ثلاثين عامًا لَم يَكُفَّ مُعدَّل زيادةِ السكان العالَميِّ عن النُّقْصـان بدرجةٍ منتظمة وذاتِ مَغْزَى*. ونَجِد حاليًا أنَّ ٥١ بلدًا، يُمَثِّلون حوالِي نِصْـفَ سـكان الكرة الأرضـية (بالتحديد ٤٤٪)، لا يستطيعون التوصُّل إلى إحلال أجيالِهم. فِي تلك الْمَناطق يكون مُتَوَسِّط عدد أبناء المرأة الواحدة أقلَّ من ٢,١؛ وهذا هو الْمُعَدَّل الأدنَى اللازم لتجديد الأجيال في البلاد الحاصـــلة على أعلى درجات الصِّـــحَّة العامة. والحالة تَكاد أنْ تَكون واحدةً في جَميع القارات. وبالفعل فإنَّ مِن بين البلاد التي لديها درجة خصوبة أقل من حَدِّ الإحلال نَجِد:

– في أمريكا: الْوِلايات المتحدة وكندا وكوبا ومُعْظَم جُزُر الكاريبِي. أما بالنسـبة للأرجنتين، التي يَصـل تَعْدادُها إلى حوالي ٣٥ مليونًا من السكان – وهي تُعَدُّ بلدًا به نَقْصٌ في عدد السكان، إذْ بِها كثافة سُكَّانية تَتمثَّل في ٧ أَفْرادٍ للكيلومتر الْمُرَبَّع، وهي إضافةً إلى ذلك غيرُ مُوَزَّعة جيدًا – فإن نسبة المواليد في الأرجنتين تصل إلى أَقَلِّ مُتَوَسِّط فِي أمريكا اللاتينية، وقد قَلَّ معدَّل عدد الأبناء للمرأة الواحدة، كما أنَّ سكانَها آخذون في الشيخوخة [٧٣].

– في آسيا: چورچيا، تايلاند، الصين، اليابان وكوريا الجنوبية.

– في أُوقْيانيا: أُستراليا.

– أوروبا: تقريبًا في بلاد أوروبا الأربعين بأَجْمَعِها لَمَ تُلاحَظ فقط ظاهرةُ الشيخوخة بل لوحِظَ أيضًا *نقصُ السكان*، إذ أنَّ عددَ الموتَى يفوقُ عدد المواليد. هذه القفزة الســـلبية هيَ الآنَ واقعٌ في ١٣ بلدًا منها أســـتونْيا، ليتوانيا، المانيا، بيلا روسيا، بُلغاريا، الْمَجَر، روسيا، أسبانيا وإيطاليا، إلخ.

٧٢- ملخص مضاف اليه بعض الملحوظات من الخاتمة الرئيسية *لإعلان المجلس الحبري للعائلة حول نقص الخصوبة في العالم*، جريدة الأوسيرفاتوري رومانو ، ١٩٩٨/٣/٢٧ ، ص١٠- ١١.

٧٣- المعلومات مأخوذة من SAEMB ، الجمعية الارجنتينية للأخلاق الطبية والبيولوجية (راجع AICA ، ٣٠ يوليو ١٩٩٧ ، ص ١٧٤).

٢- الأسباب

إنَّ أَسْبابَ تِلْكَ الظاهرة مُعَقَّدَةٌ جدًا، ولكن يُمكنُنا أنْ نُشيرَ إلى الأسباب التي أَعلنها جون كلود شِيسْنِيهْ، مِن المعهد القَوْمي للدراسات السكانية في باريس [٧٤]:

١) نَقْصُ الزِّيجات : يتزوَّجُ الناسُ أَقَلَّ فأقلَّ مِن ذي قَبل. يُمكننا أن نُضيفَ أنَّ هذا العدد قد قلَّ في الأرجنتين بِطريقةٍ مَلْحوظة بينما زادت "اتِّحادات الأَمْر الواقع" بزيادة قَدْرُها ٢٥٠٠٠٠٠ من الأزواج بِحسب الإحصاء الأخير؛ وهذا يعني أن عددهم يبلغ ٥ ملايين من مَجموع سكان بلدنا البالغ ٣٥ مليونًا. وقد قَلَّ عدد الزيجات الْمُحْتَفَل بِها في بيونس أيرس من ٢٢٠٠٠ إلى ١٦٠٠٠ في عام ١٩٩٦. وقد زادَ في العَشْرِ سنينَ الأخيرة عددُ البيوت الْمُكَوَّنةِ من طَرَفٍ واحدٍ إلى ٦٢٪ [٧٥].

٢) زيادة واضحة في مُتوسِّط سِنِّ الأمومة، وهو آخذ في الإزدياد.

٣) قوانين العمل لا تسهِّل للنساء تَحقيقَ رَغبتِهن في التَّوْفيق بين الحياةِ العائليةِ والنشاطِ الوظيفي.

٤) غِيابُ سياسةٍ عائليةٍ حقيقيةٍ في البلادِ المتأثرةِ بنقصِ عدد السكان.

٥) التشاؤمُ الثقافي، وفُقْدانُ معنَى الحياةِ والرجاءِ في المستقبلِ، وعَدَمُ تصديقِ وجودِ السعادة.

٦) نَشْرُ التِّقَنِيَّات الكيميائية لِموانع الْحَمْلِ والإجهاض، والتعقيمُ الْجَماعي. يَجب أن نَذْكر، مثلاً، الْحَمْلات الْمُكَثَّفة لتعقيم الذُّكور والإناث التي حَدثت في الْهند فيما بين عامَيْ ١٩٥٤ و ١٩٧٦، وكذلك التعقيم الجماعي – بل والإجباري أيضًا– لِنساءِ البرازيل (تَم تعقيم حوالي ٤٠٪ من النساء البالغات عُمْرِ الخصوبة)، كما حَدَثَ أيضًا في بيرو وكثيرٍ من البلادِ الأُخْرَى.

٣- العَواقب

تَنْبُعُ من تِلْكَ الأسبابِ عَواقبُ داعيةٌ للقلقِ لَدَى البلادِ التي يَقَعَ عليها هذا الضرر، ولدى البشريةِ عامةً. والعواقبُ الرئيسية هي:

١) القِلَّة الشديدة لعَددِ الشباب.

٢) ويُؤَدِّي هذا إلى قَلْبِ هَرَمِ الأَعمار فيَقِلُّ عدد السكان من الشُّبَّان البالِغين، وهم الذين يَتَعيَّن عَليهم أنْ يُؤَمِّنوا الإنتاجَ للبلاد، وأَن يَسْنِدوا الْحِمْلَ الثقيلَ لسُكَّانٍ كثيرين مُتقدِّمين في العُمْرِ وغيرِ عامِلين ويتطلبون يومًا بعد يومٍ رعايةً أكثرَ وعِتادًا طِبيًّا مُتزايدًا.

٣) كما يأتِي هذا بتأثيراتٍ سَلبيةٍ على النِّظامِ التَّعْليمي، حيثُ أنَّ مواجهةَ حِمْلَ الأشخاص الْمُتقدِّمين في العمرِ كثيرًا ما يُؤَدِّي إلى الوقوعِ في تَجربةِ استقطاعِ الميزانيةِ المخصَّصةِ عادةً لتكوينِ الأجيالِ الجديدة. ويؤدِّي هَذا إلى مَا يُسمَّى بـ

٧٤- **جون كلود شِيسْنِيهْ** ، *مؤشرات نقص الخصوبة تحت مُعَدّل الإحْلال* ، المذكورة في *اعلان المجلس الحبري للعائلة حول نقص الخصوبة في العالم*.

٧٥- راجع نشرة الـ SAEMB ص ١٧٤.

"فُقْدانِ الذاكرةِ الْجَماعي" ، وهو ما يَعْنِي تَعَطُّلاً خطيرًا لتوصـــيلِ الإنْجازاتِ الثقافيةِ والعِلْمِية والتِّقَنِية والفَنِّيَّة والأخلاقيَّة والدينيَّة.

٤) وتَتفاقَم أيضًا مُشكِلةُ البَطالة، على العَكْس مِمَّا قَدْ يُقال عادةً.

٥) تزايُد عَدد ذَوِي الأَعمار المتوســـطة (تَزايُد عدد البالغين وتَناقُص عَدد الشـــباب والأطفال) يُبَدِّل *الْمَظْهَر النفساني* للسكان: فيصير طَبعُ الْمجتمعِ قاتِمًا وبدونِ ديناميكيةٍ فِكْرِيةٍ أو اِقتصاديةٍ أو عِلميةٍ أو اجتماعية، كما يَصير قليلَ الاِبْتِكار؛ ويُمثِّل ذلك بالفعل خصائِصَ بَعْض الأُمَم "الْمُسِنَّة".

٦) عِند زِيادة نِسبة الأشخاص الْمُسِنّين عمَّا يَجب أن يَتَحَمَّلَه الْمُجتمع، يُصاحِبُها من جهةٍ أُخرى نُقصانُ مواردِ الدَّخْلِ العام، *تَزْداد عِندئذ تَجربةُ اللُّجوءِ إلى القتلِ الرَّحيم* للتَّحَرُّر من الحِمْل الضَّـار الْمُتَمَثِّل في الشـيخوخة والمرض. ويُمارَس هذا بالفعلِ في بعضِ بلدان أوروبا.

٧) يَجب علينا أنْ نُشيرَ أيضًا إلى الاِخْتِلالِ العنيف في التَّوَازنِ المرتَقَبِ حُدوثُه في كثيرٍ من البلاد: إذ أنه تُوْجَد أُمَمٌ غَنية تَسـيرُ نَحو الْخُلُوّ من السـكان مثل فرنسـا وأسـبانيا وإيطاليا، بينما كثيرٌ من الأمم الفقيرة يُلاحَظ لَديها ازدياد كبير في عدد السكان مثل المغرب وتركيا؛ ويُشَكِّل ذلك، إلى جانِبِ عَدم تَمَكُّن الدولِ الغنيةِ من الحدِّ مِن الْهِجْرَةِ الْمُسْتَتِرة إليها مِنْ قِبَل البلادِ الأكثرِ فَقْرًا، مُؤَشِّـرًا لِتَغْيِيرٍ لاحقٍ في الشَّـكلِ الثقافِيّ والعِرْقِيّ والدِّينِيّ للبلادِ الغَنِيَّة. فهناك غَزْوٌ صـامتٌ يَحْدُث خصوصًا في أوروبَّا يَنتجُ عَنه ضَياع القِيَم الثقافية للأُمم التي تَتعرَّض لغَزْوِ الْهِجْرَة إليها. ومن ناحيةٍ أُخرى، ونَظَرًا لأنَّ تَناقُص عَدد السكان في تِلك الأمم هو واقع حقيقي، فإنّها لا تَجِد سِوَى الرَّدْع العُنْصُرِي وسيلةً للاِحتفاظ بثَقافَتها.

من أَجْلِ هذا كلِّه يكون من الضَّروري أن نُدْرِك الضَّرَر الذي تُسبِّبه كثيرٌ من الْحَمْلات التي تُحاول تَخويف العائلات بتهديدات لا أَساسَ لَها، دافِعةً بذلك كثيرًا من الْمُجتمعات إلى الاِنتِحار الديـــموجرافِي (الخاصّ بالتِّعْداد السُّكَّانِي). كما يَجب علينا أن نَعملَ انطِلاقًا من الأُسُس الرُّوحية. لقد أشار شِيسْنِيهْ أيضًا إلى أنه لا يُمكن أن نَأْمل في زيادة الْخُصوبة في البلاد التي يُوْجَد بِها نَقْص في عَدد السُّـكَّان بدونِ إحداث تَغييرٍ في "مَزاج" تِلْك البلاد، بِجعلِها تَتحوَّل من التَّشـاؤم الحالِي إلى حالةٍ روحية من الرَّجاء والأَمَل.

الفصل العاشر

وسائلُ تَقديسِ الزواج

نَجِد ما يَلي مَكتوبًا فِي الْمَجمع الفاتيكاني الثاني: "نُؤْمِن أَنَّ الكنيسة مُقدَّسة تَمامًا، إِذْ أَنَّ المسيح ابنَ الله، الذي هو مع الآب والروح "وحدَه القدوس"، قد أحب الكنيسة كعروسٍ له، وأسلم نفسه لأجلها ليُقدِّسها، واتَّحد بِها جسدًا له، وغمرها بِموهبة الروح القدس لِمجدِ الله. ومِن ثَمَّ فالْجميع فِي الكنيسة، سَواءَ كانوا من ذَوي السلطة أَم كانوا من الخاضعين لَهم، مَدعوُّون إلى القداسة على حدِّ قول الرسول: ' أَجَلْ، إن ما يريده الله إِنَّما هو تقديسُكم'، (١ تسا ٣/٤، أف ٤/١)"[٧٦].

إننا كلَّنا إِذًا مَدْعُّوون للقداسة: كهنةً وعِلمانيين، عُزَّابًا ومتزَوِّجين، شيوخًا أو شبابًا أو أطفالاً. مَن لَم يَجد نفسه قديسًا يَجب عليه أن يَعتبر نفسه فاشلاً في هذه الحياة؛ ومن يعيش في القداسة فقَدْ فَقَدَ كل شيء في هذه الحياة ولكنه عرف كيف يتصرف فيها جيدًا، لأنه يكون كَمَن تَحدث عنه الكتاب المقدس قائلاً: "*أقام كَنْزًا في السماء*" (متى ٦/٢٠). ما هي إِذًا الوسائل التي يصل من خلالِها الأزواج إلى القداسة التي يدعوهم الله إليها؟ إن تِلْكَ الوسائل تَتمثَّل في الأسرار والصلاة.

١- الأسرار في حياة العائلة

إِنَّ الأزواجَ المسيحيين مدعوون أن يقدِّسوا أنفسهم من خلال الأسرار التي تُمثِّل القنوات لِمرور النعمة الإلَهية. ما هِي هذه الأسرار وكيف يُمْكِنهم استخدامها؟

١) الزواج

أَوَّل سرٍّ هو سرُّ الزواج نفسُه الذي يَتَلَقَّاه الرجل والمرأة عند زواجهما أمام الكنيسة. ويَخْتَصُّ هذا السر بالنعمة الدافعة إلى القداسة التي تَقبَّلها الزوجان عند المعمودية، وهذه النعمة سوف تَجعل حبَّهم البَشَري أكثرَ سُمُوًّا وكمالاً.

عندما يقترب الرجل والمرأة من المذبح ليتزوجا – وإذا كانا حينئذ في حالة النعمة، أيْ بدون خطيئة – فإنَّهما يَتقبَّلان نعمةً خاصةً. إنَّ النعمة هي هِبة من الله تَجعلنا أبناءً لله، وتقدِّسنا وتساعدنا على أن نَحيا كمسيحيين حقيقيّين. وبواسطة النعمة، يسكُب الروح القدس الْمحبة في قلوبنا (راجع رو ٥/٥)، ويَجعل الثالوث الأقدس يسكن في نفسنا (راجع يو ٢٣/١٤)، ويَجعلنا نَبقَى مع الله (راجع ١ يو ١٦/٤) ، ويعطينا صداقة حقيقية مع الله ويَجعلنا نعرف الأسرار الإلَهية (راجع يو ١٥/١٥)، ويغفر لنا خطايانا (راجع يو ٢٢/٢٠)، ويساعدنا على إتْمام الوصايا الإلَهية (راجع رو ١٤/٨) ويعطينا الحرية الحقيقية الخاصة بأبناءِ الله (راجع ٢ كور ١٧/٣) . تِلْكَ النعمة التي يَحصلون عليها عند زواجهم (أو عند ممارستهم لسر الإعتراف، إذا كانوا قد تقبَّلوا سر الزواج في حالة خطيئة) لا تتركهم بل تصاحبهم طَوال حياتِهم الزوجية كي يَقْدِروا

٧٦- **المجمع الفاتيكي الثاني** ، *نور الأمم*، ٣٩.

على مواجهة الصعوبات الخاصة بالحياة الزوجية: مثل تربية الأبناء والتضحيات الإقتصادية وصعوبات التفاهُم المتبادَل والصُّلْبان.

كما تَنْبُع أيضًا من سر الزواج روحانية زوجية حقيقية. فإن الزوجَيْن يَجب عليهما أن يتقدسا خصوصًا بواسطة ما يُمَثِّلانه في الكنيسة: وهو الحب الذي أظهره يسوع المسيح على الصليب نَحو عروسِه، أي الكنيسة، ونَحو كل نفسٍ؛ وكذلك الأمومة والخصوبة في الكنيسة والأُبُوَّة وعناية الله. يجب عليهما أن يعرفا وأن يشعرا بأنَّهما علامة ورمزٌ لِحب المسيح هذا.

٢) الإفخارستية

السرُّ الثانِي الذي عليهم أن يَجدوا فيه يَنبوع قداستهم هو سر الإفخارستية المقدسة. إن يسوع المسيح هو حاضر بالحقيقة في القربان الأقدس: إنه حاضر هناك بِجسده ودمه ونفسه وأُلوهيته وقدرته ومَحبته. هناك تكون معه يداه اللتان بسطهما على الصليب من أجلنا، يدان أطول من أَيِّ وقت مضى لكي تُعانِقانا؛ ومعه رِجْلاه اللتان طافَتا دُروب إسرائيل، مُسْتَعِدَّة أكثر من أي وقت مضى لكي تذهبا وراء الخروف الضال؛ هناك توجد أذناه اللتان استمعتا بصبرٍ إلى تضرعات العميان والصُّم والمفلوجين والجياع والمعذَّبين، وهما منتبِهتان أكثر من أي وقتٍ مَضَى لسماعِ تضرعاتنا؛ ومعه فوق كل شيء، قلبُه الذي استقبل الْخُطاة والبُؤَساء والْمُهَمَّشين واليائسين والْمُضْطَهَدين، وهو مُستعدٌّ أكثر من أي وقت مضى على استقبال الأزواج والزوجات، والأبناء والبنات، والآباء والأمهات الذين يبحثون لديه عن ملاذٍ: فيبحثون عن العزاء في آلامهم، وفي حاجتهم يطلبون المساعدة وفي فرحهم يُبدُون العِرفان بالْجميل. إنه يكرِّر لِجميعهم قولَه: *مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ لا أُخْرِجْه خارجًا* (يو ٦/٣٧).

مِنْ هذا الوجود الحقيقي ليسوع المسيح في الإفخارستية يَجب على الأزواج والآباء والأبناء أن يَسْتخْرِجوا القوةَ اللازمةَ لِقداستهم، وخصوصًا مِنْ ذَبيحةِ الصليب التي تَتجدد في كلِّ قُدَّاس. ففي القُدَّاس تُوضَع أمام أَعْيُن كل رجل وكل امرأة الذبيحةُ والتضحية التي يُحقِّقها يسوع من أجل كنيسته. هناك نتأمل كلَّ يومٍ كيف أنَّ الربَّ يُقدِّم ذاته من أجلنا حتى إراقة آخِرِ قَطْرَة من دمه؛ ونتأمل في مَحبَّته الفائضة. ويتحول هذا إلَى تشجيع ودَفعة لأجل تقدمة الذات وللتضحية بالذات، وخصوصًا لأجل الحب الزوجي.

في كل إفخارستية يكون باستطاعة الأزواج والأبناء أن يتَّحِدوا بيسوع المسيح في المناولة فتتحول هذه المناولة من جسد الرب ودمه إلى يَنبوعٍ للحياة؛ ولذلك نطلق عليها اسم خُبز الملائكة وغِذاء الحياة الأبدية.

٣) المصالَحة

السر الثالث الذي يجب على الأزواج أن يتقربوا منه بانتظامٍ حتى يتقدَّسوا هو سرُّ المصالحة أو الإعتراف. ففي كثيرٍ من الأحيان يكون الرجال والنساء غيرَ أُمَناء للنعمة وللقداسة التي تَلَقُّوها في المعمودية. إنَّ الخطيئة هي واقع أليم في حياتنا؛ كما أَنَّ عدم اِتِّباعنا للوصايا الإلهية هو شيء واضح لضمائرنا، ولكن رحمة الله هي أيضًا عظيمة الوضوح. *الله هو غنيٌّ بالرحمة*، كما يقول القديس بولس (أفس ٢/٤). ولذلك كتب البابا بولس السادس عن الأزواج قائلاً: "إذا ما

فاجأَتْهم الخطيئة مرة أخرى فلا يَجب أن ييأســـوا، بل فَلْيَلْجَؤوا إلى رحمة الله بتواضـــع ومثابَرة، تلك الرحمة التي ينالُها الْمَرء بواسطة سر الندامة" [٧٧].

يَجب علينا أن نتقرَّب إلى الرحمة الإلَهية في حالٍ تَجعل المغفرة مُمْكنة بالنسبة لنا: بالندامة والشعور بالألَمَ تُجاه الخطيئَة المرتكَبة، وبالرغبة في الاِهتداء وفي تغيير الحياة وصـــراحة القلب، لكي نُقَدِّم أنفســـنا على حقيقتها لله وللكاهن الذي يُمثِّله على الأرض.

٢- الصلاة في الحياة العائلية

إنَّ الأسرارَ وحدَها لا تكفي – فالصلاة والصلاة العائلية ضرورية، وهي الرَّكيزة التي تَستند إليها الحياة المسيحية الحقيقية.

١) ضَرورة الصلاة

إنَّ الصـــلاةَ **ضـــروريَّةٌ للخلاص**؛ هذا ما يقوله الكتاب المقدس نَفسُـــه : *يَنبغي عليكم أن تُصَـــلُّوا ولا تَكِلُّوا* (لو ١/١٨)؛ *اِسـهروا وصـلُّوا لكي لا تَقَعوا في تَجربة* (متى ٤١/٢٦)؛ *اُطلبوا تَجِدوا* (متى ٧/٧). ومن الواضح أن هذه الكلمات: *ينبغي، صلُّوا، اُطلبوا*، تَعني وتَحتوي على وَصيَّة وتُعَبِّر عن احتياج وضرورة. ولذلك كان القديس أَلْفونْسو يقول: "لا يُمكننا – بدون الوقوع في الخطيئة تُجاهَ الإيـــمان – أن نُنْكِر أنَّ الصلاة ضرورية للبالغين من أجل خلاصهم. إنَّها لَعَقيدة واضحة جَلِيًّا في الكتابات المقدســة، والصــلاة هي الوَسـيلة الوَحيدة للحصـول على الْمَعونات الإلَهية من أجل الخلاص الأبدي". والسبب في هذا واضح جدًا: بدون مَعونة نِعمة الله نَحن لا نستطيع أن نصنعَ أيَّ خيْرٍ. يقول ربنا: *بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شـــيئًا* (يو ٥/١٥). ويُعَلِّق القديس أَغُســـطينوس على ذَلِكَ قائلاً: "إنه لا يقول أننا لا نســـتطيع أن نُتِمَّ بل أننا *لا نستطيع أنْ نفعلَ أيَّ شيءٍ*".

إن الصلاة **ضرورية لِمُقاومة التجارِب**. لقد أخطأ آدم لأنه لَمَ يَلْجَأْ لله في وقت التجربة؛ كما أنَّ الملائكةَ العُصاةَ لَمَ يستفيدوا من نعمةِ الله؛ وغِيابُ الصلاةِ هو بدايةُ كلِّ الْخِبْرات الشخصية لِمَن وقعوا في الخطيئة ولِمَن فقدوا الإيمان ولِمَن وقعوا في اليَأْس.

من أجل ذلك فـــإننا نقرأ في الكتاب المقدس بِاستمرار كيف أن القديسين كانوا يَرفعون نظرهم نَحو الله (بالصلاة) لكي يُنقَذوا من الْمَخاطر : *إلى الرب أَرفع دَوْمًا عينَيَّ لأنه سينتشلني من الفِخاخ التي يَنصبونَها لي* (مزمور ١٦/٢٤).

إن الصـلاة **ضـرورية لإتْمام وصـايا الله**، فقد أَمْسـت كلُّ الذُّرِّيَّة البشـرية بَعْدَ خطيئة آدم ضـعيفةً، وقد جُرِحَت في فِكرها وفي إرادتِها ؛ وبالأكثر في إرادتِها، لأنه على الرَّغْم من الصعوبة التي نَجدها لِمَعْرفة الحقيقة، يبقى أسهل بالنسبة لنا –

٧٧- **بولس السادس** ، *الحياة البشرية*، ٢٥.

بِحسب قول القديس توما– أن نَعرِفَ الحقيقة مِن أن نُمارسَ الخير. ولذلك فبدون مساعدة الله يَصير من الصَّعب تتميم وصايا الله نفسها.

هل هذا يعني أن الوصايا مُستحيلٌ تَحقيقُها؟ كلاَّ، لأنَّ الله يريد أن نُتمِّم كل الوصايا **طالبين** إليه القوة لِعَمَل ذلك. يقول القديس أَغسطينوس: "لا يُوصي الله بأشياءٍ مستحيلة؛ لذلك فهو عِندما يُوصي بشيء فإنه يُحثُّك على أن تفعل ما تستطيعه وأن تطلب ما لا تقدر عليه، وحينئذ يساعدك حتى تقدر". إننا بدون الله لا نستطيع أن نَحيا بقداسة، كما أننا لا نستطيع أن نَحيا مسيحيًا ولا بِحسب الفضائل. لذلك يَحُثُّنا القديس يعقوب قائلاً: *إذا كان أحد تَنقُصه القوة، فلماذا لا يطلبها من الرب؟ إذا لَم تكن لديك القوة فهذا يعني أنك لَم تطلبها* (يعقوب ٤/٢).

ولذلك يقول القديس ألفونسو بكلِّ قوةٍ وتَصميم : " مَنْ يُصلِّي فَهو يَخْلُص بالتأكيد، ومن لا يصلِّي فإنَّه يُدين نفسه بالتأكيد. إذا تركنا الأطفال جانبًا نَجد أن كل الْمُطوَّبين قد خَلُصوا لأنَّهم صَلُّوا. والْهالكون قد هَلَكوا لأنَّهم لَم يُصلُّوا".

٢) صلاة العائلة

بالنسبة للعائلة فالإِحتياج هو ليس فقط إلى الصلاة الفَردية، بَلْ إِلَى الصلاة العائلية كذلك. لِماذا؟

لأن الصلاة العائلية لَها مُمَيِّزات خاصة. قبل كل شيء هي صلاة **مشتركة**: يقوم بِها الزوج والزوجة معًا وكذلك الآباء مع الأبناء. وإذا كان سر الزواج قد جَعل من الرجل والمرأة "جَماعة صغيرة"، فكذلك يتطلَّب نفسُ هذا السر صلاةً مشتركة. إن كلمات يسوع المسيح التالية موجَّهةٌ لَهما: *"الحق أقول لكم، إذا اتفق اثنان منكم على الأرض في أي أمر، مهما كان ما يطلبانه، فإن ذلك يكون لهما من قِبَل أبي الذي في السماوات"* (متى ١٨/١٩).

كما أن مُحْتَوَى الصلاةِ العائليةِ هو **حياةُ العائلةِ نفسِها**. ماذا تطلبُ العائلةُ عِندما تُصلِّي؟ إنَّها تطلبُ مِنْ أَجل سعادتِها وتطلب من أجل أبنائها، من أجل مشاكلها، من أجل صُلْبانِها وعذاباتِها؛ وهي تقدم الشكر من أجل أفراحها وابتهاجها وعزائها.

ويَجب أن تَمْتَدَّ الصلاة العائلية أيضًا إلى الصلاة الليتورجية المقَامَة في العائلة : كالذهاب معًا إلى القداس عندما يكون ذلك مُمكنًا، أو الاشتراك معًا في تلاوة المسبحة الوردية في الكنيسة، أو الاستماع إلى كرازة الْمُرْسَلين . كما أن قراءة الإنْجيل هي صلاةٌ، وكذلك الاشتراك في العبادات المخصصة للعذراء: كالأعياد والتِطْوافات والوردية المقدسة، الخ.

٣) مُعلِّمو الصلاة

إن الأبَوين المسيحيَّيْن، من مُنْطَلَقِ رسالتهما وكرامتهما، يقع عليهما الواجب الخاص بتربية الأبناء على الصلاة. فهما اللَّذان عليهما واجب تعليمهم أن يُصَلّوا وأن يُعَلِّماهم الأسرار الإبتدائيَّة الخاصة بالله، وأن يعلِّماهم أن يتحاوروا مع الله الآب. ومن البَديهي أن تكون الوسيلة الأكثر أهمية، التي بِها يُعَلمان أبناءَهما، هي إعطاؤهم الْمَثَلَ في الصلاة: فعندما يرى الأبناء أَبَوَيْهم يُصلُّون فإنَّهم يتلقُّون أفضل تعليم. كان البابا بولس السادس يقول للأبوين: "أيتها الأُمَّهات، هل تُعَلِّمْنَ

أبناءَكُنَّ صلوات المسيحي؟ هل تُعدِدْنَ أبناءَكُنَّ – بالاِتِّفاق مع الكهنة– لنيلِ أسرار الأَعمارِ الأولى: الاِعتراف والْمُناولة والتَّثبيت؟ هل تُعَوِّدْنَهم على التفكير في المسيح الْمُتَأَلِم عندما يكونون مَرْضى؟ وعلى طلب مَعونة العذراء والقديسين؟ هل تُصَلِّينَ الْمَسْبحة الوردية في العائلة؟ وأنتم أيها الآباء، هل تعرفون كيف تُصَلُّون مع أبنائِكم وكلِّ الجماعة الْمَنْزلية، على الأقل أَحيانًا؟ إن الْمَثَلَ الذي تُعطونَه إلى جانِبِ استقامةِ الفِكر والفعل، وبالاِستناد على الصلاة المشتركة نوعًا ما، هو بِمَثابة درسٍ للعمر كله، وقيمته تُماثل عبادة ذات أَجْر مَزيد؛ إنكم بِهذا تأتون بالسلام داخل أَسْوار الْمَنْزل : 'سلامٌ لِهذا البيت'. تَذَكَّروا : إنكم هكذا تَبْنون الكنيسة " [٧٨].

لا يَجب أن نَنسَى أبدًا ما هو مُؤَكَّد حقًّا: إنَّ العائلةَ التي تَتَّحِدُ في الصلاة تبقى دائمًا متَّحدة.

٧٨- **بولس السادس** ، *المقابلة العامة* يوم ١١/ ٧٦/٨، في *تعاليم بولس السادس*، الفصل ١٦ (١٩٧٦)، ص ٦٤٠.

الفصل الحادي عشر

تربية الأبناء

إن أَحَدَ الواجبات الأساسية للعائلة وأكثرَها صعوبة بالنسبة للآباء هذه الأيام، هي تربية الأبناء. إنَّها رسالة عاجلة. "يوجد كثير من الأيتام وآباؤهم أحياء"، بِحسب ما قال البابا يوحنا بولس الثاني مُشيرًا إلى عدم فَهم كثيرٍ من الآباء لِما يَتعلَّق بتربية أبنائهم [٧٩]؛ لذلك أضاف قائلاً: "إن البيوت التي لا تأخذ على عاتقها التربية الكاملة لأبنائها، بَلْ يَتَخَلُّون فيها عنهم ، يَقترفون ظُلمًا فادحًا سيضطرون أن يُقدِّموا حِسابًا عنه أمام مِنْبَرِ الله" [٨٠].

١- واجبات وحقوق الآبَاء

إن تربية الأبناء تُعتبَر بالنسبة للآباء حَقًّا وواجبًا. لقد أكَّد البابا في *الشَّراكة العائلية*، أن الحقَّ والواجب التربوي للآباء يتَّصف بأنه:

- *ضَروري*: لِكَوْنه مرتبطًا بتوصيل الحياة البشرية؛

- *أَساسي* و *أَوْلَوِيٌّ*: أيْ أنه يَسبق الواجب التَّربوي لَدَى الآخَرين (بقية العائلة أو المدرسة أو الدولة)، بسبب عِلاقة الحب الفَريدة التي تَربط الآباء بالأبناء؛

- *لا بديلَ له*: أيْ أنه لا يُمكن أن يُوَكَّل بالكامل إلى آخَرين ولا أن يَستغِلَّه الآخَرون إلاَّ في حالة عَجْز الآباء، الجسدي أو النفسي عن تربية أبنائِهم [٨١].

لا يكفي إيجادُ الأبناء في الحياة؛ فبعد ذلك يَجب أن يتعلموا الحياة، وهذا يأخذ وقتًا كثيرًا. لذلك كان القديس توما يسمى العائلة: "الرَّحِم العائلي". فالطفل ينضُج في داخل رحِم أمه لِمُدَّة تسعة أشهر؛ ولكن بعد أن يُولَد ويرى النور يَتَعَيَّن عندئذ أن نَجعلَه ينضُج لسنين عديدة داخل أحشاء "الأمّ – العائلة". وإذا حُرِم من تِلْكَ الأحشاء الثانية فإن الكائن البشري يُمكنه أن يُجهَض نفسيًا وروحيًا. لقد أظهرَت دراسة مَوَّلَها الكونْجرس الأمريكي وأعدها لِمدة أربع سنوات، أظهرت أهَمية الأبوَين لضَمان النُّمُوّ النفسي والعاطفي السليم للأبناء: لقد قامت الدراسة على ٩٠٠٠٠ طالب ثانوي، و٢٠٠٠٠ مراهِق غير متعلِّمين، و١٨٠٠٠ من الآباء. النتيجة الأولَى هي أن الآباء لَهم دَوْر قاطع لنُمُوّ الأبناء والمراهِقين. الأغلبية العُظمَى للفِتيان أكَّدوا أن العلاقة العاطفية القوية مع آبائهم أو مُدرّسيهِم تساعد على تَجَنُّب الْمَيْل إلى الْمخدِّرات والْخمر، وتدفع إلى التَّخَلِّي عن التصرفات العنيفة ونَبْذ فكرة الإنتحار وتَقي من الدخول في حياة جنسية سابقة لأوانِها. وتشير الدراسة أيضًا إلى أنه ليس من الْمُهِم فقط كَمُّ الوقت الذي يَقضيه الآباء مع أبنائهم وإنَّما نَوْعِيَّة هذا الوقت أيضًا، أي كَثافة

٧٩- **يوحنا بولس الثاني**، *الرسالة إلى العائلات*، ١٤.
٨٠- **يوحنا بولس الثاني**، *اللقاء مع العائلات في استاد ماراكانا*، البرازيل، جريدة الاوسيرفاتوري رومانو، ١٠ اكتوبر ١٩٩٧، ص ٦، رقم ٣.
٨١- **يوحنا بولس الثاني**، *الشراكة العائلية*، ٣٦ .

العلاقات معهم؛ إن أصدقاء الْمراهقين لا يَحُلُّون مَحَلَّ الآباء؛ ويظل هؤلاء على قَدْر من الأهَمية يُساوي أهَمِيَّتهم بالنسبة لِحَديثي الولادة [٨٢].

٢- أَبْعاد التَّربية

في أيِّ الْمَجالات تَتِمُّ تربية الأبناء؟ في جَميع الْمجالات، أَيْ "التربية الكاملة" كما قال البابا في أَحد النصوص التي ذكرناها سابقًا. وهذا يَشْمَل كلَّ الأبعاد البشرية.

١) تربيةُ العَقْل

إن الأفكار هي التي تُحَرِّك الأفعال كما يُحرِّك الْهَواء فُروع الأشجار. لذلك فإن تربية العقل تتمثّل في تغذيتِهِ بأفكار مُطابِقة للفَضائل التي يريد الآباء أن تَكون لَدَى أبنائهم؛ ومن أجْل ذلك فإن معرفتهم بالأشياء التي يقرأها أبناؤهم ويسمعونَها ويتعلَّمونَها هي شيء أساسي. إن تربية العقل تتمثل في تشكيل **عادات فِكرية** خالِصة ومعارفَ حقيقية وثابتة. إن وُجودَ رأس يُفكِّر جيدًا يُعتبَر بدايةً جيدة لكي يَصير الإنسان صالِحًا (على الرَّغم مِن أن ذلك ليس كلَّ شيء). من الضَّروري تَكْوين رجال ذَوِي مِعْيار، يَعرفون كيف يَحكمون على الواقع ولايقبلون مُجَرَّدَ أيِّ شيء، ويعرفون كيف يُمَيِّزون بين الْخير والشر وبين الْحقيقة والْخطأ. إنَّهم يتَوصَّلون إلى هذا إذا عرفوا كيف يُفكرون استنادًا على مَبادئ ثابتة وراسخة. يُوجد لَدَى الطفل، وخصوصًا الْمُراهق، مَيْلٌ فَلْسَفي مُتَصاعد: فَهُمْ يريدون أن يعرفوا مُسبِّبات الأشياء، ولا يكتفون بأيَّةِ معرفة (قال كاتب – وله حقٌّ في ذلك – "إن كل أسئلة الأطفال والشباب خِلال عَمَليَّة نُمُوِّهم داخِلَ العائلة هي أسئلة 'ذاتَ بُعْدٍ سامٍ'، بِمعنَى أنَّها منفتحة للدِّين"؛ ويظهر ذلك بطريقة خاصة عند المراهق الذي لا يَقبل أيَّ شيء إلا إذا اقتنع به بطريقة شخصية). ونَجد بالتَّحْديد أن الدِّراما التي تُواجِه شبابنا هذه الأيام هو أنه عند تَساؤُلِهم عن الأشياء الأساسية في الْحياة (أَصْلِها، غايتِها، قيمتِها) فإنَّهم لا يَجِدون مَن أو ما يعطيهم ردًّا مُرْضِيًا: إن الشباب الذين لا يَجِدون معنى للحياة ليسوا شبابًا بدون تَساؤلات، ولكنَّهم متسائِلون بدون إجابات. يَجب أن نَعرِف كيف نَجد مَصْرِفًا لِهذا القلق. ولذلك فإن ما كتبه من قَبْلُ البابا بِيوس الثاني عشر هو شيء مهم جدًا: "هَذِّبوا عَقْلَ أبنائكم. لا تُعطوا أفكارًا مُزَيَّفة أو تَفسيرات مُزَيَّفة عن الأشياء؛ لا تُجيبوا عن أسئلتهم – مهما كانت – بسُخْرِيَة أو بتَأْكيدات غيرِ صحيحة، وهي نادرًا ما تُرضي عُقولَهم؛ استغِلُّوا تِلك الأسئلة لتُوَجِّهوا، بصَبر ومَحبة، فَهْمَهم الذي يَأْبَى إلا أن يَنفتح على امتِلاك الْحقيقة وتَعَلُّم كَيْفِيَّة الْحُصول عليها بِخَطَوات البَراءة التي تُمَيِّز بِدايات التَّفكير والتَّعَقُّل" [٨٣].

يَجب أن نُساعدهم على تكوين **الفِطْنة** وهي الفَضيلة التي تَحكم كل تَصرُّفاتنا، والتي بدونِها لا تكون أيَّة فَضيلة صَلْبة. إنَّها فَضيلة التَّحَكُّم وتَبْدأ بالتحكُّم في الذات نفسها. ولكن فوق كل شيء، من الضروري أن تتكوَّن **العادات الفِكْرية الدينية**، بِمعنى الْمَعْرِفة الرَّاسخة لِحَقائق الإيمان العُظمَى. فالثقافة الْحقيقية تَستنِد إلَى الإيمان، والعَقل يَتطلَّب

٨٢- دراسة نشرتها *الهيئة الطبية الأمريكية*، راجع الوكالة الإخبارية "Zenit"، ١٩٩٧/٩/١١، رقم ٣ ؛ تكلَّفت الدراسة ٢٥ مليون دولارًا مِمَّا يُبَيِّن الأهَمِّية التي أولاها أياها الكونجرس الأمريكي.

٨٣- **بيوس الثاني عشر**، *تربية الطفولة* ، حديث يوم ١٩٤١/١٠/٢٦ ، في "مجموعة الرسائل العامة والوثائق البابوية" ، A. C. E. ، مدريد ١٩٦٧، المجلد الأول ص ١٦٦٩.

"الْمَعرِفة" عن الله، لأن الْمَيْل نَحْوَ معرفة الْحَقيقة عن الله هي غريزة طبيعية – الغريزة الدينيـة. وعندما لا نُعطي لِرُؤوس هؤلاء الشـــباب مَعرفةً قويَّة عن ديانتنا (بســـبب الْخَوْف الزَّائد أحيانًا من التَّعَدِّي على حرّيتهم) فنحن بذلك نُعِدُّ الطريق، في الْمستقبل، أمام تِلك الرُّؤوس الفارغة لكي تَبحث عن امتـلائها بواسطة معارف دينية خاطئة (من هذه الْجِهة يواجه كثيرون تَجربة البحث عن إجابات لدى الشِّـيَع، ولَدَى الأديان الشـرقية السِّـرِّيَّة، أو الطُّقوس الغريبة الْخَفِية،... إلخ): *natura abhorret vacuo* ، الطبيعة تَهرب من الفراغ. بِهذا الْمعنى ينبغي إذًا على الأَبَوَين أن يَعِيا أنَّهما **أولُ مُبشِّـــرين لأبنائهم**؛ وهذه هي رســـالتهم الأولَى: "واحد من الْمجالات التي لا بديلَ فيها للعائلة هو بالتأكيد مَجالُ *التربية الدينية*، الذي يتيح للعائلة أن تنمو *ككنيسة مَنزِلِيَّة*" [٨٤].

٢) تربية الطِّباع والإرادة

"لا يَصـل إلَى الفَضـيلة من يَتْبع أهواءَه" كما يقول القديس توما [٨٥]. لذلك فإن التربية يَجب أن تَهدِف إلَى تكوين الإرادة والعاطفة اسـتنادًا إلى الفضـيلة. فالإرادة يَجب أن تُرَبَّى في وظيفتَيْها: في حُب الْخَير الْحَقيقي وفي التَّحَكُّم في العاطفة (الأهواء).

إن الإرادة تَصل بنا إلى حُبِّ الْخير الْحَقيقي، وإلى حُبِّ القِيَم الْخَالصة وحُبِّ اكتساب فضيلة **البِرّ** (إلى جانب بقية الفضـــائل الأخرى التي تَدور حولَها: التَّديُّن، والتَّقْوَى، والصَّـــراحة والكَرَم، إلخ.). إن البرَّ يَجعلنا عادلين مع كل شـــخص فنُعطي لكل واحدٍ حقَّه: لله وللوَطن وللوالدين وللقريب.

أما فيما يَتعلَّق بـ**العاطفة**، فإن الإرادة والعَقل يُمْكنهما أن يُمارِسا عليها سُلْطَةً حقيقية (على الرَّغم من أننا لا نَقصُد سُلْطة مُطلَقة ولكن سُلطة نِسْبية، أو كما كان الأقدمون يقولون: سُلْطة "سياسية")، وذلك باكتساب الفضائل الْمناسبة لتنظيم الأهْواء والاِنفعالات الخاصة بطِباع كل شخص. إن الانفعالات والأهواء تُمَثِّل الْحَركة لِعاطفتنا وهي ضرورية لِكَمال طبيعتنا. كان الأقدمون يَعُدُّون منها إحدى عشرة: الْحُب، البُغض، الرَّغبة، الْهَرَب، الفرح، الْحزن، الرَّجاء، اليأس، الشجاعة، الْخوف، والغضب. وفيما يتعلق بتهذيبها، فإنه يَتعيَّن تَجَنُّب خطأين. من جهة، مَنْ يعتبَــر أن كل الاِنفعالات والأهواء هي سيئة حتى لو كانت مُعتدِلة (هكذا كان سَيسَرون، مثلاً، يعتقد)؛ بالنسبة لِهؤلاء فإن الوظيفة الوحيدة التي يَجب على الإرادة أن تُمارِســـها هي قَمْعُ هذه الاِنفعالات أو الأهواء. ومن جِهة أخرى، نَجد خطأ من يقول بأنَّها دائمًا حســـنة، وأن تَهذيبها يتمثل في تركها على سَجِيَّتها بدون كَبْتِ أيِّ تَعبير عنها أبدًا. إن الْموقفين مُخطِئان. إذْ أن الانفعالات البشرية ليست بِحَدِّ ذاتِها، حَسَنة ولا سَيِّئة: إنَّها تكون حسنة عندما تكون موجَّهة بِحسب العَقل الْمستقيم؛ وتكون سيئة إذا ابتعدت عن هذا الْمقياس. هذه الْحَرَكات عندما تكون مُنظَّمة فإنَّـــها تساعدنا على بُلوغ كمال طبيعتنا ؛ أما إذا كانت، على العكس من ذلك، غير مُنظَّمة فإنَّها تُحطِّمنا وتَستعبدنا. إنَّ تَهذيب العاطفة يتِم بواسطة اكتساب الفضائل التي تُنظِّم الاشتهاء والْمُيول،

٨٤- **يوحنا بولس الثاني**، *الرسالة إلى العائلات* ، ١٦.
٨٥- **القديس توما الأكويني**، *في الأخلاقيات إلى نيكوماكو*، الجزء الأوَّل القسم ٣ رقم ٤٩.

التي يُطلَق عليها اسم الفضائل الأدبية: فضيلة الإعتدال التي تُؤَثِّر في الشَّهْوَة، وفضيلة قوة التَّحَكُّم التي تَضْبِط الْمَيلَ للغضب.

كيف تَتكوَّن تِلْكَ الفضائل عند الطفل أو عند الشاب؟ نستطيع أن نَذكر الخُطوط العَريضة لذلك، فنقول أنَّ ذلك يَحدث بِمساعدة الطفل أو الشاب على مُمارسة الأفعال التي يَتْبَع من خلالِها تَمييزه العَقلي الْمُوَجَّه بالفِطنة والإيمان. كيف نَصِل لذلك؟ يُمكننا أن نُشير إلى ثلاث مراحل أساسية:

أ) تَحْفيزُ مَن تَتِمُّ تربيتُه. إن التَّحفيز يعني إعطاءَه دافعًا لكي يتصرف وَفْقًا للفضيلة. ويَختلف هذا بِحسب عُمْر من تَتِم تربيته.

في **مَرحلة الطفولة الأُولَى** (قبل دخول الْمَدرسة)، وعلى الرَّغم من عدم إمكانيَّة الأطفال أنْ يأتوا بأعمال إراديَّة بالكامل، فإنه يَجب البَدْء عِندئِذٍ بِوَضع الأساسات من أجل مُمارسة الفَضيلة بكل ما تَعنيه هذه الكلمة. والْمقصود هو خَلْق **عادات** تُؤَدِّي في الْمستقبل إلَى اكْتِساب الفَضائل. يَتِمُّ التوَصُّل لِهذا أساسًا بواسِطة *الثَّواب* و*العِقاب*. فكلُّ أبٍ وكل أمٍّ يتصرفان هكذا بطريقة طبيعية: عندما يعمل اِبنُهما شيئًا حسنًا فإنَّهما يكافِئانِه (أحيانًا يكون ذلك فقط بابتسامة أو نظرة حانِيَة)؛ وعلى العكس عندما يقوم بشيء يَستحقُّ اللَّوْم، فحتى إذا لَم يعاقباه – ذلك لعلمهما بِأنه ليست لدَيه ارادة تامة – فإنَّهما يُظهران استياءهما مِمَّا فعل أو على الأقل لا يَمْدَحان ما قام به (لنتَخيَّل إذًا الإساءة التي تَحدث للأبناء عندما يُمدَحون لأجل أعمال سيِّئة كما يَحدث مرات عديدة). يُؤَدِّي هذا إلى تَحفيز الأبناء على أن يتصرفوا دائمًا بطريقة مستقيمة وأن يتجنَّبوا التصرفات السيِّئة. "العادة تَحتَوي على قوة الطبيعة، خصوصًا إذا ما غُرِسَت في الطفل". هكذا كان القديس توما يقول [٨٦].

اِبتداء من بُلوغ **سِنِّ الْمَدرسة**، وبالأَحْرَى في فترة **الْمُراهَقة** و **البُلوغ**، يَجب أن يصاحب التَّصَرُّفات الفاضِلة ثَوابٌ ويصاحب الرَّذائل عِقابٌ. ولكن يَجب مراعاة عنصرَيْن هامَّيْن. الأول هو أن الثَّواب والعِقاب يَجب أن يكونا تَرْبَوِيَّيْن؛ وهُما يكونان بالضَّبط كذلك عندما يتَّضح أن الثواب الْحَقيقي للعَقْل الفاضل هو فِعلُ الفضيلة نفسُه (وهذا يعني ببساطة أنه يكفي كثَوابٍ أن يكون قد تصرَّف حسنًا وأن يكون قد أدَّى واجبه أو قام بعمل مَحبة وأن يكون قد أرْضَى الله أو أبَوَيه، إلخ...)، وأن يكون العِقاب الْحَقيقي هو العمل السيِّء نفسه (الطعم الْمَرير لعملٍ فَوْضَوِي أو لفشل أخلاقي...). لذلك كان القديس توما يقول: "من يَميل إلى الفضيلة يَجب أن يُوجَّه منذ شبابه إلى الإستمتاع بالشيء الذي يستحق الفرح وأن يَغْتَمَّ بالشيء الذي يستحق اللَّوْم. إن التربية السليمة تتمثَّل في جَعْل الشباب يعتادون على الاستمتاع بالْخَير" [٨٧].

ب) خَلْق الفُرَص لصُنْع أعمالٍ فاضلة. إن كل شَخص تُتاح له خلالَ حياته فُرَصٌ عديدة لِممارسة الفضائل، ذلك لأنه يَحتاج دومًا لأن يتحكَّم في ذاته وأن يَضْبِط اندفاعاته وأن يَطرُد التجارب. ولكنه من الضروري أيضًا، وخصوصًا بالنسبة للأطفال والْمراهِقين، أن يَخْلِقَ أَبَواه فُرَصًا ومواقفَ مناسبة لِممارسة الفضائل، خاصة تلك التي ستُؤَثِّر

٨٦- **القديس توما**، *الخلاصة اللاهوتية*، المجلد الأول، ٦٣، ٤ ضِدَّ ٢.
٨٧- **القديس توما**، *التعليق على الأخلاقيات إلى نيكوماكو*، المجلد الثاني، ٣، رقم ٢٦٨.

بالأكثر في شخصيَّتهم. يَجب أن نَدْفعهم إلى مُخالَطة بيئات سَوِيَّة، مع أصدقاءَ صالِحين، مثل الكنائس والْمعَسْكرات والْمجموعات العائلية. أنَّهم في مِثل تِلكَ البيئات سيكون باستطاعتهم مُمارسة الفضائل الرئيسية كالْمحبة ونُكْران الذات والوَفاء وضَبْط الإِندفاعات الْخاصة.

ج) مَنْحهم القُوَّة اللاَّزمة. هذه الفُرَص لن تكون لَها قيمة تربَوِيَّة (على الرَّغم من نُبْل غايَتِها) إذا لَم يكن لدى الأطفال والْمراهقين القوة الكافية للقيام بالْمَجْهودات اللازمة التي يتطلَّبها فعل الفضيلة، أو تلك التي تتطلَّبها مقاوَمة الأَهْواء الْمختلفة. من أجل ذلك تُوجد الْحاجة إلى **القوة الروحية**: أيْ الإرادة القوية الْمدعومة بالنِّعمة الإلهية. هذا ما تُتيحُه مُمارسة الأسرار الْمقدسة، خصوصًا سرِّ الإِعتراف والقُدَّاس الإلَهي والإرشاد الروحي.

٣- دَوْر أَفراد العائلة في التربية

على الرَّغم مِن أنَّ تربية الأبناء تَعتمد على العائلة كَكُل، إلا أنَّ كل فَرْد من أفرادها له دَوْره الْخاص.

فـ**الأب** له دوره الْخاص به، هذا الدور لا يظهر كثيرًا عندما يكون الأبناء صغيرين، ولكنه يتأكَّد أكثر فأكثر كلَّما كَبِروا. إن دور الأب في تربية الأبناء يُمْكن أن يَتلخَّص في كلمتين: الشعور بالأمان والْحب. فحضور الأب يُعطي للإِبن الإحساس بأنَّه في أمان؛ فهو يُمثِّل القوة والإِتِّزان بالنسبة للبيت؛ كما أن الْهُدوء الْخارجي للأب يدعو الابن لضبط النفس. فالأب في العائلة هو الذي يُمثل السُّلطة ولذلك فهو الذي يُحْضِر للأبناء معنى "النظام". إن غياب الأب عن العائلة يَخلِق عامَّة إحساسًا من عدم الْحماية والتَّرك وفُقدان الْمَلاذِ لدى الأبناء. إلى جانب ذلك فإن الأب عليه أن يُظهر للأبناء مَحبة واحترامًا كبيريْن، وإلا تَحَوَّل معنى السلطة إلى التسلُّط.

أما **الأُم** فهي التي تُؤَمِّن الوَحدة: فهي تقوم بدور هَمزة الوصل بين الأب والأبناء؛ وهي تَعمل على أن يُحبَّ الأبناء أباهم وعلى أن يَكونَ أبوهُم دائمًا حاضرًا بالنسبة لَهم . قالت أمٌّ ذاتَ مرة: "عندما أكون بِمُفردي مع أبنائي فأنا أجتهد لكي أجعل أباهم حاضرًا عند اتِّخاذي لقراراتي، فأقول لأبنائي: ماذا كان أبوك سيقول عن ذلك"؟ إن الأم أيضًا هي التي تَمنح الْحنان ومكانتها لا تُسْتَبْدَل؛ فمنها يتعلم الأبناء الكَرَم والاهتمام بأمور الآخَرين. وحتى تُربِّي الأمهات أبناءهُنَّ بطريقة جيدة يَجب عليهن تَجَنُّب الوقوع في أحد الْخطأَيْن اللَّذَيْن يُمكنهُنَّ الوقوعُ فيهما بسهولة: "الإِحتضان" للأبناء، أي الْحماية الزائدة عن الْحَدِّ، وتدليل الأبناء بالرُّضوخ لكل طلباتِهم. إن الأم الْمُرَبية هي بالفعل حنونة وقوية في الوقت نفسه، واضعةً قبل أيِّ شيء السعادة الْمستقبليَّة للابن، وذلك ما قد يُلزمها أن تَعْصِي اندفاعات أحاسيسها مرات كثيرة.

في النهاية، فإن **الإخوة** أنفسهم يَجب أن يُعتبروا مشاركين في التربية. ويُلاحَظ بسهولة، في العائلات الكثيرةِ العدد والْمُوجَّهة توجيهًا جيدًا، كيف أنَّ الأبناء الأكبر عُمْرًا يكونون "مِثالاً" و "مُرشِدًا" لإخوتِهم الأصغر سنًا. وعندما يتعايش الإخوة معًا، فإن التربية تتم بواسطة الألعاب والأحاديث والإِحترام الْمتبادَل والنصائح والصداقة الأخوية. في العائلات الكبيرة تَجد أن الأكبر سنًا هم الذين يَهتمَّون بِمَن هم أصغر منهم، وهكذا يتعلَّم هؤلاء روحَ الْمسؤولية والسَّخاء ومَحبة

القريب. لذلك قال يوحنا بولس الثاني: "إنه لأقل ضـــررًا أن يُحْرَم الأبناء من بعض أســـباب الراحة والْمَزايا الْمادية من أن يُحرَموا من وجود الإخوة والأخوات الذين يُمكنهم أن يساعدوهم على نُمُوِّهم البَشري وعلى التحقُّق من جَمال الْحياة" [٨٨].

٤- أَعداء التربية

من بين أعداء التربية العَديدين أريد أن أَذكر بصفة خاصة اِثنين: العُنف داخل العائلة وترك الآباء لِمسؤولية تربية الأبناء للتِّلِفزيون أيْ "لِجَليسة الأطفال الإلِكْتْرونية".

١) العنف

تواجهنا هذه الأيام ظاهرة مُنْذِرة بالْخَطر أَلا وهي انتشار العنف بين الأطفال والْمراهقين. فقد تضاعفت في الفترة الأخيرة حالات القتل والاِغتصاب بواسطة الأطفال وهُم في أغلب الأحيان أقل من ١٢ عامًا [٨٩]. ويعكس هؤلاء الأطفال في كثير من الأحيان الْمِثال الاجتماعي والعائلي الذي تلقُّوه: فكثير منهم يكونون عنيفين لأَنَّهم عومِلوا هكذا في بيوتِهم. إذْ أن واحدة من انْحرافات التربية هي ما أُطلق عليها "التربية الســـوداء"، أي التربية الْمرتكِزة فقط على التهديد والعِقاب. وبالفعل نَجد أن أحد الْهُموم الاِجتماعية الكبرى في هذه الأيام هو العنف داخل العائلة: الآباء الذين يصــرخون ويضــربون أولادهم أو يستعبدونَهم أو حتى يستغِلُّونَهم، إلخ. أحيانًا تُعطَى حِجَّةُ أنَّ ذلك "يَحدث من أجل مَصلحة الأبناء"؛ وأحيانًا أخرى يُلقي الآباء ببساطة على كاهل أبنائهم التَّوَتُّر والْمَشاكل الزوجية ومشاكل العمل؛ أو يُحاول الآباء تَجَنُّب "الإزعاج" و "الْمضايقة" الناتِجَيْن عن متطلِّبات الأبناء منهم؛ وفي بعض الْمرات يَتِمُّ حل الْمشكلات التي تَحتاج إلى وقت أطول لأجل الْحَديث مع الأطفال والشرح لَهم، بواسطة الصُّراخ لاختصار هذا الوقت، إلخ. قد تكون هناك دوافعُ كثيرة لاستعمال العنف مع الطفل، ولكن عادةً ما لا يكون هناك مَفَرٌّ من أن يُكَرِّر هؤلاء الأطفال والْمراهقين، مع الآخَرين، ما حدث معهم. فالتربية الْمرتكِزة على العنف تَخلِق رجالاً ونســـاءً حَقودين وعنيفين. بالتأكيد يَجب أن يأخذ الْحَزْم الأبوي مكانًا في تربية الأبناء، خاصــة في مواجهة نَزَواتِهم أو رغبتهم في التحكُّم أو انْحرافاتِهم الســلوكية. ولكن أعظم وســيلة تربوية هي تلك التي تســتند على ســياســة "الوِقاية" والْحب الأبوي. إن الطُّرُق العظيمة للتربية التي اتَّبعها القديس فيلبس نيري والقديس دون بوسكو وكل معلِّمي الأطفال والشباب كانت تتمثَّل دائمًا في اجتذاب قلب هؤلاء الأطفال (أيْ الأبناء في حالتنا هنا) وفي منحهم الوقت الكافي، والتحدث معهم ومنحهم الثقة وكَسْـــب ثقتهم؛ عندئذ يكون الْحَزْم والعِقاب الفَطِن مَفهومَيْن ومقبولَيْن كتأديبٍ نابعٍ من الْمحبة.

٢) التِّلِفزيون

٨٨- **يوحنا بولس الثاني** ، *عظة في كابيتال مول*، واشنطن العاصمة ، ١٩٧٩/١٠/٧.

٨٩- هنا نذكر فقط الواقعة المعروفة التي حدثت في ليفربول سنة ١٩٩٣ (والتي قام بها طفلان قاتلان) ؛ ومذبحة أركانساس سنة ١٩٩٨ (قام اثنان من الأطفال بقتل العديد من زملائهم في المدرسة وكذلك قتلا مُدرِّسةً) ، إلخ... لقد زاد إجرام الشباب في السنوات الأخيرة ٥٤٪ في إنجلترا (من نشرة كلارين ٩٨/٤/١٥ ، ص٤٢) ؛ كما أنه في الأرجنتين ، حوالي ٢٢٪ من الجرائم المرتكبة ضد الملكية وضد الأشخاص خلال سنة ١٩٩٥ قام بها أحداث دون سن الحادية والعشرين ونصفهم دون الثامنة عشر.

إن تكريس الذات الذي تتطلَّبُهُ تربية الأبناء من قِبَلِ الآباء يُهْمَل في كثير من الأحيان، تاركًا تِلك الْمُهِمَّة للتِّلِفزيون؛ فَيُسَلِّي هذا الأخير الأطفال والشباب فيَظَلُّ الآباء بدون إزعاج وبدون صُراخ وبدون ضَوْضاء ولا أحاديثَ قد لا يعرف الآباء في كثير من الْمرَّات كَيْفِيَّة إتْمامِها. بِخصوص هذا الأمر قال البابا يوحنا بولس الثانِي في رسالة له سنة ١٩٩٤: *"إن الآباء الذين يستخدمون التِّلفزيون بطريقة مُنْتَظِمة ومُمْتَدَّة، كنَوْع من جَليسة الأطفال الإلكترونية، يَتخَلُّون بذلك عن دورِهم كمُرَبِّين أَوَّلِين لأبنائهم"*[٩٠]. يشير البابا بِهذه الكلمات العامة إلى أنَّ التلفزيون يَحتوي على:

– **مَظاهر إيجابية:** إن التِّلفزيون يُمكِنه أن يُثْري حياة العائلة. يُمكنه أن يوحِّد أكثر فيما بين أعضائها. يُمكنه أن ينمِّي لا فقط معرفتها العامة ولكن أيضًا الْمعرفة الدينية بتسهيله الإستماع إلى كلمة الله ...".

– **مَظاهر سلبية:** "قد يصيب التِّلفزيون الْحياةَ العائلية بالضَّرر: بنَشْره لقِيَمٍ وأمثلةِ سُلوكٍ خاطئة ومُتَدَنِّية، أو ببَثِّهِ لِمَوْجات من العُرْي والْخَلاعة وصور العنف البَشِعة؛ أو لغَرْسيه النِّسْبية الأخلاقية والتشكيك الدِّيني؛ بتعليمه عِلاقات مُشَوَّهة وبإعطائه أخبارَ أحداث جديدة ومشاكلَ مُعاصِرة بِهَدف الوصول لأغراض معيَّنة، وكذلك بنَشْرِهِ إعلانات تَسْتَغِلُّ وتُخاطب الغَرائز الدنيئة وتُشَجِّع رُؤْيةً زائفة للحياة ... وحتى عندما لا تكون البرامج التِّلِفزيونية سَيِّئة أخلاقيًّا، فإن التِّلِفزيون قد تكون له آثارٌ سلبية على العائلة: فقد يؤَدِّي إلى عُزْلة أفراد العائلة كُلٍّ في عالَمِهِ الْخاص به...؛ وقد يؤدي إلى انقسام العائلة فيُبْعد الآباء عن أبنائهم والأبناء عن آبائهم".

إن رؤيةَ التِّلِفزيون بدون تَمْيِيز (سَواءَ بالنسبة لكَمِّيَّة الوقت الذي يَقضيه الْمَرْء أمامه أو بالنسبة للبرامج التي يراها) تؤدي عامة إلى: الإحباط العاطفي والإنفصال الأُسَري والتمرُّد والتعلُّق إلى حدِّ الإلتصاق بالشاشة الصغيرة (قد يَصل إلى نوع من الإدمان)، وإلى تَشَوُّه في الإبداع الْخيالي والتحريض على مُمارسات جنسية غيرِ سَوِيَّة (فكثير من البرامج التِّلفزيونية تدافع عن الإنْحلال الْجنسي والفاحِشة والزِّنا والشُّذوذ الْجنسي وعمليات تغيير الْجنس إلى الْجنس الآخرَ، إلخ.) كما تؤدي إلى مشاكلَ نفسية مثل الشعور بالْخوف والقَلَق (خصوصًا بسبب برامج الرُّعب التي كثيرًا ما تتخَفَّى في داخل برامجَ للأطفال)، وإلى الْحَثِّ على العنف والإستهلاك والأنانية والإستِهتار بالدراسة (بسبب الوقت الذي يُكَرِّسه الأطفال لرُؤية التِّلفزيون، فإنَّهم يَقرَؤُون أقلَّ ويَكتبون أَسْوَأ من ذي قبل).

ولذلك فإن البابا يُحَدِّد بعض الْمَعايير الْخاصة بالتربية لكي يتَّبعها الأَهْل بِخصوص "كَيفية رؤية الأولاد للتِّلِفزيون" وذلك حتى في حُضور الأَبَوَيْن:

– إخْطار الأبناء مُسْبَقًا بِمحتَوَى البرامج.

– الإختيار بوَعْيٍ شديد لِما ستَتِمُّ رؤيته بِحسب الْخير الذي يُتيحه برنامجٌ ما للعائلة (الْخير الذي يأتِي من رؤية البرنامج أو من عَدم رؤيته).

٩٠- **يوحنا بولس الثاني**، *التِّلِفزيون والعائلة : المقاييس اللازمة للرؤية*، رسالة من يوحنا بولس الثاني لليوم العالمي الثامن والعشرين لوسائل الاتصال الاجتماعية، ١٩٩٤/١/٢٤.

– مناقشـــة ومُحاوَرة الأبناء حول التِّلِفزيون حتى يَصـــيروا قادرين على تنظيم كَمِّية ونوعية البرامج التي يَرُونَها وحتى ينتبهوا ويَحكموا على القِيَم الأخلاقية التي تُشكِّل أساس تِلك البرامج .

– التَّمَكُّن من إغلاق التِّلِفزيون عندما يكون هناك شيء أفضلُ يُمكن عمله، سَواء الْحديث مع الأبوين أو الإخوة، أو اللعب، أو ببساطة عندما يصير الْجلوس أمام التِّلِفزيون بدون تَمييزٍ صالِحٍ شيئًا ضارًّا.

الفصل الثاني عشر

التربية الجْنسيـة [٩١]

إلى جانب مَسألة التربية عامة، والتي ذَكَرناها فيما سبق، يَظهر اليومَ واجبٌ مُهمٌّ للآباء ألا وهو استعدادُهم للرد على مشكلة " التربية الجْنسية " لأبنائهم. هناك حَمْلات مِن الكثير من الْحكومات والْمَدارس والْهَيْئات الدولية التي تسعَى لتربية الأطفال والْمُراهقين والشباب من خلال أفكار تُدَمِّر الواقع الجِْنسي السَّليم. سَنُرسي هنا بعضَ القواعد التي يَجب أن تُؤْخَذ في الِاعتبار.

١– الدَّعْوَة للحب

إن مُجتمعنا لا يعرف أن يُعَلِّم الحْب لأنه لا يعرف كيف يُحِبُّ. ولكن الإنسان خُلِق لكي يُحِب بِما أنَّ الذي خلقه هو الله الذي هو "مَحبَّة" (١ يو ٨/٤). ولذلك فإن الإنسان إنْ لَم يتعلَّم أن يُحب فهو لن يتعلم أن يصير إنسانًا. إذًا، كيف نُعلِّم رَجلاً وامرأةً أن يُحِبَّا؟ وخاصة كيف نكلِّمهم عن الجنس عند تَعليمِهما الحُبَّ؟

هناك نوعان من الحب. الحْب الأناني وحب الصداقة أو العطاء. النوع الأول يبحث فقط عن أَدَواتُ يُشبِع بِها رغباته؛ إنه حُبٌّ حَيوانِيٌّ خالص. أما الثاني فهو الحب القادر على مَعرفة الأشخاص ومَحبتهم بذاتِهم ومن أجْل ذاتِهم؛ إنه الحب الذي نسمِّيه حبَّ الصداقة وتَقْدِمة الذات، وأفضل من يُجسِّد هذا الحب هو نَفْسُه الذي أعلن عن ذاته في يسوع المسيح: *هَكذا أَحَبَّ الله العالَم حتى بَذَل ابنه الوحيد* (يو ١٦/٣)؛ *أَحَبَّني وأَسلم نفسه من أجلي* (غلا٢/٢٠). إنه حب مُتطلِّب ويَكْمُن جَمالهُ بالضَّبط في تَطلُّبه هذا. لقد خُلِقَ الإنسان لكي يُحِبَّ بِحَسَب الطريقة الثانية. وهذه الدعوة للحُبِّ تُعاش بطريقتين مُختلفتين تَبَعًا لِنداء مُتميِّز من الله: إمَّا الدعوة للحب البَتولِي أو الدعوة للحب الزَّوْجي.

البَتولية الْمُكرَّسة تَعنِي التَّخَلِّي طَوَاعِيَةً وعلى الدَّوام عن استخدام الجنس، لأجل غايةٍ تَفوق الطبيعة أَلا وهي تَقْدِمةُ القلب التامَّة لله والاِتِّباع الكامل ليسوع المسيح البَتول.

الحُب الزوجي هو الطريقة الثانية لِمَعيشة دعوة الحب، ويَظهر في الشَّركة التي توجَد بين الرجل والْمرأة إلى الأبد. **إن عَطاء الذات الجِْنسي الْمتبادَل** بين الرجل والمرأة **يَخُصُّ بِطريقة حَصْرِيَّة مُطْلَقة هذا الحُبَّ الزَّوْجي.**

الزواج مِثْلهُ مِثْلُ البَتولية يتطلَّب مَعيشة العِفَّة بالْمِلْء، وذلك حتى يستطيع الْمَرْء أن يُعطي ذاته (لله في البَتولية، وللزوج أو الزوجة في الزواج). فالعفة هي الفضيلة التي بِحَسَبِها يستخدم الشخص الجنس فقط داخلَ الزواج الشَّرْعي وتبعًا لِشَرائع الله. وهذا يعني بِالقَدْر نفسِهِ التَّخَلِّي التام عن مُمارسة الجنس خارجَ الزواج أو قبلَه (حتى لو كان هناك اتِّجاه نَحو الزواج)، ويَعني داخلَ الزواج التَّخَلِّي عن فِعْلِ أيَّة أشياء خارجَ شريعةِ الله.

٩١- **المجمع الحبري للعائلة**، *الجنس في الحياة البشرية : الحقيقية والمدلول* ، ١٩٩٥/١٢/٨ (جريدة الأوسيرفاتوري رومانو باللغة الأسبانية ، رقم ٤٤- ٤٥، ١- ١٩٩٦/١١/٨).

إن مُمارسة العفة تَجعل الشخصية متناغمة وناضجة ومُتمثِلة من السلام الداخلي. وليس من السَّهْل الوصول إليها دائمًا. فالبعض يَجِدون أنفسهم داخل بيئات تُسيء إلى العفة ولا تَعترف بقيمتها وتَرفض عن قَصْد وبطريقة مُنَظَّمة مُمارَستَها؛ ولذلك فإن مُمارسة العفة تتطلَّب بالفعل صِراعًا قويًا وبُطوليًا. ولكن **الْجميع** يستطيعون مَعيشتها بواسطة نعمة الْمسيح. وإلا، فَلْنُفكِّر في الشابَّات والنساء اللاَّتِي سَطَعْنَ بفضل عِفَّتهنَّ الزوجية أو بفضل بَتوليَّتهنَّ في داخل الوثنية غيرِ الطَّاهرة في القُرون الأولى للمسيحية: مثل القديسة أنْيِيزي والقديسة سيشيليا، وكذلك أناستاسيا ولوتشيا وأجاثا وبِرْبِتُوَا وفيليتشيداد؛ وكذلك القديسات الشابات في عصرنا الْحديث: القديسة ماريا جورِيتّي ولورا فيكونيا وأُخْرَيات كثيرات. يَجب علينا في كل الأَحْوال أن نشجع الشباب ذاكرين لَهم التعبير الذي ذَكَرَهُ أحد الفلاسفة قائلاً: "لا تَطْرد البَطَل من داخل نفسك". وإنه لَمِن الْمُهمّ أيضًا أن نلاحظ أن الفضائل إما أن تكون مرتبطة بعضها ببعض أو لا يُمكنها أن تتواجد البَتَّة. من أجل هذا فإن مَعيشة العِفة بالْمِلْء تتطلَّب اكْتِساب فَضائلَ أخرى مصاحِبة لَها، ألا وهي التَّقْوَى والإعتدال عامَّة، والإماتة والْمحبة المسيحية.

٢- التربية الجنسية

ما هي إذًا التربية الجنسية، وما هي تربية الأبناء في مَجال الجنس، في هذا الإطار الذي تَكلَّمنا عنه؟ إنَّها ليست شيئًا آخَرَ سِوَى التربية على العفة.

إن التربية على العفة تَهْدِف إلى ثلاثة أشياء رئيسية. أولاً هو الحِفاظُ، داخل العائلة، على حالة إيجابية من الحب والفضيلة والإحترام للمَواهب التي يَمنحها الله وخاصَّة موهبة الحياة. ثانيًا مساعدة الأبناء تَدريجيًّا على **فَهْم** قيمة الجنس والعفة و**مساندة** تَطَوُّرِهما لَدَى الأبناء بالنصيحة والْمِثال الصالِح والصلاة. وأخيرًا مساعدتُهم على **فَهْم واكتشاف** دَعْوَة كلٍّ منهم سَواءَ للزواج أو للبتولية.

إن الْمربِّين هم الأَبَوان ، وخصوصًا لأنَّهما هما والدا الطفل. إن إنْجاب الأبناء يتمُّ في زَمَنَيْن: الأول عند إنْجاب الْحياة البشرية والثاني عِند تَمام تَكْوين الشخصية النفسية والروحية للإبن. يوجد آباء لا يُجْهِضون أبناءهم في الإنْجاب الأول ولكنهم يُجْهِضونَهم بالنسبة للإنْجاب الثاني، أيْ بتَرْكهم إيَّاهم غيرَ ناضِجين عاطفيًّا وغيرَ قادرين على مواجهة الْحياة.

قد يساعد أشخاصٌ آخرون أو هيئات أخرى الأبوَين فِي هذه الْمُهمة ولكن لا يَجب أن يأخذوا مكانَهما، إلا لأسباب خطيرة كالعجز الْجسدي أو الْمعنوي. ولذلك فإن أيَّ معاونٍ آخَرَ يَجب أن يتصرَّف **باسم** الأبوين و**بموافقتهما**، وإلى حَدٍّ ما **بتَفْويض منهما**. بِهذه الطريقة، يَجب على الأبوين أن يكونا على وَعْيٍ **بحقوقهما وواجباتِهما** في هذا الْمَجال.

لقد ذَكَرنا أن تربية الأبناء هي حقٌّ أساسي وغير قابِلٍ للإستبدال. ونفْسُ الشيء يَسْري على التربية الْجنسية بصفة رئيسية، خاصَّة هذه الأيام التي تَنْزع فيها الدولة والْمدرسة، في كثير من الأماكن، إلى أخذ زِمام المبادَرة بالنسبة للتربية الجنسية. ولكنها أيضًا **واجب**. فإذا لَمْ يَقُمْ الأَبَوَيْن بِهذه الْمُهمَّة فانَّهما يكونان مسؤولَيْن عن اِنْحِرافهم، إذْ يُعَرِّضانِهم لتَلَقِّي تكوينٍ غيرِ أخلاقي وغيرِ مناسب خارجَ الْمَنْزل. وبِما أنَّ الأَبَوَيْن في كثير من الأحيان لا يستطيعان النهوض بعِبْءِ تِلك

الْمهمَّة بِمُفردِهِما، بسبب نَقْصٍ في الإستعداد لذلك، فإنه يَتعَيَّن عليهما أن **يَتأهَّلا** لذلك **طالبين المساعدة** وخاصة من الكنيسة التي هي أمٌّ ومُعلِّمة وخبيرة بأُمور البشرية.

٣- كيف تَتِمُّ تِلك التربية ؟

يُوجد نوعان من الوسائل لِتَحْقيق تِلك التربية: الأول يهدف إلى تكوين الإرادة مباشرة والآخَر إلى تَهْذيب الْمَعرفة التي لَدَى الأبناء فيما يَخْتَصُّ بالجنس. والإثنان على درجة كبيرة من الحساسية.

١) تربية الإرادة والعاطفة بِهدف العفة

إن العفة هي مَظهر من أهم الْمَظاهر للشخصية البشرية. ولذلك فإنه من غير الْممكن أن تُنمَّى أو تُهذَّب بطريقة اِرتِجالية. فهي تتطلَّب بيئة ملائمة، كالزهرة التي تَحتاج إلى تدفئة خاصة في الشتاء؛ والمكان الطبيعي والأصلي لذلك هو العائلة. فالعفة هي الْمُلتقَى لِمَظاهر جسدية ونفسية وروحية تتطلَّب مُحيطًا ذا طبيعة خاصة جدًّا.

التربية على العفة هي الْمُساعدة على الحصول على فضائلَ إيجابية. فالأبوان لا يَجب عليهما أن **يَكْتفِيا** بتَجَنُّب الأَسْوَأ (أيْ ألاَّ يلجأ الأبناء إلى تَعاطي الْمُخدرات أو اِرتكاب الجرائم)، بل يَجب عليهما أن يتطلَّبا منهم أكثر من ذلك بكثير: أيْ أنْ ينتهجوا الفضيلة. من أجل ذلك:

– **على الأبوان أن يَخلِقا جوًّا مليئًا بالعاطفة**. إن علمَ النفس وعلم التربية والخبرة نفسَها تَتَّفق على الضرورة الْمُلِحَّة لِخَلْق جَوٍّ مَليء بالعاطفة داخل العائلة، وذلك بِهدف التَّوَصُّل إلى تربية جنسية صحيحة. يَجب خَلْق ذلك الْمَناخ منذ الأَعْوام الأولى للطفولة، وفي سنوات الْمراهَقة، وحتى في مرحلة ما قبل الولادة. إنَّ **مَظاهِر عَدم الاتّزان** الذي يكون موجودًا أحيانًا بين الأبوَيْن (مثل الْمُشاجَرات والإنفصال والْمُعاملة السيِّئة والقَسْوَة) كلُّها عَوامِلُ قادرةٌ على التسبُّب في نَوْع من الرُّعب يؤَثِّر في أحاسيس وعَواطفِ الأطفال مَدَى الحياة. ومن أجل خَلْق هذا الْمَناخ الْمُناسب يَجب على الأبوَيْن أن يَجِدا الوقتَ الكافي **للجلوس مع** أبنائهم و**للحوار** معهم. إن تربيةَ الأبناء "لا تَعْني فَرْض أسلوب معيَّن من السُّلوك عليهم، وإنَّما تَعني تَوْضيح الأَهْداف البشرية وفائقة الطبيعة التي تُزَكِّي ذلك السلوك". "إن الأبناء هم الْمُهمة الأكثرُ أَوْلَوِيَّةً لَدَى الأهل...، أكثر من العمل وأكثر من الراحة وأكثر من الْمَكانة الإجتماعية".

– **عَليهِما أن يَخلِقا مَناخًا مِثاليًّا**. فالأبناء يكونون على استعداد لِمعيشة الحقائق الأخلاقية التي **يُمارسها** والداهُما. ولذلك فليس من الْممكن تعليمُهم مَحبة الله إذا كان أبواهُما لا يعيشان مَحبة الله. كما أنه ليس من الْممكن تعليمُهم العفة إذا كان الأبوان لا يُمارسانِها. هنا يَكْمُن الفَرق بين **التعليم** و**التربية**: إنَّ **التعليم** أسهلُ بكثير من **التربية**. بالنسبة للتعليم يَكفي أن **يعرف** الْمَرْءُ شيئًا، ولكن بالنسبة للتربية فمِن اللازم أن **يكون** المرء شيئًا. فالتأثير الحقيقي للمُربِّي لا يَكمن فيما يقوله وإنَّما فيما يكون عَلَيْه هو نفسه. فالتربية الحقيقية تتمثَّل في إعطاء الْمُربِّي ذاتَه كَمِثالٍ حيٍّ وكَدرس واقِعي. هكذا فعل يسوع المسيح.

– **عليهما أن يُعطِيا تربية شـــاملة.** إذْ أنَّ التربية على الحب يَجب أن تكون تربية متكاملة. بِمعنى أن تكون في الوقت نفسه تربية للروح وللحساسية وللمشاعر. إنَّها عامةً تربية لِمجموعة أشْمل من الفضائل (أو – بطريقة ملموسة أكثر– "لكل" الفضائل): لأن ضَبْطَ النفس هو شيء ضروري، وكذلك الإعتدال والعَفاف والْحَياء (الْحِشمة) والْمحبة المسيحية والْمَقْدرة على التضحية والإيمان والصلاة، إلخ .

– **عليهِما التربية على الْحَياء (الْحِشـمة) وعلى العَفاف.** فبهدف التوصُّـل إلى مناخ ملائم للعفة يكون من المهم جدًا مُمارسة الحشمة والعفاف. ولذلك يَجب أن يتنبَّه الأبوان إلى أَلاَّ تتسبَّب بعض الْمُوضات (أَنْماط الْملابس) والتصرفات غيْرُ الأخلاقية في خَدْش الحياء داخل الْمَنْزل. تَكمُن تِلك الْخُطورة خاصَّةً في الاستخدام المبالَغ فيه للتِّلِفزيون.

– **عليهِما أخيرًا أن يُربّيا على ضَبط النفس.** يَجب أن يُشدِّدا على تعليم ضبط النفس، لإنه الطريقة الوحيدة التي يكون الْمرء بِها قادرًا على إعطاء ذاتِه. لأن الذي يتحكَّم في ذاته هو وحدَه القادر أن يعطيها. فضبط النفس يعنِي الْمَقدرة على أن يقول الْمَرء لنفسـه **لا** عند شـعوره برَغَبات مُحدَّدة؛ ويعني كذلك إجبارَ ذاتِه على فعل أشـياءَ بدون إغراءِ الْمتعة أو الْجزاء. وذلك يتطلب بالطَّبْع تضـحيةً وقوةً روحية. إن الشـخص الذي لا يَمتلك ضـبطَ النفس هو شـخص كثيرُ النَّزَوات وأنانِي، وعلى الْمَدَى الطويل يصير غيرَ قادر على التحكُّم في ذاته.

٢) تربية المعرفة

ومن مَهامِّ الأبَوين أيضًا أن يُعرِّفا أبناءَهُما أسرار الحياة البشرية وكَيْفِيَّة توصيل هذه الحياة. إنَّها مُهِمَّة من أَدَقِّ الْمَهامِّ والتي كثيرًا ما تَتعرَّض للأخطاء من قِبَلِ الْمُرَبّين، وكذلك من قِبل الأبَوين نَفْسِـهما. وتُوجد أربعةُ مبادئ تساعد على تَوْجيهِ الأبَوين خلال تلك المهمة:

– **التَّكْوين يَجب أن يكون فَرْديًّا.** إنَّ كل طفل وكل شـاب هو شـخصـية فريدة وغيرُ متكرِّرة. فالوقت المناسـب الذي يُمْكن للطفل أو الشـــاب أن يتلقَّى فيه التكوين والمعرفة يَختلف بين الواحد والآخَر، ويعتمد على درجة النُّضْـــج الشخصي. وذلك يَجب أن يَحْدث من خلال حِوار شخصي. ويتحقق هذا الحوار بطريقة أفضل إذا كان الْمربِّي من نفس جِنس الطفل أيْ عندما يتحدث الآباء مع الذُّكور والأمَّهات مع الإناث.

– **يَجب أن يكون البُعْد الأخلاقي جزءًا من الشـــرح.** فالمواضـيع التي يَتِمُّ شـرحُها يَجب أن تَحْتَوي على حُكمٍ أخلاقي. فإذا كان هناك كلام عن العفة فيجب تقديمُها على أنَّها فضيلة إيجابية؛ وإذا كان الحديث عن استخدام الجنس، فيجب أن يدخل داخلَ إطار الإتِّحاد الزَّوْجي، إلخ. فالأبَوان عَليهِما أن يُعلِّما الْخير والشـــر بالنِّســـبة للجنس انطلاقًا من شريعة الله. ولذلك فعليهما أن يُظهِرا بوضوح أن بعض التصرُّفات تكون شرًّا لأنَّها تكون ضِدَّ الطبيعة البشرية وضد الشريعة الإلَهية الْمُعلَنة من الله، وليس فقط لِكونِها قد تُسبِّب عَواقبَ اجتماعيةً غيْرَ مَرغوبٍ فيهـــا (مثل حالة الأمَّهات العازِبات والإجهاض وزواج الأمر الواقع، إلخ.). فأُمورُ الجنس لَدَى البَشَر يَجب أن تُقدَّم بِحسب التعليم الأخلاقي للكنيسة. وكذلك يَجب التعليم بأنَّ الإنسان بعد الخطيئة الأصليَّة أصبح ضعيفًا وفي حاجة إلى نِعمةِ الله لكي يتغلَّب على التَّجارب.

– التربية على العفة والتعريف بأُمور الجنس يَجب أن يُقدَّما داخل إطار التربية على الحُب. وهذا يعني أنه لا يكفي التعريف بِحقائق الجِنس وإعطاء مبادئَ أخلاقية موضوعية فقط، ولكنْ من الضَّروري أيضًا مساعدةُ الأبناء على النُّمُوِّ في الحياة الروحية، ذلك لكي يَتوقوا إلى القداسة وإلى الفضيلة؛ من أجل هذا يكون من الضروري أن يوجِّه الأبَوان أولادهما إلى الأسرار المقدسة وإلى الإرشاد الروحي.

– إن التعريف بأمور الجنس يَجب أن يُعطَى بِحساسية كبيرة وبطريقة واضحة وفي الوقت الْمناسب. فيجب أن تُحترَم كلُّ لَحظة من لَحظات تطوُّر الطفل أو الْمراهق؛ ولا يَجب تَخَطِّي المراحل. ولكي يستطيع الأبَوان فعل ذلك فإنه يَجب عليهما أن يطلُبا الإرشاد من الله وأن يتكلَّما عن ذلك فيما بينهما لطلب النصيحة. فالْمعرفة لا يَجب أن تدخل في كثير من التفاصيل، كما أنَّها لا يَجب أن تكون مُبْهَمة ولا غيرَ دقيقة؛ يَجب أن تكون مُحتشِمة بِمعنى أن تُحافظ على فضيلة العفة المسيحية. كذلك يَجب إعطاؤها في وقت مناسب لأنَّها إذا تأخَّرت كثيرًا فإن الفُضول الطبيعي للطفل يدفعه لسُؤال أشخاص غيرِ مُؤَهَّلين للرد عليه (مثل أصدقائه أو زُملائه، إلخ.).

يَجب علينا ألاَّ نَشُكَّ في سُموِّ الدور الذي يلعبه الأبَوان في تربية أولادِهما. فإن ما سيكون عليه هؤلاء الأبناء في المستقبَل إنَّما يعتمد عليهما هما بالذات. فنحن نَحْيا بلا شك في عَصْر مريض، وأن يكون الْمرء أبًا أو مربِّيًا ذلك مسؤولية جَسيمة. فإمَّا أن تَتِمَّ التربية أو لا تكون هناك تربية؛ ليس هناك وَسَط؛ فإما تَتمُّ التربية على الفضيلة أو على الرَّذيلة؛ فالتخلِّي عن التربية على الفضيلة هو بِمَثابة التربية على الرَّذيلة. ويَتلخَّص مَنْهَج يسوع المسيح الْمُعلَن في الْمَوْعِظة على الجبل في الكلمات التالية: *طوبَى لأنقياء القلب فإنَّهم يعاينون الله*. (متى ٥/٨).

الفصل الثالث عشر

الأهل ومشكلة الْمخدِّرات

لا يَشكُّ أحد في أن مشكلة الْمخدِّرات هي إِحدَى الْمَآسي الْمُعاصِرة، وذلك على جَميع الْمستَوَيات: بالنسبة للأطفال والشباب والبالِغين والْمسِنّين: "إننا بصَدَد ظاهرة مُمتدَّة وذات أَبعاد رهيبة، ليس فقط بسبب كثرة عدد الْحَيَوات الْمُحطَّمة وإِنَّما أيضًا بسبب الإمتداد الْمُقْلِق لِهذه العَدْوَى الأخلاقية التي وصلت أيضًا منذ أَمَدٍ قريب إلى الأصغر سنًّا، كما يَحدث – بكل أسَف – بكثرة في حالة الأطفال الذين يُرْغَمون على توزيع الْمخدِّرات، فيَصِلون بذلك إِلَى أن يصيروا هم أيضًا كمُعاصِريهم من الْمستَهْلِكين" [٩٢].

إن إدمان الْمخدِّرات يُعَدُّ حاليًّا واحدًا من أخطر الأَوْبِئة الْحالية في كُلِّ العالَم. إنه أحد الأسباب الرئيسية لكثير من الزِّيجات الْمُفكَّكة، ولِحالاتِ الفَشل الدِّراسي ، والطَّرْد من العمل، والبَطالة و الْخَراب الإقتصادي وانْحراف الشباب ودَعارة الأطفال والبالغين والشباب، وأعمال العُنف والأمراض العَقْلية والإيدز وأمراض أُخرَى كثيرة ، إلخ.

١– ظاهرة المخدِّرات

لِنَرَ بعض الأفكار العامة.

١) مستهلِك المخدِّرات

من بين المستهلِكين المختلِفين للمخدِّرات، يَجب أن نُفَرِّق بين الأنواع التالية:

– المستهلِك العَرَضِي: وهو الذي يستهلك الْمخدِّرات بطريقة متفاوِتة واستثنائية.

– المستهلِك العادي: وهو الذي يستهلك المخدِّرات بطريقة متكرِّرة، ولكنه يَحتفظ بسَيْطرة كافية على عدد الْمَرَّات أو على الْجُرْعة نفسها؛ وعادة ما تكون حياتُه في الْمجتمع عاديَّة من الناحية العمَليَّة.

– الْمُدْمِن (الْخاضع فارماكولوجيًّا للمخدِّرات): وهو الذي وصل إلى حالة من التَّبَعِيَّة للمخدِّرات؛ فاستهلاك الْمخدِّر بالنسبة له أصبح يتِمُّ بطريقة إجبارية، ويُمْكنه أن يَصِل في بعض الْحالات إلى دَرجة أَعراض الإنسحاب الْمَرَضِيَّة (عدم مقدرة الجِسم على تَحَمُّل أنْ تُسحَب منه الْجُرعة).

– الْمُدْمِن في مرحلة التَّسَمُّم: وهو الذي يَجعلُه استعبادُه للمخدِّرات يَحيا فقط من أجل الْحُصول على الْمخدِّر؛ وهو يَلْجأ إلى أيَّة وسيلة للحُصول عليه؛ ويَفقِد الإهتمام بأيِّ شيء آخَرَ (شخصيٍّ أو عائليٍّ أو اِجتماعيٍّ)، ويَفقد كذلك كلَّ القِيَمِ الأخلاقية.

لماذا يَصل كثيرٌ من الرجال والنساء، وكذلك الأطفال، إلى هذه الْحالة؟ إن المشكلة لا تَكْمُن فقط في الإنْجذاب الذي تُسبِّبه مُتعة الْمخدِّرات. فعامَّة ما يكون استهلاك المخدِّرات فقط رَدًّا فاشلاً على فُقدان الْمَعْنَى الإيجابِي للحياة [٩٣].

٩٢- **يوحنا بولس الثاني**، *خطاب موجَّه إلى المؤتمر الدولي السادس للمجمع الحَبْري للعاملين في مجال الصحة*، سنة ١٩٩١.
٩٣- راجع . **المجلس الحبري للعائلة**، *المخدرات: من اليأس إلى الحياة*، ٥/٨/ ١٩٩٢.

من بين الدَّوافع الشخصية التي تَكون مَصْدرًا للوُقوع في التَّبَعِيَّة للمُخَدِّر يَجب أن نَذْكر: نَقْصُ الْمَرْجَع، والفَراغ الناتج عن تَرْك الفَضائل، والإقتناع بأنَّ لا شيءَ له مَعْنًى، وبالتالي فإنه لا جَدْوَى من الحْياة؛ وكذلك الإحساس الْمَرير والْمُؤْلِم بأن الإنسان يعيش في كَوْنٍ لا مَعْنَى له، وعَدَم إمكانية التَّواصُل مع الآخَرين، والشُّعور بعَدَم الرِّضَى اِجتماعيًّا، إلخ.

يَنبغي علينا كذلك التَّفريق بين أنواع التَّبَعِيَّة للمخدِّر والتي يَجد المستهلِك نفسَه واقعًا تَحت تأثيرها. هناك نَوْعان رئيسيَّان: العادة والإدمان.

العادة هي الْحالة الناتِجة عن الإستخدام المتكرِّر لدَواءٍ ما (أو لِمادَّة أُخرَى)، وتتميَّز بالْمَيْل إلى الاستمرار في تَعاطي مُنْتَجٍ مُعَيَّن بسبب الإحساس بالراحة الذي يُسَبِّبه ذلك المنتَج؛ وتتميَّز كذلك بِمَيْل طفيف إلى زيادة الْجُرْعة، يرافقه نوعٌ من الإدمان النفسي وليس الْجِسمانِي. وأخيرًا فالتأثير الناتج يكون ضارًّا فقط بالشخص المتعاطي نفسِه.

الإدمان، على العكس من ذلك، يكون عِبارةً عن حالة من التَّسَمُّم الْمنتظِم أو الْمُزْمِن الناتج عن الإستخدام المتكرِّر لدَواءٍ ما أو لأيَّة مادة أُخرى . ويَتَّسِم بالرغبة التي لا تُقاوَم (الغيرِ إرادِيَّة) في تناوُل منتَجٍ ما بصفة مُستديمة، وبالسَّعْي لِلحصول على ذلك المنتَج بأيِّ ثَمن؛ وكذلك بالْمَيْل إلى زيادة الْجُرعة، وبالإدمان الْجِسْمانِي وليس فقط النفسي؛ وأخيرًا فالتأثير يكون ضارًّا بالشخص نفسه وكذلك بالْمجتمع كله. هذا الإدمان قد يُعتَبَر من النَّوْع النفسي فقط، في حالة الإستخدام السيِّء للمادَّة الْمخدِّرة، بسبب الرِّضَى النفسي الذي يَمنحه هذا الْمخدِّر لِمُتعاطيه. وقد يكون الإدمان جِسمانيًّا أيضًا عندما يؤَدِّي نَقْص الْجُرعة أو عَدَم تَعاطي المخدر إلى مجموعة من الإضطِرابات تُسمَّى "أَعْراض الإنسحاب" حين تَصِل تِلك الإضطِرابات إلى أَمْغاص في الْمَعِدة وغَثَيان وإسْهال وتَشَنُّجات وأيضًا إلى حالة من الغَيْبوبة.

٢) العائلة الْمُفَكَّكة والْمُدْمِن

من بين العَوامل التي تساعد على تَعاطي المخدِّرات يَجب أن نَذْكر النَّقص الْمُطْلَق أو النِّسْبي في مَعيشة الْحياة العائلية. فالعائلة هي العُنْصُر الرئيسي لتكوين طِباع أيِّ شخصٍ ولتكوين نَوْعِيَّة تصرفاته في الْمجتمع . فالْمدمن يَخرج عادةً (قد تكون هناك استثناءات) من عائلة غيرِ ثابتة وناقصة أو منقسمة.

إن المخدرات لا تدخل في حياة الشخص فَجْأَةً كما يظهر مثلاً شعاعُ ضَوْء في سَماء صافية، ولكنها تكون مثلَ الحبة الْخَبيثة التي تَضرِب بِجذورها في حَقْلٍ مُعَدٍّ مسبقًا من مُدَّة طويلة. وكما تؤَكِّد وثيقة من التعليم الكَنَسي، فإن المدمن هو أساسًا "مريض بنقص الْمحبة"، فهو لَمَ يَعرف الحب ولا يَعرف أن يُحِبَّ بالطريقة السليمة لأنه هو نفسَه لَمَ يُحَبَّ بطريقة سليمة [٩٤].

٣) الْمجتمع كعاملٍ مُؤَدٍ لزيادة الإستهلاك

٩٤- نفس المرجع.

إن الإدمان هو مؤَشِّـــر للحالة الفِعلية للمجتمع. يعيش الفرد اليوم، وكذلك العائلة، في مُجتمع "سَـــلْبِي"، أيْ أنه مُجتمع ليسـت لديه مِثاليات، وهو إباحي، ومتعَلْمِن، حَيْثُ البحثُ عن وسـائلَ لِلهروب يُعَبَّر عنه بطُرُق عديدة؛ ويشَـكِّل الْهروب بواسـطة المخدرات واحدة منها. لقد خَلق مُجتمعنا المعاصـر ظُروفًا مُؤَاتية لأنْ تَصـير ظاهرة تَعاطي المخدرات عِبارة عن "ثقافة" عَمَلية (قد يكون من الأفضـل أن نسـمِّيَها "ثقافةً منحدِرة"). وبالفعل نَجد أن تعاطي المخدرات يسـير في خطٍ متَّسِقٍ مع مظاهرَ أخرَى خاصة بزمنِنا هذا، ألا وهي:

- البحث المتواصل عن المتعة.
- الأنانية المفرِطة، بِجميع مظاهرها.
- عدم احتمال الألَم، والإحباط.
- نقص الفضائل.
- المادِّيَّة الإستهلاكية.
- عدم النُّضج الكافي، وهو يَتزايد عند البالغين.
- **انِحلال النَّواة العائلية.**

لقد خَلقَت تِلك السِّـماتُ الْمُميِّزة لِنِهاية القرن العشـرين حالةً من الفَراغ والطَّيْش والتَّعَب النفسـانِي جعلت غَريزة البَقاء الروحية تَبحث بطريقة يائسة عن مَخارجَ بَديلة. لقد أشارت منظَّمة الصحة العالَمية إلى الأسباب التِي تَدفع إلى البَدْء في تَعاطي بعض المخدِّرات الخفيفة (مثل الماريـــجْوانا). ومن بين تلك الأسباب نَجد: الفُضول لِمَعرفة الآثار والأحاسيس الناتِجة عن الْمخدرات، والحصـول على مُتعة الإنتماء إلى مَجموعة معيَّنة ونَيْل رضَـى أفرادِها، والتعبير عن الإسـتقلال أو حتى العَداء ، واختبار أشـياءَ جديدة مُمتِعة أو خطِرة (الإنْجذاب إلى مواقفَ الْمخاطَرة)، واكتسـاب مَقْدِرة خلاَّقة أكثر مِن ذي قَبل، والدخول بطريقة أسهل في حالة من الأحلام أو الإنْخطاف والْهُروب من مُشكلة ما.

٤) العَواقِب الرئيسية للمخدِّرات

إن المخدِّرات تُسـبِّب عَواقبَ وخيمة لضـحاياها. وكثيرٌ مِن تلك العَواقب يكون غير مُتَوَقَّعًا البَتَّة ؛ ولكنْ من بين العَواقب الأكثر انتشارًا يُمكننا أن نُشير إلى:

أ) تغييرات في تَكوين الشخصية: تَحُطُّ من شَأن الشخص، فيَفقِد مفهوم القِيَم الأخلاقية، ويفقد تدريجيًّا الإهتمام بالأُمور الثقافية والْمِهنية، وتتلاشَى لَدَيْه كلُّ مَقدرة على بَذْل أو تَلَقِّي العاطفة (إذْ أنَّ الآخَرين لا تصير لَهم أهَمِّيّة بالنسبة له إلا بقَدْر كَوْنِهم مُفيدين لإمداده بِكَمٍّ أكبرَ مِن المخدِّر) ، ثُم تَصـير الأُكذوبة مَسْـلَكًا عاديًّا، ويَفقد ذلك الشـخص معنَى الْمَسؤولية، ويفقد معنى الحياة.

ب) تغييرات في السُّلوك داخلَ العائلة: فيَنعَزِل الأبناء عن والديهم (مثلاً: يعيشون حَبيسين فِي غُرَفِهم أو يتعاملون فقط مع مَجموعات مغلَقة من الأصدقاء)، ويكتسبون تصرُّفات غاضبة يليها فُقْدان تَدْريجي للإحترام للأبوين.

ج) اِختلال في مَجال الدراسة والعمل: فقدان معنَى الدراسة والعمل، تَناقُص الدَّخْل، إهْمال تلك الأنشطة تَمامًا.

د) فساد اِجتماعي: اِنْحراف ودَعارة من أجل الْحُصول على الْمال أو نتيجةً للبيئة التي يُخالِطها؛ مُحاولات انتحار (تَبيَّن أنَّ ١ من كلّ ٢٥ مدمنًا للخُمور يُحاول الاِنتحار ولَوْ مرَّةً واحدة خِلال حياته؛ ويكون الوَضع أكثر خطورة بالنسبة للمخدِّرات الكيميائية).

هـ) مشاكل جِسميَّة: تَصلُّب الشرايين، تَليُّف الكَبِد، اِكتِئاب، سوء تَغذية، هِرْپِسْ، الفَيْروس الكَبِدي ب، الإيدْز، السُّلّ، إلخ .

و) اضطرابات عَقلية: يُمكن للمخدِّرات أن تُسهِّل ظهور حالات القَلَق والأمراض النفسية الْمُزْمنة (خُصوصًا في حالة تَعاطي المخدِّرات التي تسبِّب الْهَلْوَسة والْهَذَيان) والاِضطرابات العَقلية كانفِصام الشخصية.

٢- مَوْقف الأهل من الأبناء مُتَعاطي المخدِّرات [٩٥]

لا شَك أن ذلك التَّهديد يسبِّب قَلَقًا شديدًا لقلوب الأهل الذين لَديهم أبناء بَدؤوا بالفعل في تعاطي المخدِّرات، أو الذين يَخشون أن يَنجَرِف أولادهم في هذا الطريق الذي لا رَجعَة منه . ماذا يُمكنهم أن يفعلوا عندما يتعاطَى الأبناء المخدِّرات، وماذا يصنعون كي يَمنعوا أولئك الذين لَمَ يبدأوا بَعد مِن الاِنزلاق في هذا الطريق؟ فيما يلي بعض النصائح الْمُوجِّهة .

١) عندما يكتشف الأهل أنَّ أحدَ الأبناء يتعاطَى المخدِّرات

أحيانًا يكون من العَسير جدًّا على الأهل مواجَهة المشكلة، لأن الأبناء عادة ما يُنكرون الواقع بكل الطُّرق، وهم لا يَجدون صعوبة في الكَذِب: فهذا جُزء من العقلية التي تَخلِقها التَّبَعِية للمخدِّرات. ومع ذلك، فإنه عند وجود شُكوك، فعادةً ما يَصل الأهل سريعًا إلى التأكُّد مِمَّا إذا كان لَدَيْهم اِبن مدمن أم لا. ما العمل إذًا في هذه الحالة؟

قبلَ أيِّ شيء، مِن المهمّ جدًا أن يكون **الْمَناخ العائلي** عندئذ على أكبر قَدْر مُمكنٍ من الصَّفاء والسَّكينة، وأن يتجنَّب الأهل التصرُّفات العَدائية. فلا يَصلُح أن يَبدؤوا في رَدِّ الاِتِّهامات والشَّكْوَى والاِنتقاد. عادة ما يقود هذا إلى عَداءٍ متبادَل من الأبناء.

يَجب على الأهل أن يتحاوروا بِجِدِّية مع الاِبن، جاعِلينَه يَصل إلى الثقة في أَبَوَيْه لا إلى الخوف. هذا لا يَعني أنه يَجب عليهما أن يتَّخذا موقفًا متهاوِنًا فيما يَختَص بِموضوع المخدِّرات. بل على العَكس فإن التفاهم لا يَجب أن يصاحبَه أَدْنَى قَدْر من التَّرخيص بالمخدِّرات. يجب عليهما أن يكونا متفاهمَيْن إلى أقصَى درجة مع الشخص نفسه، ولكنْ أنْ يكونا في الوقت نفسه قاطعَيْن بالنسبة لضرورة ألاَّ يعود إلى تَعاطي المخدِّرات.

٩٥- مِنْ كتاب *أولادك والمخدِّرات*، **اكيلينو بُويْنو لورِنْتي و خافْيير دي لاسْ هِيراسْ**، إصدار ملوك الكتْتب، لِشْبونة ١٩٩٤.

إنه لَعَلَى درجة كبيرة من الأهمية أن **يكتشف** الابن **الخطورة** التي تَحتَويها مشكلته، سواءً بالنسبة له أو بالنسبة للآخرين، وكذلك العَواقب التي قد تترتَّب على ذلك في المستقبل في حالة عدم تغييرِه لسلوكِه.

ما هي أفضل طريقة لِمساعدته؟ إنه لَمِن الْمناسب أن نشرح له التطَوُّر الْمحتمَل للوَضع الذي أَوجد نفسه فيه وذلك حتى نُجَنِّبه، بأكبر قَدْر مُمكن من السرعة، العَواقب التي تنتظره. أفضل شيء هو أن **يَعِيَ الابن أنَّ الْمشكلة تَخُصُّه هو**. يستطيع الأبَوان فقط أن يُتيحا للابن الوسائل التي تُسهِّل للابن له طريق العَودة، وأن يساعداه ويُساندا؛ ولكنْ من الضروري فوق كل شيء أن يتَّخذ الْمُدمن نفسه القرار الشخصي بتَرْك المخدِّرات.

يَجب أن نَنتبه إلى أنَّ الْمدمن تَتصارع في داخله مَشاعرَ من العَجْز والفَشَل والإحساس بالذَّنْب والإحباط، وتَجعله كل هذه الأشياء يفَكِّر أن مشكلته لا حلَّ لَها. ولذلك فإن حالات الإكتئاب تكون شائعة، وتُصاحبها مُحاولات للإنتحار. هنا يكون الدور الأبَوي مُهِمًّا لِحَثِّ الابن على المثابَرة في الصراع.

عاقبةٌ من العواقب الأكثر شُيوعًا لإدمان المخدِّرات أيضًا هي **عدم الْمَقْدِرة على تقدير قيمة الْحياة**. فتظهر الحياة كما لو كانت لا تستحقُّ الإهتمام. ويؤدِّي هذا إلى أن يشعر المدمنون بفَراغ داخلي عميق. وهنا يكون على الأهل أن يساعدوهم على العَوْدة إلى التَّمتُّع بِمَظاهر الحياة الْمُبْهِجة من خلال مَناخ عائلي مَمْلوء بالعاطفة، خاصَّة بكلامهم عن الله مع الأبناء. فالْمدمن يَجب عليه أن يبحث في الله عمَّا كان يبحث عنه في المخدِّرات. وكذلك يَجب عليه أن يَملأ الفَراغ الروحي الموجود في داخله بِمحبة الله. في هذه الحالة تكون أفضل مساعدة مُمكنة له هي تَقْريبه من الكنيسة.

وأخيرًا فإنَّ الشيء الأكثر أهَمِّية هو ألاَّ يُفقَد الرجاء في الله. فعندما نَجد أنفسنا أمام مشاكل تَبدو مستحيلة يَجب علينا حينَئذ أن نقول: *ليس شيء غير مستطاع لَدَى الله* (لو ١/٣٧). إن الخطر الأعظم الذي يواجِه الأبناء هو، بلا شَك، يأسُ أبوَيه نفسهما.

٢) ماذا يَجب على الأهل أن يفعلوا ليتجنَّبوا تعاطي الأبناء للمخدِّرات؟

ما الذي يَجب فعلُه حتى لا يبحث الأبناء عن المخدِّرات؟ كيف نَحميهم منها؟ إن الحِماية الْمُثْلَى تَكْمن في مناخ عائلي جيد. ولذلك يَجب تَجَنُّب الأشياء التي تُعطي الإستعداد، بطريقة مباشِرة أو غير مباشرة، للُّجوء إلَى تَعاطي الْمخدرات. مَثَلاً:

- عَدَمَ تَخصيص وقت كافٍ من قِبَل الأبوَين.
- المعاملة السيِّئة.
- الإنفصال والطلاق.
- تَعاطي الأهل الْخُمور.
- الإهتمام المبالَغ فيه للحُصول على المال، والْحديث فقط أو بطريقة شِبْهِ حَصريَّة عن المال والمشاكل المادِّية.
- خصوصًا غِياب الممارَسات الدينية في العائلة.

إلى جانب هذا، يَجب على الأهل أن يُتيحوا لأبنائهم جَوًّا لا يكون تعاطي المخدِّرات فيه شـــيئًا عاديًّا. ولا يكون ذلك شيئًا سـهلاً دائمًا في بعض الْمجتمعات، حيث تكون المخدرات شـائعة في المدرسـة والشـارع والْجامعة والعمل، إلخ. ولكـــــن على الأقل يَجب أن يُتيحوا للأبناء وسيلة سـهْلة لِممارسـة الرياضـة والدراسـة والاِتِّصـال بالطبيعة (البحر، الْجِبال، الرِّيف) وخصوصًا الأنشطة الدينية.

وأيضًا يكون من الضروري إعطاءُ الأبناء الْمِثال الشخصي الصَّالِح للحياة، وتربيتُهم على العادات الصالِحة: فيما يَخْتَصُّ:

- بقيمة الاِجتهاد الشخصي، واحترام الْمَرْءِ لنفسه وللآخَرين.
- بالمثابَرة فِي قُوَّة الإرادة .
- بالْمعنَى الْحقيقي للألَم .
- بالاِهتمام بالعمل وبالثقافة .
- بالثقة في العِناية الإلَهية .
- بالإخلاص لِمَن نُحبُّهم .
- بالوَفاء بالواجبات الشخصية .
- بِمعنى المسؤولية .
- بالقِيَم الروحية.

وأخيرًا، فإن أهم شيء هو الصلاة المشترَكة، أيْ داخلَ العائلة، صلاة الزوج مع الزوجة ومع الأبناء. وأفضل شيء يُمْكن القيام به هو صـــلاة الْمَسْـــبَحة الوردية في العائلة و قراءة الإنْجيل والدُّعاء لله عند تناول الطعام والذهاب إلى القُدَّاس معًا، إلخ.

ما لا يستطيعه البَشَر، فالله يَقدر أن يَعملَه.

الفصل الرابع عشر

اِعتداء الإباحية *

من بين الْمَشاكل الأكثر خُطورة التي تُوَاجِه العائلة اليوم – وخاصَّةً الشباب والأطفال – نَذْكُر الإباحيَّة والغِياب شِبْهِ الكامل للحِشْمة والْحَياء. فهي تَغْزوهم من خِلال التليفزيون والْمَجَلاَّت والراديو والشارع، إلخ...، وتُسبِّب عَواقبَ مُدَمِّرة للشخصية البشَرية وللتَّوازُن النفْسانِي والأخلاقي للرجل والمرأة.

١– ما هي الإِباحِيَّة؟

قديمًا كانت الإباحِيَّة تَعني "الترْويج للدَّعارة". والاِستخدام الْمألوف يطَبِّق هذا التعبير على أيّ تَفاخُر بالْجِنْس من خلال الرُّسومات أو الصُّوَر أو الْمَشاهد، إلخ. ومن الشائع أن يقال أيضًا أنه "أَدَبُ الاِنْحِراف الْجنسي"، إذْ أنَّ الإباحية تُغَذِّي مُختلَف الانْحرافات الجنسية مثل الاِستِعراض الْمُفَصَّل، الْمُشاهدة الْمَدفوعة، تبادُل الزوْجات، اِستغلال الأطفال، الشُّذوذ الْجنسي (الْمَثَلِيَّة)، مُمارسة الْجنس مع جُثَّة؛ إلى حَدِّ وجود إباحيةٍ متخصِّصة (مُؤَلَّفات، مَجَلات، أفلام، فيديو، ومَنشورات) لكل نَوْع من تلك الأنواع.

الإباحية هي مشكلة هَوَس حول الأعضاء التناسُلِيَّة البشرية. وهي ظاهرة تؤَثِّر (بطريقة فَوْضَوِية) على الْمُيول الْحَيَوانية أساسًا لَدَى الإنسان، فتَحْصُر الواقع الإنساني وتُخْضِع الإنسان بكامِلِه تَحت الناحية الحيوانية فيه.

واليوم تَنتشر الإباحية من خلال كل القنوات الدِّعائية الْمُتاحَة:

– الأَدَب الإباحي: بواسِطة الكتب، والْمَجلات، وخاصة الْمَجَلاَّت الإباحية، وكذلك الْمَجلات التي تَدَّعي أنَّها تربَوِية ولكنها خاضعة لِعَقلية مادِّية وجنسية (خصوصًا الإعلانات الموجهة للمرأة والموضة والتربية من الأبَوَيْن والطِّب، إلخ.).

– الموسيقَى والرقص اللَّذان يُعبَّر عنهما إلى درجة كبيرة من خلال حركات وإشارات حِسِّيَّة أو جِنسية.
– الفُنون التَّصْويرية مثل التصوير والرَّسم.
– السينما والتليفزيون والفيديو.
– خدمة الْهاتف.
– شبكة الْمعلومات (الحاسِب): لا تُخْفَى على أحدٍ مشكلة غَزْوِ الإباحية لبَرامج الْحاسب وللشبكة العالَمية (الإنترنت) ، إلخ. ومِما يُذكر أيضًا وجود الإباحية الْمُتاحة من خلال النَوادي الْمُوَصِّلة بالشبكة الدولية الإلِكتْرونية (cybernetica)، وكذلك الجنس التَّخَيُّليّ.

* الإباحية: la pornografía.

– وللأسف يَجب أن نضيف أيضًا المناهج المدرسية المختلفة الْمُسَمَّاة "بالتربوية" والتي تَدَّعي تَعليم الأطفال والشباب "التربية الجنسية" ويكون مُعْظَمها إباحيًّا بدرجة واضحة.

٢– مضمون الإباحية

إن الإباحية التي تُطارِد الأطفال والرجال والنساء في عَصرنا هذا تَحتَوي على مضمون مزدَوَج: إنَّها توصِّل "رسائِلَ" وتَسْعَى لِتَرْويج عَدْوَى "تَصَرُّفات" بِعَيْنِها:

الرسالة التي توَصِّلها بسيطة جدًا: إنَّ السعادة الوحيدة تَكْمُن في الْجنس؛ والشرَّ الوحيد يَنحصِر في كَبْتِ الجنس؛ وإنَّ الحب هو شيء مادِّيٌّ وجِسمانِي خالِصٌ؛ وإنَّ الطُّرُق المختلفة لِممارسة الجنس ليست إلا اختيارات شخصية حُرَّة، وكلُّها صالحة بنفس الدرجة.

التَّصَرُّفات التي تَنشُرها هي التي تُجسِّد هذا المفهوم الفكري عن الجنس لأجل الجنس: الزِّنَى، الدَّعارَة، الْمُعاشَرة قبلَ الزَّواج وخارجَ الزواج، مُمارَسة العادة السِّرِّيَّة، العَلاقات الْجِنسية للمَثلِيِّين، السادِيَّة – الماسوشِيَّة (مُتعة تعذيب الآخَرين أو تعذيب الذَّات)، واغتصاب الأطفال صغيري السِّن، إلخ.

٣– ما هو تأثيرها؟

إن تأثير الإباحية على الحالة النفسية وعلى الْمفهوم الأخلاقي لَدَى الإنسان هو بلا شك تأثيرٌ مدَمِّرٌ وذو عواقبَ وخيمةً على العائلة والزواج والأبناء والْمجتمع. من بين التأثيرات الأكثر أهميةً يَجب أن نَذكُر:

١) إنَّها تؤَدِّي إلى فُقدان الحساسية تُجاه التَّصَرُّفات الْمُنحرِفة؛ وهكذا مثلاً، فقد ثَبُتَ فُقدانُ الحساسيَّة – سَواء لَدَى الرجال أو النساء – تُجاه ظاهرة الاِغتصاب وحِيالَ حالة الضحيَّة المغتصَبة، وكذلك عَدَمُ الحساسية تُجاه الشُّذوذ الجنسي واغتصاب الأطفال، إلخ.

٢) وهي لا تُؤَدِّي فقط إلى عدم الحساسية بل إنَّها تؤدي إلى زيادة الاِهتمام الْمَرَضي بالاِنْحرافات الجنسية .

٣) تَزيد من العَداوة والعُنف الشخصي والاِجتماعي، وخصوصًا داخلَ النَّشاط الجنسي نفسِه. ويبدأ الأَفراد الْمُوالون للإباحية رُوَيْدًا رُوَيْدًا في فُقدان الاِهتمام بِما يُسمَّى بالإباحية الناعِمة أو البسيطة (soft) (أيْ بدون عنف)، ويأخذون في الاِحتياج إلى الإباحية القَوية (hard)، القاسية والعَنيفة للوُصول إلى نفس الْمُسْتَوَى من الإثارة التي كانوا يَشعرون بِها من قَبْلُ. نَجِدُ درسًا مُثيرًا للأَسَى فيما حَدث لِ**تِيُودور روبِرْت بوندي**، الذي كان شابًّا من عائلة عادِيَّة وحَصَلَ على شَهادة جامِعية في عِلْم النفس والْمُحاماة وكانت له خطَوات واعدة على الصَّعيد الوَظيفي والسياسي؛ ولكنَّه وصل يوم ٢٤ يناير ١٩٨٩ إلى الاِعدام بالكُرسي الكَهْرُبائي في سِجْن وِلاية فْلوريدا، تاركًا وراءَه ٣١ امرأةً مقتولة ومُغتصَبة بعد أن عَذَّبَهنَّ تعذيبًا وحشيًّا. لقد صرَّح قبل مُواجَهة الموت بتَصْريحات لا يَجب أن تُنسَى أبدًا، فقال: "عِنْدَ بُلوغي الثانية أو الثالثة عشر عامًا، عَثَرْت على مادَّة إباحية في الْمَحَلاَّت وصِرت من المدمِنين الشَّديدين لَها. وبينما كُنت أكبَرُ في السِّن جعلني

هذا الإدمان أستهلكُ مَوادَّ تؤدّي إلى العنف الجنسي. وأخيرًا جاء الوقت الذي لم يَعُد يُشبعني أيُّ شيء مِما أرى. وفكَّرت في هذا كلِّه طَوالَ عام كامل تقريبًا ... حينَئذ قرَّرت أن أَقْفِز القَفْزة الْمَأْساوية لقَتْل امرأة. لم أستطِعْ أن أصدِّق ما فعلْت ... ووقعتُ في حالة من الإكتئاب طَوالَ الستة أشهر التالية... ثم اختفَى هذا الشعور. وعاد إلَيَّ جُنون الجنس وقتلْت من جديد... في هذه الْمَرَّة كان النَّدَم أقَلَّ ... إنكم ستَقتُلونني وهذا سيُخَلِّص الْمجتمع مِنِّي. ولكنْ هناكَ في الخارج يُوجَد أُناس كثيرون مُدْمِنون للإباحية وأنتم لا تفعلون شيئًا".

٤) كما تؤَثِّر الإباحية البسيطة على الزواج، فتؤدِّي إلى عدم الرِّضى الجنسي عند الرجال والنساء على السواء، ويَجعلهم هذا غير راضين عن التَّصرُّف الجنسي وكذلك عن الْمَظهر الخارجي للطرَف الآخَر؛ كما تؤدِّي إلى احتقار وفُقدان قيمة الزواج بشخصٍ واحد، وإلى عَدَم الثقة بدَوام الزواج كمُؤسَّسة قائمة مَدَى الحياة.

٥) قد تؤدِّي في كثير من الأحيان إلى الإنتحار. أكَّدَت استخبارات قام بِها جِهاز المخابَرات الأمريكي FBI أنَّ كثيرًا من الْمجلاَّت الداعية للإباحيَّة تتحوَّل إلى وسيلة تَقود لما يُسمَّى بـ "قَتْل الذَّات بالشَّهْوة"، خُصوصًا لَدَى المراهقين.

٤- الحكم الأخلاقي والنفساني على الإباحية

مِن وَجْهة النظر الأخلاقية يَجب أن نَذْكر بطريقة قاطِعة أنَّها فاسِدة. فالتصرُّفات المتعلِّقة بالجنس والتي تُحرِّكها الْمَناظر الإباحية تَحُطُّ تَمامًا مِن شَأْن الإنسان كَكُل ، كما تَحُطُّ من شَأْن مُيولِه الطبيعية وَوَظائفه وغاياته المادِّيَّة والروحية. إن الإباحية هي شيءٌ فاسد لإنَّها تَتمثَّل في نَشْر مِثل تلك التصرُّفات وفي إيقاظ الغرائزِ الدَّنيئة والإيعاز بالخطيئة وإفساد الحِشمة والْحَياء بطريقة مباشِرة، كما تَقود إلى الشَّهْوانية. كان أَحَدُ الْمحلِّلين النفسانيين على حَقٍّ حين وَصَفَ مُرَوِّجي الإباحية بأنَّهم "صُنَّاع القَلَق". إن الأمر يَتَعلق بِخطيئة تُسَبِّب تَشَكُّكًا كبيرًا.

وأخيرًا، فإن الإباحية هي فاسِدة بسبب العَواقِب والتَّأثيرات التي تُسَبِّبها للفَرْد وللعائلة وللمُجتمع. إنَّها جُزء من ذلك البِناء الذي نُسَمِّيه "حَضارة الموت" التي يَتَّصِف بِها مُجتمعُنا الْمُعاصِر.

أمَّا مِن وَجْهة النَّظَر النَّفسانية فيجب أن نَذْكُر أنَّ الإباحية تُقَدِّم وتُنَمِّي مِثالاً بَشَريًّا هو، في العُمْق، مِثالٌ لإنسان مَريض، لأنه يكون:

– كائنًا بَشريًا مُستغِلاً وغيرَ اجتماعي: فهو لا يُحِب ولكنه يَستخدم. ويَفترِض ذلك وُجود نَوْعٍ مِن الإحتقار أو نَقْص الإحترام الدَّائم واعتبار "الآخَر" كمادَّة أو كشيء لا كإنسان.

– كائنًا بشريًّا مُضادًّا للجنس. فالْمَجلاَّت الجنسية هي بالفعل مُناهِضة للجنس لأنَّها في الواقع تُمَيِّع وتَمْحو الحقيقة بِخصوص الجنس.

– كائنًا بَشريًّا مَريضًا عَصَبيًّا، ويَحْتَوي على قَدْر من الْخُطورة كامنةً في داخلِه : فهو يكون ناضجًا بِيولوجيًّا ومُتَأَخِّرًا عاطفيًّا. والْمَيْل الإباحي إلى الشهوة يَحتوي في داخله على أنانيَّة سافِرة. والشَّخص الأنانِي – أي الذي يَهُمُّه فقط ذاتَه وراحته والذي يكون على استعداد لِتَدْمير كلِّ ما يُعارِضه – هو شخص تَكْمُنْ فيه القُدْرة على أنْ يكون خَطِرًا.

– كائنًا بشريًّا مُحْبَطًا. إن الإباحية هي غِذاء الشخص الْمُحْبَط، أيْ الرَّجل أو المرأة اللَّذَيْن اختبَرا الْحُبَّ الحقيقي والجنس الحقيقي كخِبْرةٍ مُحْبِطَة. ولذلك تَصير البَدائل الجنسية التي تُوَفِّرها لهما الإباحية وسائلَ هُروب وطُرُق لِيُجَرِّبا حَظَّهما مِن جَديد.

– كائنًا بَشريًّا فاسدًا من الناحية النَّفسانيَّة (على الأقل بالْمَقْدِرة).

٥– ضَرورة الطَّهارة

أمام كلِّ ذلك، ماذا يَجب علينا أن نفعل؟ يَجب أن نَحيا حياة الطَّهارة والعفَّة. نقول عن شيء أنه طاهر عندما لا يَحتوي على أيَّة بُقْعة. ولذلك نقول: هذا "ماء طاهر" أو "ذَهَب خالص" أو "سَماء صافية". وعندما يَختلط شيء بِما هو أَقَلُّ منه جَوْدةً فحينئذ يُقال أن هذا الشيء ليس "طاهرًا" أو ليس "خالصًا" . فالذهب يكون غَيْرَ خالصٍ – غير طاهرٍ– عندما يَختلط بِمَعْدَن آخَر أقلَّ جَوْدة منه؛ ويكون الماء مُلَوَّثًا – أي غير طاهرٍ– عندما يَحتوي على شَوائبَ، وتكون السماء غَيْرَ صافية – أي غير طاهرة– عندما تُظْلِم من جَرَّاء دُخان الْمَصانع . ويَصير الإنسان غير طاهر عندما يُصْبِحُ كالحيوان، وخاصةً عندما يستخدم الجنس في غير الغاية التي يأمر بِها الله، وإنَّما يستخدمه فقط مثل الحيوانات.

لا غِنَى ولا بديل عن الطهارة لِدخول السماء. فأَنْ نَحيا أحدٌ طاهرًا مَعْناه أن يَحْيا عَفيفًا. لماذا يَجب أن نَحيا الشخص طاهرًا؟ لِكثيرٍ من الأسباب:

- لأنَّ جَسَدَنا هو للرب.
- لأنَّ جَسدنا مَصيرُه مُتَّجِهٌ نَحْو القيامة.
- لأنَّ جسدنا هو عُضْوٌ من أَعْضاء المسيح.
- لأنَّ جسدنا هو هَيكلُ الرَّوح القُدُس .
- لأننا لا نَمْتَلك أنفسَنا، إنَّما قد اُشْتُرينا بثَمَنٍ.

كلُّ هذه الأسباب تُوجد في تَعليم القديس بولس: أمَّا الجسد فليس للزِّنَى، بل هو للرب والربُّ للجسد. وإن الله الذي أقام الربَّ سيُقيمُنا نَحن أيضًا بقُدْرته. أَما تَعْلمون أن أجسادكم هي أعْضاء المسيح؟ أفآخُذ أعضاء المسيح وأجعل منها أعضاءَ بَغِيٍّ؟ مَعاذَ الله! أَوْ ما تَعْلمون أنَّ مَن اتَّحد ببَغِيٍّ صار وإيَّاها جسدًا واحدًا ؟ فإنه قيل: "يَصير كِلاهُما جسدًا واحدًا . ومن اتَّحد بالرَّب فقد صار وإياه رُوحًا واحدًا. اُهْرُبوا من الزِّنَى، فكلُّ خطيئة يَرْتَكبها الإنسان هي خارجة عن جسده، أمَّا الزانِي فهو يَخْطأ إلى جسده. أو ما تَعْلمون أن أجسادَكم هي هيكل الروح القدس وهو فيكم قد نِلْتُموه من الله، وأنَّكم لَسْتم لِأنفسكم؟ فقد اُشْتُريتم وأُدِّيَ الثَّمَن: فَمجِّدوا الله إذًا بأجسادكم (١ كور ٦/١٣–٢٠).

يَجب أنْ نُصارِع ضِدَّ التجارب، فالله لا يُرسِل أشياءَ مستحيلة. فَإذا أعطانا وَصِيَّةً – لا تَزْنِ –، فهذا يَعْني أنَّ هذه الوَصِيَّة يُمْكن تَحقيقُها. ما هي الوسائل إذًا؟

أولاً: أنْ تَظَلَّ ثابتًا أمام التجارب. "الشُّعور بالتجربة لا يَعْني الرُّضوخ لَها". كُنْ واثقًا مِن أنَّك تَقدر أنْ تَغْلِبَها.

ثانيًا: حَوِّل اِنْتِباهك فَوْرًا إلى شيء آخَرَ عندما تَبدأ التجارب: أَبْعِد الأفكار السَّيِّئة "مُستبدِلاً إياها" بأُخْرَى صالِحة، ووَجِّه اِنتباهك إلى مَوْضوعٍ آخَرَ صالِحٍ وجذَّاب (يَتِمُّ إخْراجُ مِسْمار بواسطة مِسْمارٍ آخَرَ)، واسْتَرْخِ (قُم بِنُزْهة في الْهواء الطَّلْق، إلخ.).

ثالثًا: اِسْهَرْ لِئَلاَّ تَضَع نفسك عُرْضَةً للتجربة. إن فُرَصَ الخطيئة هي التِّي عادةً ما تَدْفع للخطيئة.

رابعًا: قُمْ بأعمال إماتة: تَعَلَّم كيف تَحْرِم نفسك مِن أشياءَ تُعجِبك وتكون مُشْروعة، أيْ أنْ تُضَحِّي بِها، فإن هذا يساعد على أن يَتعلَّم الْمَرْء "ضبطَ النفس" فيما يَتعلَّق برَغَباته ومُيوله وشَهَواته.

خامسًا: اِعْتَنِ بالْحِشْمَة، أيْ فِطْنَة العِفَّة، فهي تَستشعر الْخَطر وتَمْنعك من التَّعَرُّض له وتُجَنِّبك فُرَصَ الخطيئة.

سادسًا: الصَّلاة: إنَّ العِفة هي عَطِيَّة مِن الله يَجب أن تَطْلُبها. إن التَّقْوَى للعَذْراء مريم خُصوصًا تساعد كثيرًا في هذا الْمَجَال.

سابعًا: سِرُّ الإعتراف: إنَّ الإعتراف على فَتَرات مُتَقاربة يُقَوِّي النفس ويَمْحو آثار الخطايا السابقة ويساعد على أن تَصير قَويًّا أمام التجارب القادمة.

ثامنًا: الإفْخارِسْتيًّا: إذا استَقبلناها ونَحن في حالة النِّعمة فهي تَمْنحنا وَحْدةً تامَّةً مع المسيح. "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يُقيم فيَّ وأنا أُقيم فيه" (يو ٦/٥٧).

تاسعًا: من الْمُهِمّ أيضًا – من وَجْهة النَّظر الطبيعية الخالصة – الْمحافَظة على حالة جسدية سليمة ونظيفة، والْحُصول على تَغْذية مُتَّزنة ومُمارسة الرياضة البَدَنية بانتظام، وكذلك نَوال قِسْطٍ كافٍ من الراحة.

إذا أُخذ هذا كلُّه في الإعتبار فإن العفة تكون عندئذ مُمْكنة، وكذلك يكون مِنَ الْمُمكن الإقتداء بيسوع المسيح الذي كان عفيفًا ومتواضعَ القلب.

الفصل الخامس عشر

الطَّــلاق [٩٦]

١- الطلاق القاطع *

هناك واقعان متشابِهان ولكنهما مُختلفان الواحد عن الآخَر جَوْهريًّا ، أَلا وهُما: اِنفصال الزوجَين والطلاق القاطع.

١) اِنفصال الزَّوجَين

وَيتمثَّل، كما يُشـــير اسْمُه، إلى أنْ يَكُفَّ الزوجان عن العَيْش مع بعضِـــهما البَعْضُ، ولكنَّهما يَعترفان بأنَّ الزواج عندما احتُفِل به شَـرعيًّا فإنه حينَئذ قد خَلق رِباطًا بينهما لا يُمكن كسرُه في هذا العالَمِ إلا بالْمَوت. ولذلك فإن الاِنفصـال لا يَجعلُهما أحرارًا لعَقْد زواج آخَر. إن الاِنفصال بِحَدِّ ذاته لا يُشكِّل حلاًّ لأيَّة مُشكلةٍ عائلية أو خاصَّة بالزواج نفسه. وقد يُمثِّل في بعض الحالات القُصْوَى قرارًا مَشروعًا وسليمًا، ولكنْ ذلك يكون في ظروف مَحدودة للغاية، وفقط عندما يَصير هو الطريقة الوحيدة للحِفاظ على خَير الأبناء أو أحدِ الزوجين. ولكنه ليس الْحلَّ، ويَجب دائمًا مُحاولة إيـــــجاد طُرُق أخرى لإعادة بِناء الزواج الْمُتَزَعزِع.

٢) الطلاق القاطع

إنَّ الطلاق القاطع، على العكس مِمَّا ذَكَرنا، هو الزَّعْم بأن الزواج الذي تَمَّ بطريقة شَـرْعية، يُمكن أن يُفَكَّ بواسـطة سُـلطة بَشـرية أو لِمُجَرَّد اِتِّباع نَزْوة أو قرار الزوجين، فيَنكسـر حينئذ الرِّباط الذي كان يُوَحِّدهما ليَصـيرا بذلك حُرَّيْن لكي "يَصنَعا حياتَهما من جديد" مع رجل جديد أو مع امرأة جديدة.

لقد تسبَّبت هذه الظاهرة داخلَ الْمجتمع في إيـجاد أَعْدادٍ من الرجال والنِّساء الْمطلَّقين والذين عاوَدوا الزواج، ثُمَّ عاوَدوا الطلاق ثُمَّ الزواج مرةً ثالثة ورابعة؛ وكذلك أَدَّتْ إلى إيـــجاد أبناءٍ يعيشون مع والدِهم وزوجتِه الجديدة وهي ليست أُمَّهم، أو يعيشـون مع والدتِهم وزوجِها الجديد (الثانِي أو الثالث) وهو ليس أباهم... ببسـاطة لَمْ يَعُد لِهؤلاء الأولاد أبٌ وأمٌّ وإنَّما رابٌّ أو رابَّةٌ (أيْ زوجُ الأمِّ أو زوجة الأب) وإخوة وأخوات غيرُ أَشِقَّاء، إلخ . سنكتفي فقط بذِكْر عَواقبَ ذلك الواقع الأليم، إذ أَنَّها كافية للاِفصاح عن مدى فَداحتِه. مِن ثِمارهم تَعرِفونَهم.

٢- عَواقبُ الطلاق

إن إدخالَ الطلاق إلى الحياة هو عملٌ من أعمال الأنانيَّة البشرية التِي تَتَنَكَّر للخَير العام كَيْ تَخْدُم نَزَوات الزوجَين وعَدَمَ تَوافُقِهما. ومِثْلُه مِثْلُ كلِّ عملٍ من أعمال الأنانية، فإنَّ الطلاق تَكون له ثِمارٌ مُدَمِّرة. لِنرَ بعضًا منها:

٩٦- البيانات مأخوذة من هـ. بـ. بتروتشيللي، *الطلاق*، السكرتارية الدائمة للعائلة، بيونس آيرس، ١٩٨٤.

* القاطع : الذي يَكسِر رِباطَ الزواج.

١) الطلاق يُوَلِّد حالاتِ طلاق أُخْرَى

ذلك الواقعُ يُمكن ملاحظتُه بسُهولة وكذلك تَفسيرُه. إن إمكانية كَسْر الرِّباط الزوجي تُؤَدِّي إلى رُعونة أكثرَ حين يُفَكِّران- قبل اتِّخاذ القَرارِ الخاطِئ- فيما يَتعلَّق بعَواقبِهِ. إننا إذا ذهبْنا إلى مَحَلِّ (حانوت) لشِـــراء شـــيءٍ ما وَوَجدنا لافِتة مكتوب عليها: "البِضـاعة الْمُباعة لا تُرَدُّ ولا تُسـتبدَل"؛ فإننا عندئذ نُفكِّر جيّدًا قبلَ الشِّـراء ونَفْحص جيدًا السِّـلْعة التي نَشتريها لنتأكَّد من كَوْنِها صالِحة أوْ لا. ولكننا إذا وَجدنا اللاَّفتة التي تقول: "عِند وُجود أيَّةِ مُشْكلة فإننا مُستعِدُّون لِتَبْديل السِّلعة"، فإننا عامَّة ما نقول: "سآخذ هذه السِّلعة وأُجَرِّبُها في البيت، فإن صادَفْتُ مُشكلة فإنني سأعود لتَبْديلها". نَفْس هذه العَقْلِيَّة تَنمو في ظِلِّ وُجود إمكانية الطلاق. عُمومًا، قِلَّةٌ مِن الناس هُم الذين يَتزوَّجون وفي نِيَّتهم الطلاق بعد ذلك؛ ولكنَّ الحقيقة أيضًا هي أنَّ الاِستعداد للزواج، وكذلك النُّضْج، قد أخذا في النُّقْصان: يقول چ.ك. تْشِسْتِرتون: "إن العاقبة الْجَلِيَّة للطلاق الأَرْعَن هي رُعونة الزواج. وعاقبة الزواجِ الأَرْعَن تُؤَدِّي إلى طلاق أَرْعَن بِمُعَدَّلٍ كبيرٍ. فحين يُنظَر إلى الطلاق على أنه "الْحَلُّ" للحالة التي يكون عليها الزواج فعندئذ يُنظَر إلى الزواج على أنه واقعٌ ضعيف ومُعَرَّضٌ للمرَض".

٢) الطلاق هو عامل يُؤَدِّي إلى نَقْص الْمَواليد

فَلْتَقُل الشِّـــعارات الكاذبة ما تشـــاء حَوْل الاِنفجار السُّـــكَّاني، لكنَّ الواقع يؤَكِّد أن كثيرًا من الأُمم آخذة في الاِختفاء بســـبب نَقْص الْمَواليد. ومن الواضـــح والْمَنْطِقي أن الأزواج الذين تَرْبِطهم رابِطة غيرُ قابِلة للحَلِّ يكون لَدَيهم اِستعداد أكبر للاِنْجاب، بينما الآخَرون الذين يَتَوَقَّعون فَشَـل الزواج، وبالتالي حدوثَ الطلاق، وإمكانية الزواج من جديد، هؤلاء يَرَوْن في الأبناء حاجزًا. وهذا ليس شـيئًا جديدًا. يقول تِرْتُلْيانوس أنه "عندما تَفَشَّـــى الطلاق بطريقة مبالَغٍ فيها في عهد الأُمْبراطورية الرومانية، فإن عدد المواليد قد نَقُص بنِسْـــبة هائلة لدَرَجة أدَّت إلى قلقٍ كبيرٍ لَدَى الْحُكَّام، واســـتَدْعَت إصْدار قوانين للحَدِّ مِن تَناقص السكان".

السَّـبب مفهوم: إذْ أنه في حالة الطلاق مَن سـيَتكفَّل بالأبناء؟ ومَن الذي سـيَرغب في الاِقتران بِمُطَلَّقة أو بِمُطَلَّق يَحمل معه اثنين أو ثلاثةَ أبناء من زَواج سابق؟ إن ذلك يُشَكِّل عِبْئًا ثقيلاً لِمَن لَديهم نَظْرة مادِّيَّة على الحياة.

٣) الطلاق يَزيد من مشاكل الأبناء والأطفال الْمَتروكين

عادةً ما يَغيب الأبناء عن النِّقاش عندما يَتِمُّ الْحَديث عن الطلاق. فإننا عادةً نُفكِّر فقط في الزوج والزوجة؛ ويقال أن "من حقِّهما أن يُعيدا بِناء حياتِهما"، وأنَّ "مِن حقِّهما أن يكونا سعيدَيْن"، إلخ. لا أحد يُفكِّر في الأبناء؛ لا أحدَ يفكِّر إذا كان من حقِّهم أم لا أن يكون لدَيهم بيتٌ حَسَنُ التَّكْوين، وألاَّ يُحَطِّم أبَوَاهم نُمُوَّهَم العاطفي والنفساني والأخلاقي.

إنه لَواقعٌ مُنْذِر بالْخَطَر ولا يُمكن تَجاهُلُه: فأبناء الْمُطَلَّقين الذين يتزوَّجون من جديد يَظَلُّون بدون بيت، أو يكون لدَيهم نِصْفُ بيت فقط. عادةً ما يكون لديهم "بَيتان"، فهُم يعيشون بعضَ الوقت مع الأب والبعضَ الآخرَ مع الأم؛ هذا يعني أنَّهم لا يعيشـون بطريقة صـالحة مع أيٍّ منهما. قال كاتبٌ: "إن الصَّـدْمة النفسـانية التي يُعانِي منها أبناء الأهل الذين

تَزَوَّجوا مرة أُخرى تَفوق الصدمة الجَسَدية التي يُكابِدها مريضُ شَلَل الأطفال". وكتب آخر: "إن انْهِيار الزواج يكون ضارًّا بتَرْبِيتهم وكافيًا لِتَحطيم نفسِيَّتِهم بسبب التَّشَكُّك النَّابع أمام أَعْيُنهم من اِنفصال والدَيْهم. فالاِبن إمَّا أنْ يَتَحَيَّز لأحد الطَّرَفَين فيَكره الآخَر، وإمَّا أنْ تَتجاذبه مشاعر متناقضة تَجعله يتعذَّب بطريقة وَحْشيَّة وتكون مصدرًا لأزَمات خطيرة تؤدي إلى الوقوع في كثير من الاِختلالات النفسانية. إن الطلاق مسؤول عن كثير من الْخَلَل في الطِّباع وفي عَدَم تَوافق كثيرين من الشباب مع الحياة". (ج. مارتِي و پ. رينو).

ليس من المألوف أن يَجد أبناء الْمطلَّقين مَلاذًا عند والديهم أو عند الْجُدود أو الأعمام. فإنه يَحدث مرَّات كثيرة أنَّ مَنْ رأى في شريك حياته عِبْئًا لا يُحتمَل فهو يَصل إلى أنْ يَنظر إلى الأبناء بنفسِ النظرة، فَيَجد فيهم هم أيضًا عِبئًا ثقيلاً لا يُحتمَل. من أجل هذا فإن مشكلة الطفولة المهمَلة، الخطيرة والمتواجدة في مُجتمعاتنا الْمعاصِرة، لَها صِلة أساسية بالزيادة الْهائلة للطلاق القاطع.

٤) الطلاق يَزيد نسبة الاِنْحراف السابق لأَوانِه

هناك واقعٌ آخَر وهو أن عَدَم الاِستقرار وتَحَطُّم المؤسَّسة العائلية يؤَدِّي إلى عَواقب وخيمة على شخصية الأطفال والشباب. إذْ أنَّ حِرمان الأطفال من الْمَناخ الذي تَخْلُقه العائلة – وهو شيء لا غِنًى عنه – خُصوصًا في الأوقات الحاسِمة من حياتِهم، يؤَدِّي إلى أن يُعاني هؤلاء الأطفال من عَواقب نفسانية بالغة الخطورة: مثل عَدم النُّضْج العاطفي، وفُقدان الإحْساس بالأمان، والْحِدَّة في الطِّباع، والضِّيق والقَلَق، واِستعدادٍ للاِكتئاب، ونُقصان الواقعية، وتوقُّف التَّجاوب الاِجتماعي لديهم، والاِنْهيار العاطفي وعدم الاستقرار والشعور بالذنب. يعطينا بَعض الكُتَّاب معلومات لكي نُفَكِّر:

- ٩٧٪ من الْمَرْضَى العَصَبِيِّين لَم يعيشوا في جَوٍّ عائلي عادي.
- ٩٠٪ من الشباب المنحرفين يَخرجون من بيوت بِها اختلالات عائلية خطيرة.
- في عِشرينيَّات القرن العِشرين أَوْضح تَحقيقٌ أنَّ ٨٠٪ من المراهقين الْمُجرمين في وِلاية كاليفورنيا كانوا أبناءً لِمُطَلَّقين.
- في الولايات المتحدة الأمريكية وُجِد أنَّ مِن بين ٢٠٠٠٠٠ منحرف من الأحداث، ١٧٥٠٠٠ كانوا أبناءً لِمُطَلَّقين.

٥) الطلاق يَزيد من الْمَيْل إلى الاِنتحار

لقد كان عالِم الاِجتماع الفرنسي "دوركْهايْم" يُؤَيِّد نَظَرِيَّة أنَّ الْمَفعول القَتَّال للطلاق يُشَكِّل عاملاً مُحَفِّزًا للاِنتحار لَدَى الطَّرَفين. فقد لوحِظ أنَّ زيادة نِسبة الطلاق تَصْحَبها أيضًا زيادة في نسبة عدد المنتحِرين. لقد أشار استطلاع للرأي منذ عِدَّة سنوات إلى أن النِّساء المنتحِرات في مدينة شيكاغو يَنْقَسِمْن كالتالي: ١٤٠ امرأة غيرَ متزوجة، ١٦٠ متزوجة، ١٨٠ أرملة و٥٤٠ مُطَلَّقة. وبالنسبة للرجال كان هناك: ٢٢٠ أعزبَ و٢٦٠ متزوجًا و٤٥٠ أرملَ و١٧٤٠ مُطَلَّقًا.

يُشـــير عُلماء الاِجتماع أيضًـــا إلى علاقة الطلاق بالأمراض العَقْلية. بالفعل، فإن الاِنتحار هو عامَّة مَظْهر من مظاهر عَدَم الاِتِّزان العَقْلي، أو على الأَقَل العاطفي. وهذا هو شيء يُمْكن فَهمُه، إذْ أنَّ كلَّ طَلاق يكون مصاحبًا لفَشَلِ شـيء جَوْهَري أَلا وهو الزواج والعائلة، وهي النَّواة التي تَضْـمن اِسـتقرار وتَوازن الإنسـان. لذلك يؤكد الْمتخصِّـصـون الأمريكيون في الطلاق: أنَّ موت الطرف الآخر هو شيء يُحتمَل بسهولة أكثر مِن اِحتمال مَشاكل انفصام الزواج.

٦) الطلاق يؤَدِّي إلى زيادة مَن يعيشون معًا بدون زواج

إن ملاحَظة ذلك الأمر تؤَكِّد زَيْفَ أَحَدِ الْمَزاعم الأسـاسـية التي تؤيِّد الطلاق. فلقد زَعم الكثيرون في الْحَمْلات الْمُوالية للطلاق أَنَّه يُشَـكِّل حَلاً لِمَن يعيشـون معًا ويَرغبون في الزواج، ولكنهم لا يَقْدرون لِكَوْنِهم كانوا متزوِّجين مِن قَبل. وفي الواقع حَدَث العَكْس بعد تَقْنين الطَّلاق: يَتزوَّج الناس أَقَلَّ فأَقَلَّ، ويعيش معًا اِثنان بدون أن يتزوَّجا، أكثر فأكثر عَمَّا كان مِن ذي قبل. لِماذا ؟ لأن إمكانية الطلاق تُحوِّل رُتْبَة الزَّواج إلى رُتْبة فارغة ومُكَلِّفة. فتَصير شيئًا زائدًا عن الحاجة، قد يَحتفظ بِها البعض كنَوْعٍ من الْمحافظة على الفُلْكْلور الشـعبي. كما لو كان الزواج هو الْمُرادف لِدُخول العَريس حاملاً زوجتَه إلى بيت الزوجية بين ذراعيه، أو مرادِفًا لرَشّ العُمْلات الصغيرة أو الأَرُزَّ عند انتهاءِ الاِحتفال بالزِّفاف في الكنيسة.

الزواج عندَئذٍ يَضَع فقط أحْمالاً على الأَكتاف – في حالة السَّعْي إلى الطلاق بَعد ذلك – تؤدِّي إلى ضَياع الوقت والْمُشاحنات واللُّجوء للمُحامين وفُقْدان المال. إذا كان الزواج قابلاً للفَسْخ فمِن الأفضل عَدَمُ الزواج: فيكون الواقع عمَليًّا أكثر: سـرعة الاِتِّحاد والعَيْش معًا بِحُرِّية، ثُم الاِنصـراف كلٌّ واحد إلى حال سـبيله عندما لا تَسـير الأُمور على ما يُرام. هذه هي العَقْلية التي أَرْساها واقع الطلاق. لقد أدَّى الطلاق إلى تَحْطيم فكرة الزواج نفسها.

٧) أخيرًا، الطلاق يُتيح الفُرْصة لتَعَدُّد الزوجات الْمُتَتالي

هناك نوعان مِن تعدُّد الزوجات: النَّوْع الأوَّل يكون متزامنًا، مثلما يَحْدث لَدَى بعض الشـعوب البِدائية أو في بعض الثقافات التي تَسمح بالزواج مِن أكثر مِن امرأة أوْ أنْ تتزوج اِمرأة واحدة بأكثر من رجل؛ والنَّوْع الآخَر هو الْمُتَتالي: واحدٌ مع واحدة، ثُم هو نَفْسُـه مع غيرِها، وبعد ذلك هو نفسُـه أيضًـا مع ثالثة، وهكذا. الفَرْق الوحيد هو أنه في النوع الأول يكون زوجًا لِكُلِّهِنَّ في نفس الوقت، أمَّا في النوع الثانِي فيكون كذلك لكلِّ واحدة على حِدَة. ولكن الواقع هو هو.

الْمِثال الأرْجَنتيني واضـح جدًا. بعد عشـر سـنوات من الطلاق القاطع (١٩٨٥– ١٩٩٥) نَجد الرصـيد التَّالِي: حالات طلاق أكثر فأكثر (زاد عدد المطلَّقين والمنفصـلين بنسـبة ١٠٩,٢٤٪ بالمقارنة مع سـنة ١٩٨٠)؛ نَقْص حالات الزواج، وزيادة عدد الأبناء خارجَ الزواج (قُدِّر عددُ الْمَواليد خارجَ الزواج سنة ١٩٩٥ بِحوالي ٤٥٪ من مواليد الأرجنتين) [٩٧].

٣– خاتِمة

٩٧- راجع **خورخي سْـكالا**، *دراسة اجتماعية عن عَشْرِ سَنَـوات من ممارسة الطلاق القاطِع في الأرجنتين* ، *مجلَّـة El Derecho* رقم ٩٣١٨ ، ١٩٩٧/٨/٢٠ ، ص١- ٥.

لم يَكن هَدفي هنا هو الحديث عن عَدَم قابِليَّة الزواج للاِنفصـــال أو الْحُجَج الرئيســيَّة التي تؤيِّد هذه الفِكرة، وإنَّما فقط أن أُبَيِّن كيف أنَّ الطلاق هو واقعٌ مُضادٌّ للزواج بطريقة عميقة ، كما أنه مُضادٌّ للعائلة وللمجتمع.

لا يَشكُّ أحدٌ في وُجود صعوبات في بعض الزِّيجات: عَدم تَفاهم، مشاحَنات ومشاكل عَدم تَوافُق الطِّباع. ولكنَّ الطلاق لا يُمكن أبدًا أن يُشَـــكِّل حَلاًّ، وبالأكثر الطلاق القاطع أيْ الذي يَزْعَم أنَّ رابطة الزواج تَكُفُّ عن الوُجود تَلْبِيَةً لرغبة بَشريَّة بِحَيْثُ يصير الزُّوجان حُرَّيْن في عقد زيجات جديدة. إنَّ المشاكل الزوجية هي بِمَثابة ثُقوب تَظْهر في السفينة التي تُبْحِر عليها العائلة؛ ولكن عندما تبدأ الســفينة في الاِمتِلاء بالماء فلا يَصُـــحُّ أن نُزيل الماء بإحداث ثُقْبٍ أكبرَ، بل يَجب استخدام دَلْوٍ وإخراج الماء بِصَبْر والوصول إلى البَرّ وإصلاح الثُّقْب، ثُم العَوْدة إلى البَحر من جديد لتَكْملة الرِّحلة.

أحيانًا لا يَجد البَشــر حُلولاً لمشــاكلهم. ولكنَّ البَشــر يَجب عليهم ألاَّ يبحثوا عن الْحَلّ فقط لَدَى البَشــر. يَجب البَحْث عن الْحَل أيضًــا لَدَى الله. والله الذي قال: ما جَمَعه الله فلا يُفَرِّقَنَّه الإنســان، ســيســاعد هو نفسُــه على ألاَّ يُحَطِّم الإنسان ذلك الزواج.

الفصل السادس عشر

الْمحبَّة الأَخَوِيَّة في العائلة [٩٨]

أريد أنْ أُنْهي هذه الأَفْكار التي دارت حَوْل الزَّواج والعائلة مُشـــيرًا إلى ما يُمَثِّل – بطريقة مُؤَكَّدة – العاملَ الأكثر أَهَمِّيَّةً من أجل الوُصـول إلى السـعادة الزَّوْجية والعائلية: أَلا وهو الْمحبَّة الأَخَوِية. إن العائلة تكون سـعيدة بقَدْرِ ما تكون عائلة مقدَّسـة، وتكون العائلة مقَدَّسـة إذا مارَسَـت أعمال الْمحبَّة. ولا يكون هذا حُبًّا عاديًّا ولكنْ يَجب أن يكون بُطوليًّا ومُعاشًا بالْمِلْء. هكذا كان الْمَسيحيون الأوائل، الَّذين كان يُمَيِّزُهم الْحُبُّ المتبادَل.

١- وصِيَّة المسيح

مَعيشة الْمحبة الأخوية هي أَمْر مِن المسيح؛ إنه هو الذي رفع الْمحبة الأخوية إلى مَرْتَبة سامِيَة عندما ترك للبَشر وصـيَّة الْحُب هذه: أُعطيكم وصـيَّة جديدة: *أَحِبُّوا بعضُـكم بعضًـا. كما أَحبَبْتُكم أَحِبُّوا أنتم أيضًـا بعضُـكم بعضًـا* (يو ١٣/٣٤)؛ وصيَّتِي هي: *أحبوا بعضكم بعضًا كما أحببْتُكم* (يو ١٥/١٢). إنَّها وصيَّة خاصَّة فقط بالمسيحي، كما أنَّها وصية فريدة، إذْ أنَّه فقط بالممارَسـة الفِعْلِيَّة للمحبة يَستطيع الرجال والنسـاء أن يُدعَوْا تلاميذ ذاكَ الذي قال: *هكذا يَعرف الناس جَميعًا أنكم تلاميذي، إذا أَحَبَّ بعضُكم بعضًا* (يو ١٣/٣٥).

إننا بِدون الْمحبة لا نَكون شيئًا البَتَّة. نستطيع أن نَبني عَقارات ومَدارسَ وجامعات وملاجئ، كما يُمْكننا أيضًا أن نُكَوِّن مجموعات كبيرة وأَنْشِـطة كثيرة، ولكنْ إذا نَقُص روح الْمحبة المسـيحية الحقيقيَّة في باطِن تلك الأعمال فهي تَكون حينَئذٍ أعمالاً باطلة، وستَنْهار بِمُرور الوقت مثلَ قُصور الرِّمال ولا تكون لَها أيَّةُ قيمة: *لو تَكَلَّمْت بلُغات الناس والْمَلائكة، ولم تَكُنْ لِيَ الْمحبة، فما أنا إلاَّ نُحاس يَطِنُّ أو صَنْجٌ يَرِنُّ. ولو كانت لِيَ مَوْهِبة النُّبوءَة وكنتُ عالِمًا بِجميع الأَسـرار وبالمعرفة كلِّها، ولو كان لِيَ الإيـــمان الكامل فأَنْقُل الجِبال ، ولم تكن لِيَ الْمحبة، فما أنا بشـيء . ولو فَرَّقْت جميع أموالي لإطعام الْمَساكين، ولو أَسْلَمْت جَسَدي لِيُحْرق، ولم تكن لِيَ الْمحبة، فما يُجْديني ذلك نَفْعًا* (١ كور ١٣/١-٣). لإن الْمحبة هي حياة الروح، ولذلك نكون أَمْواتًا إذا لم يَقُدْنا حُبُّ الله: *من لا يُحِبُّ بقِيَ رَهْنَ الموت* (١ يو ٣/١٤). *الله مَحبة فمَن أقام في الْمحبة أقام في الله وأقام الله فيه* (١ يو ٤/١٦)؛ *فَلْنُحِبَّ بعضُنا بعضًا لأن الْمحبة مِن الله، وكل مُحِبٍّ مَوْلودٌ مِن الله وعارفٌ بالله* (١ يو ٤/٧) .

من أَجْل هذا يَجب علينا أن نُلْزِم أنفسَنا بِمَعيشة الْمحبة الحقيقية، وهي الْمحبة التي دفعَت الله إلى أن يَتجسَّد وأنْ يَحْتمل العَذابَ مِن أجْلنا؛ وإنَّها الْمحبة التي أَظهرَها ربُّنا خِلال حياته الأرضِيَّة، والتي أَشْعَلَت صَدْره بالنار، نفسِ النار التي جَلَبَها على الأرض والتي كان مُشْـتاقًا أن يَرَى اشـتعالَها (لو ١٢/٤٩)؛ هذه الْمحبة التي تَنْبُع من جَنْبه الْمَطعون على الصـليب، هناك حيث ظهر أعظم عملِ مَحبةٍ شـوهِدَ أو يُمْكن أن يُرَى في التاريخ. الْمحبة الحقيقية التي تَبحث عن خير

٩٨- ما وَرد في هذا الفصل مأخوذ فقط مِمَّا يتعلَّق بالزواج والعائلة في: **رَهْبَنَـة الكلمة المتجسد** ، *دليل الدَّرَجة الرَّهبانية الثَّالثة*، مطبوعات الكلمة المتجسد ، سان روفائيل ١٩٩٤، ص١٢٢- ١٢٩، أرقام ٤٠١- ٤٢٦ .

الآخَر حتَّى على حِساب شَرٍّ قد يَحْدُث لِمَن يُحِب، والتي تَسْعَى إلى أن يكون الآخرون بخير قبل مَنْفَعتها الشخصية والتي تُحاول أنْ تُسْعِد الآخَرين قَبل نفسها والتي تُثَبِّت عينَيْها على القريب – حيث تتأمَّل فيه وجودَ الله – بَدَلاً من أن تَنظُر إلى راحَتِها الشخصية.

٢– مُمَيِّزات الْمَحَبَّة

ما هي مُمَيِّزات روح الْمحبة هذا؟ إنَّها الْمُمَيِّزات التي يُعَدِّدها لنا القديس بولس بطريقة مُفَصَّلة في رسالته الأولى إلى أهل كورِنْثُس.

١) إنَّها روح تفاهُم وصَلاح

الْمَحَبَّة تَصْبِر، الْمحبة تَخْدُم (١ كور ١٣/٤)؛ وهي تَصْبِر لأنَّ الحب الحقيقي لله وللقريب يكون قادرًا على تَحَمُّل أكثرِ الأشياء قُبْحًا وصُعوبة، ومِن هُنا تأتي قُوَّته: الْمِياه الغَزيرة لا تَستطيع أن تُطْفِئ الحب والأَنْهار لا تَغْمُره (نش ٨/ ٧). وهي تَخْدُم لأنَّها تَميل إلى سَكْب ذاتِها مِن أجْل الآخَرين، فروحُ المحبة هو الذي يَدفَعنا لأنْ نَكون كُرَماء مع الله ومع أَشْباهِنا مِن البَشر، فنَكون واعين على أنَّه لا يُمْكننا أن نَحْتَفظ ِلأنفسنا بالْخَيْرات التي نَمْتلكها، وأنَّنا نَربح أكثر عندما نُعطي ولَيس عندما نَأخذ.

٢) وهي تَفرح لِخير الآخَر

الْمحبة لا تَحسِد (١كور ١٣/٤)، وهي تتجنَّب الأَحقاد والرَّغبات السَّيِّئة، ولا تَحزَن أبدًا لِخير القريب. كما أنَّها لا تتألَّم إذا وُجِّه الْمَديح للقريب، بل على العكس تُشارك في هذا الْمَديح، وبدلاً من أن تَحسِد بِحَسْرةٍ نَجاحَ القريب فهي تشارك أفراحَه كما تتألَّم لأحزانه. يُمكننا القول بأنَّها تَعتبِر خَير القريب خَيرًا شخصيًّا لَها.

٣) وهي مُتواضعة

الْمحبة لا تَتباهَى ولا تَنتفخ (١ كور ١٣/٤)، فهي لا تَدَّعِي استحقاقَها أكثرَ مِمَّا لَدَيها بالفِعل مِن الفَضائل، ولا تُحبُّ التَّظاهُر ولا تتكبَّر لأنَّها تَعرف أن كلَّ تَباهٍ يَنبُع من الكِبْرِياء الَّذي هو أَصل وعِلَّة كلِّ خطيئة.

٤) وهي مُهَذَّبة

الْمحبة لا تفعل ما ليس بشريف (١ كور ١٣/٥)؛ فَحُسْنُ الأدب والتربية والمعاملةُ الحسنة والمهذَّبة مع أقربائنا هي واحدة مِن أَهَمِّ الْمَظاهر الحقيقية والصَّريحة الدالَّة على وجود الْمحبة الخالصة. إن التَّأَدُّب أو التَّهَذُّب هو فضيلة مسيحية جميلة تسعَى – بدافع من الْمحبة – إلى جعْل التعايش البشري شيئًا مُفْرِحًا ومُبْهِجًا، ويَتَأتَّى لَها ذلك عندما تكون تِلكَ الكلمات والأفعال، التي تعبِّر عن الاِحترام والاهتمام والمبالاة والمساعدة، مصحوبةً بإحساسٍ داخليٍّ صادقٍ مُطابقٍ لِتلك التعبيرات. كان الأب أوريوني الطوباوي يقول: "فلْيَكن سلوكُنا مَملوءًا بالْمحبة الرقيقة ولكن بدون تَخَذْلُقٍ. وَلْنَمتنع تَمامًا عن توصيل ما سَمِعناه، بطريقة سِرِّية، إلى الآخَرين، وعن إخبار زَميل لنا بالسوء الذي قد يكون شخص آخَر قد قاله في حَقِّه،

لأن هذا يكون بِمَثابة زَرْعٍ للأَحقاد والْخِلافات. فَلْنَنتبه كَيلا ننشر كلمات بِوُسعها أنْ تسبِّب جَرحًا أو إساءة، ولا نترك أنفسنا للعداوات أوْ لِلَوم أَحدٍ في حضور الآخَرين إذا لم تَكن هناك ضَرورة قُصْوَى".

٥) وهي لا تَسْعَى إلى مَنفعتها

الْمحبة لا تَسعى إلى منفعتها (١ كور ١٣/٥) ، ولا تَجْري وراء الرِّبح ولا تُعطي بِهَدَف نَوال الْمُقابل؛ كما لا تَصنع أعمالاً صالِحة فقط بِهدف نَوال التقدير وكلمات الشكر، بل يكون لدَيْها غَرَض واحد فقط: مَجد الله الأعظم؛ وما عدا ذلك إنَّما تبحث عنه في إطار بَحثِها عن مجدِ الله هذا.

٦) وهي طَيِّبة

الْمحبة لا تَحْنَق (١ كور ١٣/٥) ، لأنَّها لا تَميل للغضب ولا تحاول الإنتقام، بل إنَّها تُحب بطريقة عميقة حتى الأعداء أيضًا، وتُحب كذلك الذين يضطهدوننا ويُسيئون إلينا؛ فهي لا تبحث عن صِدام بدون أساس، ولا تتوقَّف فقط عند الإنتقاد أو عند الأشياء السَّلبية الموجودة لدَى الآخَرين تاركةً ما هو إيجابِي وجدير بالْمَدْح.

٧) وهي لا تُفكِّر في السوء

المحبة لا تُفَكِّر في السُّوء (١ كور ١٣/٥)، فهي تُفَسِّر كل شيء بِحُسْن نِيَّة، إذْ تَفترض على الأقَلّ وجود هذه النِّية الْحَسَنة أو عَدم وجود قَصْدٍ للإساءة لَدَى مَن يتصرَّف بطريقة سيِّئة في الظاهر. إنَّها تُفَضِّل دائمًا أنْ تَخْطأ – مِن جَرَّاء التَّسامح والطِّيبة باستِفاضة – على أن تَتَّخذ أحكامًا مُتسرِّعة ومُتشدِّدة. يقول القديس توما: "مِن الجائز أنه غالِبًا ما يَنخدع مَن يُفسِّر أمْرًا مُفْترِضًا النِّية الحسنة في الآخَرين؛ ولكن مِن الأفضل أن يَنخدع مراتٍ كثيرة فتكون لدَيْه فِكرة صالحة عن رجل سيِّء، مِن أن يَنخدع نادِرًا ولكنْ مُكَوِّنًا فكرة سيِّئة عن رجلٍ صالح؛ لأنه هكذا يَحدُث ضَرَرٌ للآخر، بينما لا يَحدث في الحالة الأولى". الْمحبة لا تُدين أحدًا إذْ تَعرف أنه ليس للإنسان أن يُدين الآخَرين، لأن الله اِحتفظ لنفسه بذلك حَصْرِيًّا (راجع يعقوب ١٢/٤). من أجل هذا فالْمحبَّة لا تُصدِر أحكامًا مُتَسرِّعة وغيرَ مؤسَّسة، ولكنها تفكِّر بالحق وتتكلم بالصلاح وتؤدِّب مستخدمةً الرحمة. ويقول القديس توما أيضًا: "لا يَجب على أيِّ شخص أن يَحتقر أو أن يُشَهِّر بآخر بدون سبب مُؤَكَّد؛ وبالتالي فإنه حيث لا تكون هناك مؤَشِّرات واضحة على خُبث أحد الأشخاص يكون من الواجب علينا تفسير كل ما هو مشكوك فيه بأحسنِ مفهوم". فلْنتبع تعليم القديس أغناطيوس: "مِن البَديهي أنَّ كل مسيحي صالِح يَجب عليه أن يُسارع إلى تَبْرِئة القريب لا إلى إدانته؛ فإذا لم يستطِع أن يُبَرِّئ أخاه فلْيحاول أن يفهم حالته، وإذا وجدها سيِّئة فلْيُقَوِّمْه بِمحبة، وإذا وَجد أن هذا ليس كافيًا فَلْيَسْعَ بكل الوسائل المناسبة حتى يتفهَّم حالتَه جيِّدًا فيَخْلُص".

٨) وهي مُحِبَّةٌ للعَدل

إن الْمحبة لا تَفْرح بالظلم (١ كور ٦/١٣) لأنَّها تضع العدل أساسًا لتصرُّفاتِها. إن الْمحبة تَحزن لِخطايا الآخَرين، حتى لو كان مُرتكِبو تلك الخطايا أعداءَ ومضطهِدين لَها؛ إذْ يُؤْلِمها الشَّر بِصَرف النظر عمَّن يفعله، عالِمة أنَّ مَن يصنع الشَّر يُسيء أوَّلاً إلى نفسه.

٩) وهي تحبُّ الْحَق

الْمحبة تَفْرح بالحق (١ كور ٦/١٣). الْمحبة ليست فقط متَّصلة بالحق بطريقة حميمة، ولكنها أيضًا "تَفرح بالحق" لأنَّها تَعرف أنَّ كل حَقٍّ يَنبَثق من الروح القدس، ولذلك فهي تَرفض الرِّياء والزَّيْف والباطل.

١٠) وهي تَحْتمِل وتَصْبِر

الْمحبة تَعذِر كل شيء (١ كور ٧/١٣)، لأنَّها تُحاول أن تَعذِر وأنْ تُداري أخطاء القريب – عن حب – بدلاً من التَّشهير به أو فَضْحه، لأنَّها *تتحمَّل كل شيء* وهكذا تقدِر أن تسامح من كل قلبِها، وأن تَنسَى الإساءة التي حدثت لَها وأن تُدواي الْجِراح، كما أنَّها تعرف كيف تُعامل الْمُذْنِب بنفس الودِّ الذي كان يَناله قبل فِعْلته.

الْمحبة تُصَدِّق كل شيء وترجو كل شيء وتتحمَّل كل شيء (١ كور ٧/١٣)، لأن الشخص الْمَملوء من الْمحبة الأخَوِيَّة يَتقبَّل ويُصدِّق بدون صُعوبة كلماتِ الآخَر، بدون أن تكون هذه السهولة في تصديق الآخر متناقِضة مع الفِطنة الكاملة؛ وهي ترجو من الآخر أفضلَ الأشياء؛ وحتى لو رأَتْه، في الوقت الرَّاهن، يتصرَّف بطريقة سيئة فهي لا تيأس من إصلاحه وخلاصه.

يَجب أن يشتعل دائمًا داخل صُدورنا روحُ الْمحبة الحقيقي الذي يَجعلنا نَبذُل أنفسنا ونُفنيها من أجل خير الآخرين، وهو ما يَجعلنا نطلب مثل القديس فرنسيس الأسِّيزي:

"ربِّي اجعل منِّي أداةً لسلامِك:
حَيث يُوجد البُغضُ، لِأَضَعْ أنا الحب؛
حيث يُوجد الْخِصام، لأضعْ أنا الوَحدة؛
حَيث يُوجد الْخَطَأ، لأضعْ أنا الحق؛
حَيث يُوجد الشَّك، لأضعْ أنا الإيمان؛
حَيث يُوجد الظلام، لأضعْ أنا النور؛
حَيث يُوجد الْحُزن، لأضعْ أنا الفرح؛
فلا أسعَى لِأنْ أَتعزَّى أنا،
بل لِأنْ أُعزِّي أنا الآخَرين؛
ولا أن يَفهَمني الآخرون
بل أن أفهمَهم أنا؛

لا أن أُحَبَّ، بل أن أُحِبَّ.
لأنه حين يُعطي الْمَرْء، فحينئذٍ يَنال،
وحين يَنسى نفسَه، فحينئذٍ يَجِد،
وحين يَغفِر، فحينئذٍ يَنال الْمَغفرة،
وحين يَموت فحينئذٍ يَقوم للحياة الأبدية".

٣- العائلة التي تعيش الْمحبة

يُمكننا أن نطبّق على العائلة ما كتبه الأب أوريوني عن الحياة الرَّهبانية: عندما يَحدث في عائلة ما أنْ "يَسُود حُب الله فحينئذٍ يتواجد أيضًا الحب للإخوة وللقريب؛ وحَيث يشتعل حُب الله داخلَ القلوب فهناك تَتطهَّر كل العَواطف البشرية وتُخْضِع لذاتِها كلَّ الأشياء في هذا العالَم. لا يُوجد شيء أعظم قُربًا لقلب المسيح من أن نُحِبَّ القريب وأن نصنع له الخير، وخاصة للأكثر قُربًا لنا، أيْ الأهل والأبوَين والأبناء. وعندئذ يُحِبُّ الجميع بعضُهم بعضًا فيفرح كل واحد لخير الآخَر كما لو كان للجميع: هكذا يتوصَّلون إلى الحياة في *الرب*، الواحد من أجل الجميع والجميع من أجل الواحد، فتتحوَّل تلك العائلة إلى جَنَّةٍ. إن الْمحبة الأخويَّة تُؤَجِّج الحب لله نفسِه، كما أن الْمحبة تُجاهَ إخوتِنا تُعتبَر وسيلة لنَقْل حب الله. إن طريق الْمحبة الأخويَّة يَصير أقصر الطُّرُق وأكثرها أمانًا لِلْوُصول للكمال ولبُلوغ القداسة".

هكذا يَجب أن نَحيا الْمحبة الأخويَّة بِحيث يرى الآخرون حياتَنا فيقولون: "أُنظروا كيف يُحبون بعضُهم بعضًا وكيف أنَّهم مستعِدُّون أن يَموت الواحد من أجل الآخَر" (ترتليانوس)، أو كما كان يُقال أيضًا عن المسيحيين الأَوائل: "إنَّهم يُحبون بعضُهم بعضًا حتى مِن قَبل أن يتعارفوا" (مينوثيو فيليكس).

يقول الأب أوريوني أيضًا: "إن الْمحبة الأخويَّة كَنْزٌ ثَمين، ويَجب علينا أن نُحافظ عليه بكل الوسائل، وأن نُنَمّيه أيضًا ... أُنظروا كيف أنَّ حُب الذات يسبِّب القلق والغَيْرة وآلافًا من التأثيرات الأخرَى: فهو يَقضي على الإبداع ويُحدث اختلالاً في العقل، وهو عَدُوٌّ عَلَنِيٌّ للمحبة الأخوية. فلْنكن منتبِهين لأنه حيث يَسكن حب الذات لا يُمكن أنْ تُعاش الْمحبة. فلْنَكْبَحْ لسانَنا ولنتحكَّم في الغضب ولْنتحمَّل كل شيء. ولْنتأكد أننا لن يكون لَدينا الْمحبة الأخوية أبدًا إذا لَم نَرغب في احتمال عُيوب بعضِنا البعض. كلُّنا لَدينا عُيوب وخطايا: *مَن كان مِنكم بِلا خطيئة، فلْيكن أوَّل مَن يَرميها بِحَجَرٍ* (يو ٨/٧). فلْنَمُدَّ يَدَنا بعضُنا لبعض ولْنَسِر معًا نَحو الوَطن السماوي. فلْنَكن قُدْوَة صالِحة بعضُنا لِبعض فنَنْمو في الخير ... *لا تَكن محبَّتنا بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق* (١ يو ١٨/٣) ... فلْنُحبَّ قريبنا إذًا في الله و ِلله، بِمحبة أخوية مُرَتَّبَة، ... ولْنحب بعضُنا بعضًا بِمحبة صابرة ووديعة، وبِمحبة طاهرة ومقدَّسة، بدون مبالَغة في العَواطف. فلْنحب بعضنا بعضًا في الرب. هذا هو ما يَسُرُّ الرَّبَّ جدًّا!"

يَجب أن تَظهر الْمحبة وأن تُعلِن عن نفسِها، وأن تَصير وسيلة بشرية للجَذب ولِغَزْو القلوب. وبطريقة خاصة يَجب أن يُعطَى هذا الحب لهؤلاء الذين يكون مِن الصعب علينا التَّعامُل معهم ، ولِمَن يُسبِّبون لنا أكثرَ إزعاجٍ، ولِثَقيلي الظِّل وللأعداء وللَّذين يَكرهوننا وَ – أو – يَضطهدوننا. "إن الْمحبة تَمنحنا قوة لا تُهزَم أمام الشيطان وأمام العالَم، وضِدَّ

الشَّـهَوات وضـد الأعداء الداخلِيّين، ولكنها تُمَكِّننا أيضًـا من الإنتصـار على أعدائنا الخارجيّين: سـنَغلِبهم بِحُبنا لَهم، عندما نصلّي من أجلهم بتواضع كبير، وعندما نُقدِّم لهم – إذا كانت هناك ضرورة – حياتَنا ذاتَها لكي نَصنع لَهم خيرًا ولو قليلاً ونُخَلِّصهم" (الأب أوريوني).

يَجب على كلِّ الأزواج والزوجات، وكذلك الأبناء والبنات، أن ينظُروا إلى الْمِثال الأسْمَى ليسوع المسيح الذي *أحبَّنا حتى الْمُنتهَى* (يو ١٣/١)؛ ليس لأحدٍ حُب أعظم من هذا، من أنْ يُعطي حياته من أجل أحِبَّائه. من أجل هذا يَجب أن نَسعَى لكي تكون لدينا مَشاعرُ ربِّنا يسوع المسيح الذي كان وديعًا ومتواضعَ القلب، الذي يَغفر سبعين مَرَّةً سَبْعَ مَرات، والذي لن يُطفئ أبدًا فَتيلة مُدَخِّنة. مِن الضَّـروري أنْ نتمكَّن مِن أنْ نقول عن كل أبٍ وعن كل أمٍّ وعن كل ابنٍ أو أخٍ ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم عن بولس: "إن قلب بولس لَهُوَ قلبُ المسيح".

يَظهر روح الْمحبة هذا – بطريقة خاصـة – عندما تصـير العائلة مكانًا للعِبادة وهيكلاً يُقدَّم فيه الإِحترام والحب لله؛ حيث يتعلَّم الأبناء وصـايا الله، كما يتعلَّمون أن يُحِبوا الكنيسـة، وحيث يَتِمُّ تعليم الأبناء التربية المسـيحية. يَحدث هذا أساسًا عندما تكون العائلة مكانًا للصلاة حيث يُحتَمَل الألَمَ بصمت، وحيث يُرافِق أعضاء العائلة بعضُهم بعضًا سائرين في الطريق نحو السـماء؛ وكذلك حين تكون تلك العائلة مكانًا يعيش فيه الآباء والأبناء مُناخًا من البَهْجة والتَّسـلية البَريئة والحرّية *والفرح والسـلام والْمحبة في الروح القدس* (رو ١٤/١٧) . فلْتكن كلمات القديس بولس لأهل كورنتس حاضـرة دائمًا أمامنًا: اِسعوا وراء الْمحبة (١ كور ١٤/١).

إصدارات أُخرى مفيدة للأزواج والمخطوبين

- **بولس السادس**، رسالة عامَّة: *الحياة البَشريَّة*، ١٩٦٨.
- **يوحنا بولس الثاني**، إرشاد رسولي: *في الشَّراكة العائلية*، ١٩٨١.
- **يوحنا بولس الثاني**، *رسالة إلى العائلات*، ١٩٩٤.
- **يوحنا بولس الثاني**، رسالة عامَّة: *إنْجيل الحياة*، ١٩٩٥.
- **يوحنا بولس الثاني**، *الرَّجل والمرأة. لاهوت الْجسد*، دار النشر پالابْرا، مَدريد ١٩٩٦.
- **يوحنا بولس الثاني**، *فِداء القلب. كرازات حول الطَّهارة المسيحية*، پالابْرا، مَدريد ١٩٩٦.
- **الْمجلس الْحَبْري للعائلة**، *الْجِنس البَشَري*. حقيقة ومَدلول، ١٩٩٥.
- ***التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية***، رقم ٢٣٣١ إلى ٢٤٠٠.
- **جون بيلينجز**، *الْحب المتبادَل جسدًا ونفْسًا*، پوليناس، بُوِينُس أَيْرِس ١٩٧٨.
- **جون بيلينجز**، *أساس وَسيلة التَّبويض*، پوليناس، بُوِينُس أَيْرِس ١٩٨٩.
- **جون بيلينجز**، *وَسيلة التَّبويض*، پوليناس، بُوِينُس أَيْرِس ١٩٨٤.
- **الأب/ أَدْنِسْ**، *الزواج*، هِرْدِرْ، برشلونة ١٩٧٣.
- **دافيد إساكْس**، *تربية الفضائل البشرية*، إيونْسا، پامپلونا ١٩٨٤.
- **جاك لوكْلِرْك**، *العائلة*، هِرْدِرْ، برشلونة ١٩٧٩.
- **الأب كارلوس بُوِيلا**، *هَجَمات عَصريّة ضِدَّ العائلة*، مَجلَّة ميكايِلْ رقم ١٥ (١٩٩٧)، ص٣١- ٦٤
- **الأب كارلوس بُوِيلا**، *الزواج الكاثوليكي*، مَجلَّة حِوار (Dialogo) رقم ٤ (١٩٩٢) ص٧- ٢٢
- **فِرْمين مِرْكانْتِي**، *الإخصاب الصِّناعي أَم التَبَنّي؟* مَجلَّة جْلاديوس رقم ١.
- **تْيِيري وإيزابيل بوتِي**، *الفُرص وآثاره الثانوية*، مَجلَّة جْلاديوس رقم ٢.
- **تِيهامِنْ تُوت**، *الطَّهارة والشباب*، جْلاديوس بُوِينُس أَيْرِس ١٩٨٩.

الفهرس الصفحة

تقديم----------٣

الفصل الأوَّل: الطريق إلَى الزواج: الْخُطوبة----------٤

١- الْخُطوبة، زمنٌ للاِستعداد----------٤

١)مَعْرفةُ ماهِيَّةِ الزواج----------٤

٢) التَّعرف على بعضهما البعض----------٥

٣) اكتسابُ الوسائلِ الضرورية----------٦

٢- الْمُعاشَرة قَبلَ الزواج----------٧

١) الْمُشكلة الْحالية----------٧

٢) الْحُكم الأخلاقي----------٨

٣) عواقب الْمعاشرة قبل الزواج----------٩

٣- الْحِفاظ على العِفَّة قبل الزواج----------١١

١) إن العفة هي ما يَتَسَلَّح به الشاب (أو الشابة) لِمعرفة إذا ما كانت الْخطيبة (أو الْخطيب) تُحِبُّه بالفِعْل-----١١

٢) العِفَّة شيء أساسيٌ لتربية الطِّباع----------١٢

٣) العِفة ضَرورية لأن السعادة الْحقيقية تستند إلَى الفضيلة----------١٣

الفصل الثانِي: العائلة والْمُجتمع----------١٤

١- العائلة هي مُجتمع طبيعي----------١٤

٢- العائلة و الْمجتمع----------١٥

١) الْخَلِيَّة البيولوچية----------١٦

٢) الْخَلِيَّة الأخلاقية----------١٦

٣) الْخَلِيَّة الثقافية----------١٧

٣- الْخُلاصة----------١٧

الفصل الثالث: الْحُبُّ الزوجي----------١٩

١- ما هو الْحب الزوجي----------١٩

٢- نَفْسِيَّة الْحب----------٢٠

١) يَجب أن يكون تامًا----------٢٠

٢) يَجب أن يكون دافعًا للوَحدة----------٢١

٣) يَجب أن يكون مُثْمِرًا----------٢١

٤) يَجب أن يكون أمينًا----------٢٢

٥) يَجب أن يكون أبديًّا أيْ على الدَّوام----------٢٢
٣- قوانين الْحُب----------٢٣
٤- رَمْزُ الْحُب----------٢٤
الفصل الرابع: الزواج كعَقْدٍ طبيعي وكَسِرٍّ مُقَدَّسٍ----------٢٥
١- الْمُؤَسَّسة الطبيعية----------٢٥
٢- الأسرار الْمُقدسة----------٢٥
٣- الزواج الْمسيحي----------٢٦
٤- تأثير السر الْمقدس----------٢٧
١) الرباط : واحد مع واحدة بطريقة غيرِ قابلة للانفصال----------٢٨
٢) نِعمة الزواج----------٣٠
الفصل الخامس: الرجل والْمرأة في الزواج----------٣١
١- الرجل والْمرأة كَاثنين مُختلفَيْن----------٣١
٢- الرجل فِي الزواج----------٣٢
١) زوجٌ وأبٌ----------٣٢
٢) الذكورية----------٣٣
٣) يسوع مِثالٌ للذَّكَر----------٣٣
٣- الْمرأة فِي الزواج----------٣٤
١) زوجة وأُمٌّ----------٣٤
٢) الأُنوثِيَّة----------٣٥
٣) العذراء مريَم والْمرأة----------٣٥
الفصل السادس: الأُبُوَّةُ والأبناء----------٣٧
١- الْحُبُّ الْمُثْمِر----------٣٧
٢- الأُبُوَّة كَهِبَةٍ من الله----------٣٨
٣- سِرُّ الْحياة----------٣٨
٤- الابن، "اِمتدادٌ" لأَبَوَيْهِ----------٣٩
٥- كَمْ عددُ الأولاد؟----------٤٠
٦- مِثالان للقُدوة الصالِحة----------٤١
الفصل السابع: تَزْييفُ الْحُبِّ البَشَري----------٤٣
١- مَنْعُ الْحَمْل----------٤٣
٢- الإخصاب الصناعي----------٤٥

١) الإخصاب الصِّناعي "فِي الأنابيب" الذي يَلِيه نَقْلُ الْجَنين----٤٦
٢) التلقيح الصناعي "الْحقيقي"----٤٧
٣) التلقيح الصناعي الْمتجانِس "الْمَجازِي"----٤٨
٣- القَضاء على الحياة: الإجهاض----٤٨
٤- القَضاء على الْحياة الْجنسية----٥٠
١) العادة السِّرِّيَّة----٥٠
٢) الْمَثَلِيَّة الْجنسيَّة----٥٠
الفصل الثامن: إنسانية وأخلاقية الوسائل الطبيعية لتنظيم النَّسْل----٥٣
١- الفرق الإنسانِي الأنْثْروبولوجي----٥٣
١) الْمَظاهِر الانْثْروبولوجية في وسائل مَنْع الْحَمْل----٥٤
٢) الْمَظاهر الأنْثْروبولوجية لِلْوَسائل الطبيعية----٥٥
٢- الفَرق الأخلاقي----٥٧
١) وسائل منع الحمل----٥٧
٢) الْمَظاهر الأخلاقية في الوسائل الطبيعية----٥٨
الفصل التاسع: انتحار الْمجتمعات: نقص الخصوبة----٦١
١- الْمَشْهَد العالَمي----٦١
٢- الأسباب----٦١
٣- العَواقب----٦٢
الفصل العاشر: وسائلُ تَقديسِ الزواج----٦٤
١- الأسرار في حياة العائلة----٦٤
١) الزواج----٦٤
٢) الإفخارستية----٦٥
٣) المصالَحة----٦٥
٢- الصلاة في الحياة العائلية----٦٦
١) ضَرورة الصلاة----٦٦
٢) صلاة العائلة----٦٧
٣) مُعلِّمو الصلاة----٦٧
الفصل الحادي عشر: تربية الأبناء----٦٩
١- واجبات وحقوق الآبَاء----٦٩
٢- أَبْعاد التَّربية----٧٠

١) تربيةُ العَقْل----٧٠
٢) تربية الطِّباع والإرادة----٧١
٣- دَوْر أَفراد العائلة في التربية----٧٣
٤- أَعداء التربية----٧٤
١) العنف----٧٤
٢) التِّلِفزيون----٧٤
الفصل الثاني عشر: التربية الجْنسية----٧٦
١- الدَّعْوَة للحب----٧٦
٢- التربية الجنسية----٧٧
٣- كيف تَتِمُّ تِلك التربية؟----٧٨
١) تربية الإرادة والعاطفة بِهدف العفة----٧٨
٢) تربية المعرفة----٧٩
الفصل الثالث عشر: الأهل ومشكلة الْمخدِّرات----٨١
١- ظاهرة المخدِّرات----٨١
١) مستهلِك المخدِّرات----٨١
٢) العائلة الْمُفَكَّكة والْمُدْمِن----٨٢
٣) الْمجتمع كعاملٍ مُؤَدٍ لزيادة الاِستهلاك----٨٣
٤) العَواقِب الرئيسية للمخدِّرات----٨٣
٢- مَوْقف الأهل من الأبناء مُتَعاطي المخدِّرات----٨٤
١) عندما يكتشف الأهل أنَّ أحدَ الأبناء يتعاطَى المخدِّرات----٨٤
٢) ماذا يَجب على الأهل أن يفعلوا ليتجنَّبوا تعاطي الأبناء للمخدِّرات؟----٨٥
الفصل الرابع عشر: اِعتداء الإباحية----٨٧
١- ما هي الإِباحِيَّة؟----٨٧
٢- مضمون الإباحية----٨٨
٣- ما هو تأثيرها؟----٨٨
٤- الحكم الأخلاقي والنفساني على الإباحية----٨٩
٥- ضَرورة الطَّهارة----٩٠
الفصل الخامس عشر: الطَّلاق----٩٢
١- الطلاق القاطع----٩٢

١) إنفصال الزَّوجَين----٩٢
٢) الطلاق القاطع----٩٢
٢- عَواقبُ الطلاق----٩٢
١) الطلاق يُوَلّد حالاتِ طلاق أُخْرَى----٩٢
٢) الطلاق هو عامل يُؤَدّي إلى نَقْص الْمَواليد----٩٣
٣) الطلاق يَزيد من مشاكل الأبناء والأطفال الْمَتروكين----٩٣
٤) الطلاق يَزيد نسبة الإِنْحراف السابق لأَوانِهِ----٩٤
٥) الطلاق يَزيد من الْمَيْل إلى الإِنتحار----٩٤
٦) الطلاق يؤَدّي إلى زيادة مَن يعيشون معًا بدون زواج----٩٥
٧) أخيرًا، الطلاق يُتيح الفُرْصة لتَعَدُّد الزوجات الْمُتَتالي----٩٥
٣- خاتِمة----٩٦
الفصل السادس عشر: الْمحبَّة الأَخَوِيَّة في العائلة----٩٧
١- وصِيَّة المسيح----٩٧
٢- مُمَيِّزات الْمَحَبَّة----٩٨
١) إنَّها روح تفاهُم وصَلاح----٩٨
٢) وهي تَفرح لِخير الآخَر----٩٨
٣) وهي مُتواضعة----٩٨
٤) وهي مُهَذَّبة----٩٨
٥) وهي لا تَسْعَى إلى مَنفعتها----٩٨
٦) وهي طَيِّبة----٩٩
٧) وهي لا تُفكِّر في السوء----٩٩
٨) وهي مُحِبَّةٌ للعَدل----٩٩
٩) وهي تحبُّ الْحَق----٩٩
١٠) وهي تَحْتمِل وتَصْبِر----١٠٠
٣- العائلة التي تعيش الْمحبة----١٠١

تَمَّت هذه الطبعة من

ذكراً وأُنثَى خلقهما

بِمطابع منشورات "**الكلمة المتجسِّد**"

يومَ ١٥ أغسطس – آب ٢٠٠٠

في عيد نِياح العذراء مريم كاملةِ القداسة

رَهبنة الكَلمة المتجسِّد

إلِشَنْيارال ٢٦٩٩– ك ك ٣٧٦ – ك ب ٥٦٠٠

سان رافايِلْ – مِنْدوثا

جُمهورية الأرجنتين

تل ٤٣٠٤٥١– ٠٢٦٢٧– ٥٤

فاكس ٤٣٠٢٣٥– ٠٢٦٢٧– ٥٤

بريد إلكتروني: smmvel@infovia.com.ar

ذَكَرًا وأُنْثَى خَلَقهما

الْمَخطوبون والْمُتزوّجون عِند مُواجَهة الزَّواج والجِنس

"فيما يتعلَّق بالعائلة والحياة، تَدور اليوم الْمَعركة الأساسية الخاصَّة بِكرامة الإنسان" (يوحنا بولُس الثاني، في حديثٍ لِهيئة CELAM للأساقفة الأَمْريكيّين في ٣ أكتوبر ١٩٩٧).

"ذَكَرًا وأُنثَى خَلقهما" هو كتاب لِمَن يستعدُّون للزَّواج وللمُتزوّجين الذين يَسعون إلى تكوين عائلة مسيحية حقًّا. ولذلك فهو يَحتَوي على موضوعات جَوْهريَّة تُواجِه بالضَّرورة المخطوبين والأزواج الْحَديثين أو الذين مَضت فترة طويلة على زواجِهم, مِثل: الْخُطوبة، والْحُب الزَّوجي، والصُّعوبات الزوجية، وغَزْو الْمُخَدِّرات والإباحيّة اللَّذَيْن يُهَدِّدان الأبناء، وتَربية الفَضائل، والتَّربية الْجِنسية للأبناء، وتَنظيم النَّسْل، والفضائل الزَّوجية، وحَياة الأَسرار الْمُقَدَّسة والصَّلاة في العائلة، إلخ. إنَّها كلَّها مَسائل أساسية من أجل مُستقبَل البَشرية نفسِها، حَسَبَ ما قال يوحنا بولُس الثاني: *"إن قَضِيَّة العائلة هي نفسُ قَضية الإنسان والْحَضارة"* (اللقاء العام يوم ٨ أكتوبر ١٩٩٧).
إننا نُقَدِّم هنا الطبعة الرابعة.

الأَب ميجِل أنْخِل فُونْتِس، مِن رَهبنة الكلمة الْمُتَجسِّد، حاصِل على إجازة في اللاَّهوت من جامعة "القديس توما الأَكْويني" الْحَبْرية بروما، ودُكتوراه في اللاهوت (تَخصُّص في الزَّواج والعائلة) مِن مَعهد يوحنا بولُس الثاني التَّابع لِجامعة اللَّتْران الْحَبْرية بروما. يَعمل حاليًّا كأستاذٍ لِلاَّهوت الأدبي في إكليريكية *"مريم أُمُّ الكَلمة الْمُتجسِّد"*، وفي الْمَركز الدِّراسي "القديسة كاترين السِّيانية" بِسان رافايِل في الأرجنتين. وهو مُؤَلِّف كتاب *سأُلْبِسُكم أَحشاءَ رَحْمة – دَفْتَر تَحْضيري لِخادمي سِرِّ التَّوْبة المقدس* (إصدارات الكَلمة الْمُتجسِّد، طبعة أولى سنة ١٩٩٦، طبعة ثانية سنة ١٩٩٧، وطبعة ثالثة سنة ١٩٩٩)؛ وكتاب *الأَخلاقيَّات والروحانية الخاصة بالزوجين* (إصدارات الكلمة الْمُتجسِّد، سنة ١٩٩٧)؛ وكذلك كتاب: *أنا القُبطان الْمُنتصِر لِنَجْمِي. لَمَحات من السِّيرة الذَّاتيَّة لِمارسيلو خابيير مورسيللا* (إصدارات الكلمة الْمُتجسِّد، سنة ١٩٩٨، طبعة أولى وثانية)؛ وكتاب *I. N. R. I. يَسوع الناصِريّ، مَلِك اليَهود* (إصدارات

الكلمة الْمُتجسِّـد، سـنة ١٩٩٩)؛ وكتاب *الألم الْخَلاصـيّ* (إصـدارات الكلمة المتجسـد، سـنة ٢٠٠٠)؛ والعديد من الْمَقالات في اللاهوت الأدبي.

مجموعة
الأَلْفيَّة الثالثة

إصدارات
الكَلِمة الْمُتجسِّد